[المطلب الثالث]

[في تراجم السلاطين والأمراء والأعيان والعلماء]

[حرف الألف]

١ - منهم:أبو إسحاق إبراهيم بن يحيي بن أبي حفاظ مهدي الإمام المكناسي.

حاله: فقيه نحوي، مشارك نبيل، ماجد وجيه، وقور أحد الفضلاء الرحالين. دخل الشام والعراق وأفاد واستفاد وكانت له يد في الشعر والأدب. ذكره الذهبي وأورده صاحب بغية الوعاة ونسباه لمكناسة.

مشيخته: سمع من أبي الحسين بن زَرْقُون وطائفة بإشبيلية.

الآخذون عنه: أخذ عنه الحافظ الدمياطي وغيره.

ولادته: ولد سنة ستمائة.

وفاته: توفى بالفيوم سنة ست وستين وستمائة.

٢ - ومنهم: أبو إسحاق إبراهيم بن موسي المصمودي التلمساني.

حاله: كان عالما محققا مدرسا صالحا زاهدا ممن أُوتي الولاية صبيا، وحل من رياسة العلم والزهد مكانا عليا، جاهد في العلم والعبادة إلى الغاية القصوي، ورعا وزُهدًا وإيثارًا، متابعا على البر، متبعا طريق السلف أحب الناس لمذاكرة العلم، كثير الرغبة في الاجتماع بأهل العلم والفضل،شديد المحبة في المذاكرة، أعلم أهل وقته بالسير وأخبار السلف والعلماء كافة من متقدم ومتأخر.

انقطع لخدمة الله تعالي فكفاه ما أهمه، له كرامات كثيرة، منها ما حدث به

---

١ - من مصادر ترجمته: بغية الوعاة ١/ ٤١٩، تاريخ الإسلام، وفيات (٦٦١-٦٧٠هـ) ص ٢١٩.

٢ - من مصادر ترجمته: كفاية المحتاج ١/ ٩٩، نيل الابتهاج ١/ ٤٢.

عنه كبير أصحابه أبو عبد الله بن جميل قال: عرضت لي مسألة فعملت فيها بقول أصبغ، وابن حبيب دون المشهور لعذر، ثم حصل لى ألم شديد، فاعتقدت أنه عقوبة لترك المشهور، ثم زرت الشيخ وأنا متألم فقال له: مالك يا فلان؟ فقلت: ذنوبى، فقال فورا: لا ذنوب على من قلد أصبغ وابن حبيب.

وكان ربما يرد ما يهدي له من طعام فربما يتفقد المهدي فيجد موجب الرد من شبهة فيه من ضجر أهل البيت أو غيره.

قال السوداني في «كفاية المحتاج» وذكر غير واحد أنه كان خارج البلد في وقت لا يدرك فيه الباب ثم يرونه في البلد، وكان يلبس جيد الكساء فقط يعري رأْسه أكثر الأوقات، وكان إذا وجد نوار الربيع أَمعن النظر في ألوانه وصفته فيغلبه الحال ويتواجد ويتبختر ويقول هذا خلق الله الآية.

ولد بمكناسة الزيتون وقرأ بفاس.

مشيخته: أخذ عن الإمام موسي العبدوسي، والإمام الأبلي، وشريف العلماء أبي عبد الله التلمساني، والقاضي سعيد العقباني.

الآخذون عنه: من جملتهم أبو عبد الله بن جميل وناهيك به.

وفاته: توفي عام خمسة وثمانمائة وحضر جنازته السلطان على قدمه.

٣- ومنهم: إبراهيم بن عبد الكريم أبو إسحاق.

حاله: كان فقيها مدرسا بمكناسة الزيتون، يقرر أقوال الأئمة وكلام الناس والمختصرين، ويعلم الصبيان ويدرس المدونة.

وفاته: توفي بعد سبعة عشر وسبعمائة.

٤- ومنهم أبو إسحاق الشيخ إبراهيم بن أبي الفضل بن صواب الحجري[1] من أهل شاطبة[2].

---

٤ - من مصادر ترجمته: بغية الوعاة ١/ ٤٠٦، التكملة لابن الأبار ١/ ١٢٢، جذوة الاقتباس ١/ ٨٨، صلة الصلة ٥/ برقم ٨٤.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «المجري» وصوابه لدى ابن الأبار الذي ينقل عنه المصنف.

حاله: كان من أهل المعرفة بالعربيـة واللغة والأدب، وتجول البلاد معلما بها تعلم الطب وقـعد لـلعلاج بطنجـة، واسـتقـر آخر عـمـره بفاس في نحـو ست وخمسمائة. قال ابن الأبار في «تكملته» أكثر خبره عن ابن عُزَيْر[1] ذكره ابن عياد وفيه عن غيره.

مشـيخته: روى عن أبيـه، وأبي عمر بن عـبد البر، وأبي الحسن بن سـيدة وأبي إسحاق بن خفاجة، وله فيه مدح.

وفاته: توفي بمكناسة الزيتون وهو ابن إحدى وثمانين سنة.

٥- ومنهم: أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الزرهوني.

حاله: كان من صـدور كتاب الدولة الرشيدية العلوية الحـسنية وأجل حملة الأقلام بها، أديبا نـحريرًا منشئا بليغا وجـيها مبجلا، فقـيها نبيها أريحـيا مهذبا، ملحوظا بعين الإجلال والإكبار من عظماء دولة السلطان الأفخم مولاي الرشيد بن الشريف بن على الحسني السجلماسي.

وفاته: توفى عشية الاثنين سابع عشر شعبان عام ألف وثمانين رحمه الله.

٦- ومنهم: أبو إسحاق إبراهيم بن عبد العزيز الخياطي.

من ذرية الولي الأكبر سيدي عبد الله الخياط دفين جبل زَرْهُون.

حاله: فقيه جليل قدوة، ماجـد بركة، نزيه عالي المكانة، ولي صالح متبرك به أورده في جـواهر السمـاط وقال: إنه دفين داخل باب الفـتوح من فـاس، ولم

---

(١) تحرف في المطبـوع إلى «عزيز» بالزاي المعـجمة في آخـره، وصوابه لدى ابن الأبار الذي ينقل عنه المصنف.

٥ - من مصادر ترجمته: الإعلام بمن غبر في موسوعة أعلام المغرب ٤/ ١٥٦٠.

٦ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع في موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٧٨٤ وفيه «وفاته سنة ١٣٠٨هـ».

يذكر له غير هذا.

٧- ومنهم: أبو إسحاق إبراهيم بن القائد الطبيب الأندلسي المراكشي ثم المكناسي ثم التونسي.

أحد أطباء الحضرة السلطانية الإسماعيلية.

حاله: طبيب ماهر حكيم عظيم الشأن من أجلاء الحكماء المتقين الكاملي المهارة، الملازمين لسيدنا الجد الأكبر السلطان الأعظم مولانا إسماعيل، المرجوع إليه في المعضلات من الداء، وكانت مسائله كلها متقنة.

وكانت له بمكناس حانوت اتخذها ليقصده الناس للسؤال عن مسائل الطب ولاشتراء الأدوية منه، ثم انتقل إلى تونس واتخذ بها حانوتا لما ذكر وسمي نفسه هنالك محمدا الأندلسي، فغير اسمه لأمر معلوم أحوجه إلى ذلك، والضرورات تبيح المحظورات، كذا أخبر عنه تلميذه ابن شقرون الطبيب المكناسي صاحب الشقرونية المتداولة بين أيدي عامة الناس وخاصتهم، حسبما وقفت على ذلك بخط العلامة الثبت المتقن السيد محمد فتحا الخياط بن إبراهيم المشنزائى - بنون فزاى - الدكالى الأصل، من أولاد ابن إبراهيم الدكاليين بفاس، بيتهم بيت علم وصلاح ومتانة دين ورياسة وجلالة.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو محمد عبد القادر بن شقرون المكناسي مسائل كثيرة من الطب.

٨- أحمد الذهبي السلطان أبوالعباس أحمد[1] الذهبي بن فخر ملوك المغرب وأعظم سلاطينه سيدنا الجد مولانا إسماعيل بن الشريف الحسني العلوي.

---

٨ - من مصادر ترجمته: نشر المثاني في موسوعة أعلام المغرب ٥/ ٢٠٠١.

(١) فى هامش المطبوع: قال الحافظ العسقلانى فى تبصير المنتبه بتحرير المشتبه: «والمشهور أن أول من تسمى بأحمد بعد نبى الله ﷺ والد الخليل بن أحمد. لكن زعم الواقدى أنه كان لجعفر بن أبى طالب ابن اسمه أحمد. أفاد ذلك أبو بكر بن فتحون فى ذيله على الاستيعاب.

آتي الترجمة قريبا بحول الله.

حاله: كان جوادا كريما شفيقا حليما، وكل ما صدر من الشدة والقساوة وقتل الأنفس في دولته فبإلزام من العبيد وإكراه له على فعله، وقد كان قيد حياة أبيه ساعيا فيما يرضي ظاهره، استخلفه والده بقطر تادلا وغيره حسبما أوضحنا ذلك في «المنزع اللطيف» ولم يسمع عنه ما يريب مدة تقلباته في أطوار الخلافة على والده، وسيره مبسوطة بوافر العطاء الشامل للقاصي والداني.

ولما نقل الله والده إليه - وذلك يوم السبت ثامن عشرين رجب عام تسعة وثلاثين ومائة وألف - اجتمع رأي قواد العبيد ذوي الشوكة وأبطال الودايا ورؤسائها ثم العلماء والأشراف والوزراء والكتاب وصدور الدولة على بيعة المترجمْ فبايعوه بإلزام لهم من العبيد وزرعوا بيعته بذر الفوضي والعتو، وأوقدوا نيران الفتن.

وحملهم على اختيار المترجم دون باقي إخوته ما عرف به من الجود والبذل الواسع، حتى إن الأسير الإنجليزى البحرى «تومابلودام» حكى فى رحلته المطبوعة باللغة الإنجليزية أن العسكر فرحوا بتوليته لكونه كان يسدل لهم جم العطاء، ولم يكن والده عهد إليه كما زعم الزياني، فقد ذكر صاحب «الجيش» أن السلطان العادل مولانا سليمان كان يحكي لهم مرارًا أن مولانا إسماعيل لما أيقن بالموت دعا رفيقه وعالم حضرته أبا العباس اليحمدي وأكد عليه في أن يشير عليه بمن يصلح للولاية على المسلمين من بعده، وكان آخر الأمر بعد الممانعة التامة قوله: يا مولانا، اعلم أنه ليس لك ولد، أَوْلا ولد لك. فقال له السلطان صدقت والله، وودعه وخرج ولم يعهد لأحد، قال: وكان مولانا سليمان يحكي ذلك في شأن بعض أولاده، وأما قول الزياني: إن مولاي أحمد ولي العهد فليس كذلك، ومن العجب أنه قال إنه سمع هذه الحكاية من مولانا سليمان كما سمعناها منه ولا بعد فيه ثم يقول: إنه ولي العهد، مع أن مولاي أحمد رحمه الله قيل إنه كان لا ينفع نفسه لعدم صحوه فهو طافح دائما. انتهى.

ولم يعرج على العهد له في «درة السلوك وريحانة العلماء والملوك» مؤلفه العلامة الأصيل، المفوه الجليل، مولانا عبد السلام بن السلطان الأعظم سيدي محمد بن عبد الله، ورب البيت أدري بما فيه، وأهل مكة أدري بشعابها، ولا سند ولا سلف للزياني فيما تقوّله واختلقه، وإنما التقديم والتأخير إذ ذاك كان بيد العبيد حسب أغراضهم الشخصية حسبما علم بالاستقرار من أحوالهم الاستبدادية: أشاعوا أن والده عهد إليه كي لا تتشوف نفوس إخوته لمنازعته الأمر، واختلقوا له طابعا باسمه وكتبوا عدة مكاتب لسائر البقاع المغربية وطبعوها بطابعه مظهرين أن والده عهد إليه بالخلافة من بعده، وموهين بما كان له من الحظوة والمكانة مدة خلافته لديه، وأنه لم يحفظ عنه إذ ذاك ما يدنس سمعته أو ينتقد عليه، وأوعدوا من شق عصا طاعته بما يلزم البغاة المحاربين، وصرحوا بكينونتهم عند أمره في الشدة والرخاء والمنشط والمكره، والحال أنهم مصرون على خلاف ذلك إن لم يكن رهين نظرهم.

ولما شاهد أهل مكناس الجد من المترجم وأنه عزم على تدمير مدينتهم بما نصبه عليها من المدافع -حسبما ذكر ذلك الأسير تومى الإنجليزي في رحلته ونقله عنه مختصر الرحلة صحيفة ٩ - بايعوه خوفا من تدمير المدافع وصولة العبيد وقواهم على الامتثال ما سمعوا المترجم يعلن به من أنه لا يقبض من الرعية غير الزكوات والأعشار فتمت له البيعة بمكناس.

وبلغ نعي والده أهل فاس - وقد كانوا قاموا قومة شنعاء في وجه عاملهم أبي على الروسي - فاجتمع العلماء والأعيان وذوو الحل والإبرام بالضريح الإدريسي الأزهر وبايعوا المترجم وأوفدوا عليه ببيعتهم للعاصمة المكناسة جماعة مؤلفة من وجوه الأشراف والعلماء والتجار وذوي الحيثيات، وقلوبهم مملوءة رعباً بما صدر منهم من الإيقاع بعاملهم المذكور ونهب أمواله، معتقدين أنه يقابلهم بما يقابل به من ارتكب ما ارتكبوه من الإجرام لا يدرون أي باب من أبواب الاعتزار

يلجون، ولما مثلوا بين يديه لم يبال بما اقترفوه ولا رفع لافتياتهم رأْسا كأنه لم يكن له أدني علم بذلك الحادث الجلل، مع أنهم قتلوا العامل وثمانين من أصحابه كما في اختصار رحلة تومي الإنجليزي. بَلْ هشَّ، وبشَّ، وأَكرم، وعظم، وخص كل واحد على حدته بعطاء له بال، وأَجري عليهم ببلادهم جرايات مشاهرة ومسانهة ورشح الفقيه السيد محمد المسكيني لقضاء فاس والطيب المريني لحسبتها ولعمالتها القائد محجوب العلج، ورجع الوفد الفاسي يرفل في حلل النشاط والانبساط بعد الخوف والقنوط، وفي اختصار رحلة تومي الإنجليزي التصريح بأن أهل فاس تأخروا عن البيعة، ولعله شيء تخرصه أو تأخر نسبي، وإلا فسياق أحواله يقتضي أنهم بادروا بالبيعة قبل غيرهم والله اعلم.

ثم وردت البيعات من سائر الأصقاع المغربية على الحضرة السلطانية وتلقي الوافدين على اختلاف طبقاتهم بكل بشاشة وطلاقة، وأحسن لكل فرد منهم على حدته، وأَكرم مثواه، وأَتبعه الكرامة حيث سار ورد كلا على منصبه الذي تركه فيه والده وأَفاض المال ووصل سائر الرعية بصلات سنية فأَحبته القلوب واطمأنت النفوس وابتهجت وفرحت الرعية واستبشرت.

ولما رأَي العبيد أن الملك لازال قائما تسوسه ساساته المهرة الذين حنكتهم التجارب وأَثمرت غروس الإخلاص والصدق للملك في قلوبهم ونبذهم مخازي الشهوة والأغراض الشخصية وراءهم ظهريا، طبق حال تنظيم المملكة أيام والد المترجم،أَظلم الجو في أعينهم حيث حيل بينهم وبين ما يشتهون من نهب بيوت الأموال، وجعل الإمرة أُلعوبة بين أيديهم وكبر ذلك عليهم، وعلموا أَنه لا سبيل لتحصيلهم على أعراضهم الفاسدة ما دامت المناصب عامرة بأربابها ذوي النجدة والأفعال السديدة والآراء المصيبة والسياسة المؤسسة البنيان، على تقوي من الله ورضوان.

واتفق رأي كبرائهم على أَن يوسوسوا للسلطان في أركان الملك ويختلفون لهم معايب يلصقونها بجنبهم ويدسون لهم دسائس حتى يوغروا قلب السلطان

عليهم ويبالغون جهدهم وطاقتهم في إغرائه على قتلهم وتظافروا على ذلك: فصار كل من اجتمع منهم مع السلطان يبدي له دسائس في قوالب نصائح ويقول له يا سيدي: إن ملكك لازال إلى الآن لم يتم، ولا يؤمن عليك من هؤلاء العمال والوزراء والكتاب الذين كانت بيدهم مقاليد الملك أيام والدك، فإنهم لا يرونك شيئا وأنت محجوب بهم عن الرعية، ولابد من قيامهم عليك وتقديم غيرك من إخوتك وترشيحه للملك دونك، وكان المترجم يميل إليهم كل الميل لضعف فكرته عن السياسة، وتدبير أمر الملك والرياسة، أي ولكونه مغلوبا على أمره يخاف بأسهم ولا يري رأيا إلا رأيهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا.

ولما تمكنوا منه وأوغروا صدره على من بيده الحل والإبرام من ولاة أمره وأمر والده من قبله أغروه أي بعد أَن أَقاموا له الحجج على الفتك بأركان السياسة الذين هم للملك عماد كأبي العباس أحمد بن على اليازغي وكان عامل الجبال كلها سهلها ووعرها نافذ الحكم فيها، يرسل رسولا واحد في قضايا متعددة فتنفذ الأوامر كلها وفق ما أمر في أقرب الأوقات، ويأتي الرجل الواحد إليه بالمساجين العديدة من صياصي الجبل والقبائل العظيمة من غير قيد ولا يحدث أحد نفسه بالهروب لعلمه بنفوذ كلمته وطول يده في طول البلاد والعرض، وأنه لات حين مناص، وقد كان هذا العامل ناصحا للسلطان يجمع المال من وجوهه ويودعه في خزائن السلطان يبذل النصح ولا يعرف غشا ولا خديعة، وكان السلطان مولانا إسماعيل يعرف أمانته وصدقه وينزله منزلته ويقدره قدره ولا يسمع فيه مقالة طاعن.

وعلى بن يش: وكان قائد أهل الديوان وعامل البربر ورئيس العمال، وكان من ذوي الرأي والتدبير والعقل الراسخ، لا يقدر أحد من البربر أَن يملك فرسا ولا مكحلة ولا يحوم حول ذلك، وبسبب ذلك صارت رءوس الجبال البربرية الصعبة المسالك تمر فيها الأطفال وضعاف النساء في أمان واطمئنان لا يلحقهم أدني مروع

ولا مشوش.

وابن الأشقر: وكان عاملا على جبل زَرْهُون، وعلى يده أعشار البوادي والحواضر من زروع ومواشي وزيوت وغير ذلك، وكان عليه مدار الجيوش، وإليه مرجع أمرها ذا رأْي مصيب وثبات ونصح وإخلاص وتيقظ وحزم وعزم.

وحاجبه المملوك الخصي مرجان الكبير وكان بيده دفتر الداخل والخارج لا يطلع على ذلك غيره قريب أو بعيد، وكان العارف بالعوائد الجارية في الصلات مسانهة ومشاهرة، وما يدفع للجيوش وغيرهم في الأعياد والمواسم وغيرها لا يعرف ضبط ذلك وتحقيقه غيره، وقد كان محور شئون الدولة على هؤلاء الأربعة يدور لتحقق متبوعهم صدقهم وأمانتهم وسياستهم وكياستهم وعلمهم من أين تؤكل الكتف بعد السبر والامتحان والاختبار.

وبموت هؤلاء الأربعة اختل النظام وضربت الفوضي والاستبداد الأطناب، ووقع من العامة استخفاف عظيم بأمر المملكة واشتد النهب في الطرقات وأُغلقت المسالك، ولم يأمن المسافر من الوقوع في المهالك.

وحصل أهل الزيغ على غاية مناهم وكثرت الشكوي بباب السلطان والسلطان داخل قصوره ضارب صفحا عما وراء بابه لا يسمع شكوي ولا ينتصر لمظلوم من ظالم، أي لكونه أَسند الأمر لرؤساء العبيد المتعصبين، وذوي السلطة ومن لا ينفذ له أمر دونهم.

ومن جملة من قتلوه وصلبوه الفقيه العلامة القاضي الوزير السيد محمد بن

---

(١) وكذا رواية صاحب الاستقصا ٧/ ٥٨ - ولديه: والحرطانى معناه فى عرف أهل المغرب: العتيق، وأصله الحر الثانى كأن الحر الأصلى حُرّ أول، وهذا العتيق حُرّ ثان، ثم كثر استعماله على الألسنة فقيل الحرطانى على ضرب من التخفيف.

العياشي الذي كان بيده دواوين الحراطين[1].

ثم نظروا فيمن بقي شجي في نحورهم يحول بينهم وبين تمام مرادهم فلم يجدوا غير الحاجب المملوك الخصي مرجان الصغير فقتلوه، ثم قتلوا عامل مكناسة ابن عدو، ثم أشاروا بقتل من بقي ممن يشار إليه بجودة الرأي وحسن التدبير، والنصح للأمير، حتى خلا لهم الجو واتسع الخرق على المرتق.

فبموت أحمد بن على اليازغي ثار أهل الجبال وأُضرمت نيران العتو والفساد ورفضت الأوامر السلطانية وانقطعت الجبايات وانتشر العيث والنهب في الطرق واتبعت الأهواء.

وبموت على بن يشو خرج البرابر من السلاسل والأغلال وتنافسوا فى اشتراء الخيل والسلاح، ورجعوا لحالتهم الأولى من سفك الدماء وقطع الطرقات، ولم يبق لهم زاجر ولا رادع.

وبموت ابن الأشقر كف الزراهنة عن الأداءات وتحصنوا بجبلهم خوفا من البربر وصمموا على قتال من أتاهم وضاعت أعشار القبائل وزكواتهم ولم يعرف منها نقير ولا قطمير.

وبقتل مرجان الكبير جهل الخارج ولم يدر قدر الداخل وأُحرقت الدفاتر الحافظة لذلك، وبسبب ذلك نال العبيد مناهم وحصلوا على ضالتهم المنشودة.

ولما اختل النظام وتفاحشت المظالم وأكل القوي الضعيف واضطربت الأحوال، واشتبكت الأهوال، وثارت الثوار بسائر النواحي خرج المترجم من دار الملك وأفاض المال وزاد للعبيد فوق المعتاد ظنا منه أن ذلك يجدي في رتق ذلك الفتق العظيم، ثم رجع لقصوره أي حيث رأَي أنه لا سبيل له لأكثر مما فعل.

قال في «نشر المثاني» ووقعت هدنة بين الناس عن الحرب، إلاّ أن أهل فاس رفضوا جميع ما كان يجري عليهم من الوظائف السلطانية وحملوا الأسلحة وركبوا الخيل، وضج الناس بالفرح والسرور، واشتغلوا بالملاهي في النزهات والتأنق في

(١) في نشر المثانى: «والهذيان».

اللباس والجلوس في الطرقات أفواجا مقبلين على اللهو واللعب والسريان[1] في كل متسع من أزقة فاس، ولم يبق للأحكام السلطانية نفوذ فيها بل في سائر المغرب، وليس للسلطان سوى الدعاء على المنابر والاسم، وكمل العام كله على هذه الحالة - يعني عام تسعة وثلاثين - وكثر في المغرب الفتن والأهوال فكان هذا هو الأصل في الفتن التي ظهرت بعده. اهـ. من النسخة الصحيحة من نشر المثاني[1] قاله في الدر المنتخب.

ومن جملة من ثار، وسعي في الأرض الفساد من الثوار: أحمد بن على الريفي واللصوص وقطاع الطريق ونهض بتلك الجيوش يريد دخول تطاوين ومبايعة أهلها له - وقائدهم إذ ذاك عمر الوقاش آتي الترجمة في حرف العين بحول الله وقوته - فقابلوه بأفواه القنابل ووقع بينهما قتال عظيم مات فيه كثير من الفريقين، قيل إنه دخلها وهمّ بأهلها فانتصروا عليه وصدوه.

والذي صححه في «الدر المنتخب» أنه لم يدخلها، وأن الكرة كانت عليه من أول الأمر، ودعا الوقاش لنفسه وكثر الهرج والمرج واشتعلت نيران الفتن، وكتب أهل تطاوين للسلطان المترجم وقصوا عليه القصص وشرحوا له ما هم فيه من الضيق والحرج وطلبوا نصرته وتعزيزهم بجيش ينكس أعلام البغاة المتمردين ويكسر شوكتهم كي ترجع المياه إلى مجاريها ويستتب الأمن في تلك الناحية.

ولما وصلته رسلهم بالكتاب وعلم فحواه، وأحاط علما بسره ونجواه عرضه على المسيطرين عليه من أعيان العبيد وهو إذ ذاك مضروب بأعلى يده من جانبهم فأجابوه بأن هذا الأمر لا يهم ولا يرفع إليه رأس، لأن عادة أهل الريف مع جيرانهم العداوة والقتال دائما، ولو علمنا أن الريفي ادعي هذا الدعوى لبادرنا إلى قتاله وأبدناه بجيوشه وصيرنا جميعهم في خبر كان، فاستصوب رأيهم قائلا هذا رأيي، ولم يدر أنهم إنما تنصلوا خوفا على أنفسهم وركونا للراحة لعلمهم أن الجيش الذي يبعثه السلطان لا يكون إلا منهم، فاختاروا الراحة وأعرضوا عن

(١) نشر المثاني - ص٢٠٠٠ في موسوعة أعلام المغرب.

مصـالح الإسلام والمسلمين، وبقيت رسل أهل تـطوان منبوذة بالعراء لم يبـال بها أحد مسندًا الأمر لغير أهله، وإذا أُخبـر بحادث جلل، يقول: كل ما قدر الرحمن مفعول.

ولما رجع رسل تطوان إلى بلدهم وأخبروهم بحقيقة الحال وأَنه لاسلطان في الحقيـقة، وإنما هي فوضي منتظمـة من شهاوي وأغراض قامـوا في تحصين بلادهم على ساق واشتد القـتال بين الريفي والقبائل التي أبت من متـابعته على هواه وكان النصر حليفهم والخذلان قرين الريفي إلى أن قتل وأَراح الله منه البلاد والعباد.

وفي اختصار «رحلة تومي» الإنجليزي صحائف ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ما فيه بعض مخالفة لما ذكره صاحب «الدر المنتخب» في الجملة وذلك أنه حكي أن الباشـا أحمد هو الـذي كان عامـلا على تطوان، وأن أهل تطوان ومجـاوريها من الجبال هم الـذين قاموا على العامل المذكـور مع رئيس الفتنة إذْ ذَاك بليز، فـقاموا على الريفيين ونهبوا أموالهم وقتلو منهـم من لم يدخل معهم في افتياتهم، فطلب الباشـا أحمـد الريفي الإعانة على أهل الجـبال ومن أَقـاموا الفـتنة من أهل تطوان فامتنعـوا، فعند ذلك وجه إليهم عـسكر سبتة فـامتنعوا من تلبيـته وأن أخاه والي طنجة لما علم بما ذكـر لحق بأخيه أحمـد المذكور في خمسمـائة فارس، ولما وصل تطاوين ولاه أخوه أحمـد مكانه بتطاوين وترك معه أدالة من العبـيد وخرج هو في أثر الثائرين، ثم إن أهل تطاوين لم يقـبلوا أخا الباشا عـاملا عليهم فـحصروه في داره وعند ذلك أَمر الأخ الذي بتطاوين بإيقاد النار في دار البارود فانهدت وانهد ما حولها من الدور، ثم هرب العامل مع لفـيف من أصحابه إلى بعض الأضرحة، ثم إلى طنجة، وأن أهل تطاوين أكلـوا داره ونهبوا أجنته وأمـتعتـه، ووجهوا بيعـتهم للذهبي وأخبروه بأن سبب قيامهم على العامل هو ظلمه لهم فليحرر.

ولما علمت القبـائل حقيـقة ما صـار إليه الأمر بعد الـسلطان الأعظم مولانا إسماعيل نبذوا الأوامر السلطانية وراءهم ظهريا وامتطوا متن الاستبداد، وماجوا في

الأرض بالفساد، وأكل القوي الضعيف واشتدت شوكة البربر وعظمت ولم يبق إلا النهب والسلب واشتد الضيق بمكناسة والسلطان بهـا، حتى صار خارجها مسلوبا، وداخلها منهوبا، تغير البرابر على سرحها وتمنع أهلها من العمل بجنتها.

ولما تيقن العبـيد أن السيل بلغ الزبى، أَجمعـوا رأيهم على أنه لابد من شد الوطأة على مـتـمردة الـبرابر وكـسـر شـوكتـهم قـائلين إنهم آذونا وآذوا جـوارنا واستضعفونا، ونحن ما مات سـيدنا حتى تركنا أصحاب قوة وبأس شديد، يذيب رعبنا الحديد، فركب منهم ما يزيد على الخميس ألفا وأَغاروا على سرح البرابر في سائر الجهات والنواحي ورجعوا لمكناسة مـن غير أن يتعرض لهم بربري ثم اجتمع رءُوس البربر ووجوه العبيـد واتفق رأيهم على أن البرابر لا يتعرض لهم أحد داخل المدينة ولا خارجها، وأن البرابر لا يتعـرضون لمن أَتي لمكناسة ولا لمن خرج منها. انتهى، ما يعـول عليه مما ساقه أيضا في «الدر المنتخب» وهذا بـعض ما جري عام تسعة وثلاثين الذي جلس فيه المترجم على عرش مملكة والده المقدس.

أما عـام أربعين فقـد قال العـلامة المؤرخ ابن إبراهيم الدكـالي في «تقـاليد التاريخية» ما نصه: وفي ضحي يوم الخميس رابع عشر ربيع الأول عام أربعين أغار الوداية على سوق الخميس، واشـتغلوا بالسلب والنهب وضربوا الناس بالرصاص، فانتدب أهل فاس لقتالهم من الـزوال إلى الغروب من جهة المرس، فقبض الأوداية على بعض أهل فاس وسـجنوهم بفاس الجـديد، وفي آخر النهار أخـذ أهل فاس قصبة شراكة واستولوا عليها.

ثم بالغد وقع قتال أيضا بظهر الرمكة، ثم يوم السبت وقع قتال بينهم بناحية بستيون باب الجيسة وكانت الغلبة لأهل فاس.

ثم وقع الصلح بينهم يوم الأحـد وذلك بروضة سـيدي أبي بكر بن الـعربي نفع الله به وسرحوا المسجونين بعد أَن قتلوا منهم طائفة، ثم أخذ الأوداية في قطع

الطريق.

ومن الغد جاء كتاب من عنـد السلطان يسأل عن الظالم من الفريقين وقرئي بمنبر مـولانا إدريس، ثم لما سمع الحياينة وشـراكة وأولاد جامع بهـذا الأمر جاءوا إعانة لأهل فاس ظنا منهم أن ما فعله الأوداية ليس بإذن السلطان، فلما تحققوا أن ذلك بإذنه انصرفـوا لمواضعهم وبقـي الأمر يروج إلى يوم الأربعاء الموفي عـشرين خرج الأشراف والعلماء بقصد الملاقاة مع السلطان.

وفي يوم الخمـيس بعده وقع قتـال بباب الفـتوح وحضـر فيه الحـياينة ومن انضاف إليـهم وبقي من خيل الأوداية نحـو من ستة وثلاثين، ووقع قـتال بالوادي المالح بباب الجيسة يوم السبت الثالث والعشرين من الشهر ومات فيه من أهل فاس نحو الستة.

وفي الرابع والعشرين جاء شـريف ممن ذهب لملاقاة السلطان وأخبر أنهم لم يتلاقوا مع السلطان وأن على ويش أمر بهم فسـجنوا إلا هذا الشريف بخصوصه، وجاء كتـاب من أُخت الأمير تهددهم فـيه وتذكر أُمورًا تقـتضي أنهم ظالمون، ثم أَجاب أهل فاس عن الكـتاب المذكور وبقي الأمر يروج إلى يوم الثـامن والعشرين قدم جماعة من عبـيد مشرع الرملة يبحثون عن حقيقـة الأمر لأن الوداية كتبوا لهم أَن أهل فاس شـقوا العـصا على السلطان، فـأضافـهم أهل فاس أحـسن ضيـافة وأَخبـروهم بحقيقـة الأمر، وانصرفـوا يوم السبت الموفي ثلاثين، وفي عشـية هذا اليوم وقع قـتال مع محلة جاءت من عند السلطان قـرب بستيون باب الفـتوح ولم يمت فيه أحد من أهل فاس.

ثم صار السلطان يبعث البعوث ويكثر الجيوش لحصار فاس وأمرهم بالتضييق على أهلهـا وقطع عنهم الداخل والخـارج وركب الأنفـاض والمهاريـز ليرمي بهـا البمب.

وفي ثاني ربيع الثـاني رمي البمب على فاس سـبع مرات ولم تضـر أحدا، وركب أهل فاس نفـضا بالزيات يرمي لناحـية المحلة النازلة بظهـر الرمكة ثم كتب أهل فاس كتابا لعبيد مشرع الرملة.

وفي زوال يوم الأربعاء رابع الشهر المذكور وقع القتال أيضا بقنطرة ابن طاطو مات فيه من أهل فاس نحو الستة.

ومن الغد وقع قـتال كـبير واشـتد من الزوال إلى الغروب بـالموضع المذكور ومات فيـه من أهل فاس نحو الثمـانية ومن غيرهم عدد كـثير، وفي صبـيحة هذا اليوم هدم أهل فاس المنزه الذي بدار أبي على الروسي ونهبوا دار صهره المزوار.

وفي الثاني عشـر من الشهر كان قتال كـبير بناحية باب الحـديد، وامتد من الضحي إلى الغروب، مـات فيه من أهل فاس نحو الثمانيـة ومن غيرهم من أهل المحلة نحـو أربعين رجلا ونحـو الثلاثين من الخـيل. وفي عشـية هذا اليـوم قدم الأشراف الذين كـانوا مسجـونين بمكناسة ومـعهم مولاي المسـتضيء[1] وأشراف مكناسة ليوقـعوا الصلح بين الفريقين، ثم ذهب مولاي المستضيء مـع جماعة من أعيان أهـل فاس من أشراف وعلماء وتلاقـوا مع السلطان ففرح بهم وسامـحهم، وقال لهم: أُرسل ولدي يسكن مـعكم وهو أمان بيني وبينكم، وقـدم الذين ذهبوا مع مولاي المسـتضيء يوم الأربعـاء الثالث والعـشرين من ربيع الثـاني المذكور بين المغرب والعـشاء وضجت المدينة وظنوا أَنهم عَـدُوّ فتبين خلاف ذلك بعـد ما وقع الحزام[2].

وفي السادس والعشرين ورد أبو فارس ولذا السلطان، وتلقاه الناس بظهر هو بالناس، ثم إن بعض الشيـاطين من الناس أَسرّ في أُذنيه أن أهل فاس عـزموا على

---

(١) في نشـر المثـاني - ص٢٠٠٤ في مـوسـوعـة أعـلام المغـرب، إشـارة إلى بعض هذه الأحداث.

(٢) في هامش المطبوع: «يريد بالحزام أخذ الأهبـة - وسيعيد هذا المؤرخ - أعنى ابن إبراهيم - مثل هذا التعبير العامي.

قتلك إن دخلت إليهم فنكص على عـقبيه وولى هاربا، فوقعـت رجفة وأخذ أهل فاس بعـض أصحابه وقـتلوه وبات مولاي أبو فـارس بالمحلة وتغيـر الناس لذلك وبالغد أرسلو إليه وألانوا له القول واصطلحوا معه وأتي إلى المدينة معهم.

وفي التاسع من جمادي الأول رحلت المحلة عن فاس بعد ما أصابتهم المشقة العظيمة من الكور والبـمب. وفي يوم السبت الثالث عشر من الشهـر خرج القائد المحجوب هاربا، وقد كان أهل فاس أعطوه الأمان حين كان القتال مع السلطان.

وفي عشية هذا اليوم وقع الشر أيضا بين أهل فاس والوداية عند بستيون باب الجيسة.

وفي العشرين كان آخر شر بالمحل المذكور وامتد إلى الغروب ومات كثير من الوادية ومن أهل فاس نحو خمسة عشر رجلا وجرح كثير منهم.

وفي الثالث والعشـرين كان شر كبير عند باب الجـيف بفاس الجديد، وذلك أن أهل فاس اتفقـوا أن يذهبوا لفاس الجديد ويأخذوها قـهرا، فتحزمـوا وخرجوا على ظهـر الرمكة بعدد كـثيـر، فلما رآهـم الوداية أيقنوا بالهلاك وتحـققـوا أنهم لايقـدرون على مـلاقاتهـم، ثم إن الله تعـالى ألقى في قلوب أهل فـاس الرعب فرجعوا من حينهم هاربين وتبعهم الوداية بالقتل والضرب والسلب والنهب، ومات منهم ما بين مفقود وساقط في الوادي ومقتول ما ينيف على عشرين.

وفي يوم السبت خـامس جمادي الثـانية وقع قتـال بوادي المالح خارج باب الجيسة، واشتد من الزوال إلى الليل مـات من أهل فاس نحو العشرين ومن الوداية أكثر من ذلك.

وفي ليلة الجمعة الخامس والعشرين رموا على فاس سبعة من البمب.

ومن الغد وقع أيضـا شر بالوادي المالح فـجاء الوداية بعدد كـثير وانهـزموا

وقطع منهم أهل فـاس رءوسا وقتلوا منـهم ما يزيد على الأربعين، وأمـا الجرحى فكثير، ومات من أهـل فاس نحو العشرة، ثم في هذا اليوم نفـسه رموا على فاس تسعة من البمب ونزلت في المواضع الخالية، ثم رموا في يومين بين ليل ونهار نحو الثلاثين، ثم رموا تسعا.

وفي يوم الجمـعـة ثاني رجـب وقع حزام قـبل الصـلاة، وأخـرج القـائد عبـد الوهاب الناس من المسـجد خـوفا على المدينة، وترك خطيب الأندلس نـصر السلطان في الخطبة ونصره خطيب القرويين.

وفي رابع رجب وقع شر كبـير لم ير مثله ومع الوداية قبائل كثـيرة مات من أهل فاس نحو اثني عشر رجلا.

ومن الغد رموا اثني عشر من البمب.

وفي سادس الشـهر جاء جـيش عظيم وأَحاطوا بالمدينـة واجتمـعوا بدار ابن عمـرو وجاء موسي الجـراري إلى باب الجيسـة وبعث رسولا يطلب الأمـان حتى يتكلم مع علماء فاس، فـأجابوه لذلك وتكلموا معه حتى لم يجـد حجة وانصرف مع العصر يريد أن يصلح أهل فاس مع السلطان.

وفي الثاني عشر رجب خرج علماء أهل فاس وأشرافها وجماعة من الأعيان صحبة موسي الجراري بعد ما أعطاهم رهائن من قومه تركهم بفاس وقدموا لمكناسة ولم يتلاقـوا مع السلطان وإنما تلاقوا مع الدائرة ولم يحصلوا على طائل ورجـعوا لفاس تاسع عشر الشهر المذكور.

وفي السابع والعشرين فتح بعض رؤساء فـاس باب الفتوح ليلا وأَخرج منها بعض أحمـال السلع بقصد التجـارة على يد بعض أشراف تافيـلالت، وقبض من صاحبها نحو العشرة مثاقيل ثم بلغ الخبر للجماعة فأرادوا الانتقام ممن فعله فوقعت

فيـه الشفاعـة، وكان ممن أَراد الانتقـام منه مولاي عبـد الله بن إدريس وأراد عزل الغرناطي فلم تساعده الجماعـة، فبعث إلى موسي الجراري وقال له: إن أهل فاس أَرادوا مولاي إدريس فأخذت الجماعة بخاطره حتى سكن.

وفي يوم الخميس التـاسع والعشرين من الشهر وقع شر كـبير بالوادي المالح مات من أهل فاس نحـو الثلاثين، وجرح نحو الخمـسين، ومات من الوداية نحو ثلاثمائة وجـرح نحو الثمانين، وصـاروا يرمون البمب في اليـومين بعد على أهل فاس.

اهـ، ما ذكره ابن إبراهيم ونحوه في نشر المثاني.

قال في «الدر المنتخب» ولمـا ترك الأمير ما كان عليـه والده من القوة وحسن التدبير في الأمـور وقع في النكبات، حتى عزل ولم يبق إليـه التفات، وهكذا يقع لكل ملك ترك التدبير، وعدم التفرقة بين الأمر اليـسير والعسير، اجتمع أهل فاس وغيـرهم من أعيـان القبـائل وصناديدهم - غيـر الأوداية لم تنتظم في سلكهم - واتفق رأْيهم على خلع المترجم وبيعة غيره ممن يقوم بأُمور المسلمين من إخوته[1]. ولما وصل الخبر بالعبيد تيقنوا أنهم إذا لم يبـادروا للدخول فيما دخل إليه أهل فاس ومن انضم إليـهم يخرج الأمـر من أيديهم وينبذون بالعـراء ويحال بينهـم وبين ما يشتهون من الاسـتبداد ونهب بيوت الأموال وأكل أموال الناس بالباطل، فـأَجمعوا أمرهم بينهم وتفاوضوا في تدبيـر حيلة يدخلون بها على أهل فاس ومن انتظم في سلكهم من عصبة القبائل، ورأَوا أَن لاحيلة تخلصهم إلا إظهار الأنفة والضجر من المترجم وتصمـيم العزم على خلعه لعجزه عن القـيام بتدبير أُمور الرعـية حتى عم الفساد وضـربت الفوضي في سائر الإيالة الأطناب، وكتـبوا لأهل فاس والوداية، بأن السلطان عجز عن الولاية، وأَنه لابد من تقـديم من يقوم بأُمور المسلمين، من

(١) نشر المثاني - ص ٢٠٠٥ في موسوعة أعلام المغرب.

نبهاء إخوته المقتدرين، وأن هذا الخرق كان وقوعه منهم وأنهم يريدون جبر كسره على أيديهم وأن مولاي عبد المالك[1] بسوس هو أحق وأولي بالقيام بأعباء الخلافة ورتق ما تسبب فيه أخوه المترجم من الفتق، وأنهم يطلبون من أهل فاس والوداية الموافقة على هذا الأمر الذي فيه صلاح الأمة وغلق باب التهور والافتيات، فاستحسن أهل فاس والوداية ذلك منهم وتمت الحيلة عليهم وأجابوا العبيد بتحبيذ ما رأوا، وأنهم لا خروج لهم عما أبرموه واتفق رأيهم عليه، ففرح العبيد واستبشروا وأرسلوا إلى مولاي عبد المالك بسوس، ولما بلغه الخبر لبي دعوتهم. وأجاب رغبتهم، وجد في المسير وطوى المراحل وصاحب الترجمة في غمرته ساه.

ولما وصل مولاي عبد المالك لوادي بهت واتصل الخبر بالعبيد دخلوا على المترجم لدار ملكه وألقوا عليه القبض وأخرجوه من دار الملك وسجنوه بالدار التي كانت معدة لسكناه قبل ولايته على عهد والده، وأحاطوا به شرذمة من الحرس لحراسته ونادوا بخلعه والضرب على يده، وقيل: إنهم فعلوا به ذلك قبل تعيين السلطان في سابع شعبان، ومن الغد وصل الخبر لفاس.

وفي تاسع شعبان قدم العبيد إلى مشرع الرملة والعلماء والأشراف على فاس فتهيأ أهل فاس لملاقاتهم في ثمانين ألفا من الرماة ورحبوا بهم وأضافوهم أحسن ضيافة، وشرحوا لهم عجز المخلوع عن القيام بمصالح الرعية وما آل إليه بسبب إهماله البلاد والعباد، من انعدام الأمن، وتساقط القوي على الضعيف، وأن رأيهم اجتمع على بيعة أخيه المولي عبد المالك لنجدته وشجاعته وحزمه وعزمه وضبطه وحسن سيرته وسياسته وعدله وميله للسلم والإصلاح بين الناس، وأنهم شهدوا منه ذلك في حياة والده حيث خالف عليه وبويع بتارودانت، ففرح أهل فاس

(١) خبر الخلع للمترجم له: أحمد الذهبي ومبايعة أخيه عبد المالك ورد في نشر المثاني - ص ٢٠٠٥ وما بعدها في موسوعة أعلام المغرب.

بولايته لأنهم حر كوا معه فكان يحسن إليـهم ويواسي ضعيفهم ويصبرهم ويطيب أنفسهم عـلى ما يقاسون من أذي عمـال والده، فتوافق الجمـيع على نصره وخلع أخيه المولي أحمد، وأعلنوا بذلك في الأسواق والأندية، قيل: كان ذلك في عاشر شعبان.

وفي يوم الجـمعـة رابع عـشر منه خطـب به على المنابر في سـائر المساجـد وخلفوا بمكناسة الزيتون ولده، وأبردوا بريدا لمولاي عبد المالك يعلمه بسائر ما وقع ويحثه على تعجيل القدوم عليهم للعاصمة المكناسية، فصار الرسول يطوي المراحل متأبطا المكاتب بشـرح الواقع، وبِفَوْر وصول الخبر لمولاي عبـد المالك أَسرع السير إلى أن حل بالضريح الإدريـسي الأكبر تاسع رمـضان، وهناك لحق به وفد شـرفاء فاس وعلمائهـا وأعيانها ورماتهـا مع القبائل المجاورة لهم فـأَكرم وفادتهم وأَنزلهم بوادي الشجرة بجنان هلال وأفاض عليهم موائد الإنعام والإكرام والصلات الضافية فسروا واستبشروا.

ومن الغد دخل مكناسة فتـلقاه وجوهها على اختلاف طبقـاتهم وقدموا إليه بيعتهم.

وفي الثالث والعشرين من رمضان شرع في قراءة صحيح البخاري في جمع من أعيان العلماء وأَصدر أوامره لجميع القبائل بحضور العيد بحضرته فامتثل الكل فغمرهم موائد وصلات وعوائد.

وفي رابع شوال عزل التماق عن قضاء فاس، وولي مكانه العلامة أبا العباس الشدادي وولي العمالة العربي العسعاسي.

ولما تم له الأمر واسـتقـر على عرش ملكه بمكناس قـام أهل فاس وغـيرهم يطلبون أخذ ثأرهم من أخيه السلطان المترجم وأَلصـقوا به أُمورا زعموا أَنه ارتكبها

تبعا لأهل الظلم والتعدي. قال في «الدر المنتخب» نقلا عن نشر المثاني: إن مولاي عبد المالك، استفتى العلماء فى أمور شنيعة شنعوها على أخيه مولاى أحمد توجب القتل لمن ارتكبها وفعلها، وكثر بها الكلام على الألسنة منها طلب أهل فاس أَن ينصفهم من أخيه مولاي أحمد المذكور بكونهم لم يخرجوا عنه ولا قدرة لهم على ذلك ولا على حرب من يريد ذلك ولا على موافقته بقول ولا فعل، فنهبت اموالهم وحطبت أشجارهم وهدمت دورهم بالبمب، وماتت نساؤهم وأولادهم وآباؤهم وأهلوهم بالهدم، مع أن من ينسب له الخروج عليه لم يتحقق منه ذلك ولم يثبت عليه وانما يدفع عن نفسه الوداية وغيرهم من الجيش الذين كانوا ينهبون أموالهم ويريدون الوثوب على نسائهم كما فعلوا بالبوادي والحواضر فنسبوا الخروج إليهم ليحصلوا ما أَرادوا فيهم، ووشوا بأهل فاس إلى مولاي أحمد ونسبوا لهم الخروج عليه فقبل منهم ذلك من غير ثبوت لهم على أهل فاس، فأَطلق يدهم عليهم فخاض العلماء في ذلك ولم تتفق أقوالهم ولا آراؤهم في شيء فلم يجيبوا عن شيء واتفقوا على أن التفويض في ذلك للسلطان يجتهد ويحكم باجتهاده، فاستشار في ذلك كاتبه أبا عبد الله محمد بن أحمد الفاسي فأجابه بأَنه لم يتم موجب قتله بما طلبه به بعض الضعفاء من أهل فاس من المؤمنين فرجع عما استفتي فيه العلماء من قتله. انتهى.

ثم أَرسل مولاي عبد المالك أخاه الولي أحمد المترجم مسجونا لسجن فاس الجديد، فأُتي به إليه مقيدا بالحديد تاسع الشهر قيل إنه رق له بعد ذلك وسرحه وبقي مسرحا نحو ثمانية أيام، ثم بداله سجنه وإجلاؤه إلى الصحراء ظانا أَنه يستريح منه، وقبض عليه ووجهه في الثامن والعشرين من الشهر المذكور، وأمر ولده بسمل عين عمه المترجم بمجرد وصوله إليه، فكان من لطف الله به أَن بلغه ما أضمر له أخوه القائم عليه فهرب لزاوية أبي عثمان سعيد أحنصال بقبيلة آيت عطة، وكان قيم الزاوية إذ ذاك ولده أبو يعقوب يوسف بن سعيد - وكان من

المحدثين - فأخبره برجوعه لملكه وعود الأمور إليه.

ثم لما بدا للعبيد من المولي عبد المالك مالم يوافق هواهم من التبذير وتفريق الأموال في غير مستحقها بل حتى في مستحقها وقيامه بأمور المملكة بنفسه واستروحوا رائحة عزمه على الايقاع بهم ضاق بهم المتسع وشمروا على ساق في خلعه، ورد المولي أحمد لبسط كفه وإلقائه زمام الملك بأيديهم يتصرفون في الرعايا والجبايات وبيوت الأموال كيف شاء هواهم.

ولما أَحَسَّ بذلك المولي عبد المالك أَخذ في الاحتياط لنفسه وتربص الدوائر بهم، ولكن بادت حيله ولم تغن عنه احتياطاته شيئا كما سيقص عليك في ترجمته بعد بحول الله.

وفي صبيحة عيد الأضحى من العام أعلن العبيد بخلع ربقة بيعته من أعناقهم ومنعوا خطيب مشرع الرملة من التعرض لذكره في خطبته وأَلزموه ذكر مولاي أحمد المترجم وطيروا الإعلام إليه، ولما اتصل به الخبر أسرع المسير إليهم وفي معيته صاحب الزاوية الحنصالية المذكور وقد انضم إليهم بنو حسن وتحالفوا وتعاقدوا على بيعته والموت تحت رايته وارتحلوا جميعا إلى مكناسة حيث عرش المملكة، فهم المولي عبد المالك بالبروز إليهم ومقاتلتهم، فجهر الوداية بالخروج عليه وبيعة أخيه وشرعوا فورا في قتال جيشه، ولحق بهم العبيد إلى مكناسة يوم الاثنين رابع عشري ذي الحجة عام أربعين[1].

ثم نادي بعض رؤساء العبيد على بعض من بباب قصبة السلطان الموالي للقبة الخضراء بنصر أخيه مولاي عبد الله وكانت خناثة بنت[2] بكار المغفري - زوجة مولانا إسماعيل - هي الساكنة بتلك الدار الموالية لذلك الباب، فلما سمعت النداء بنصر ولدها فتحت الباب من ناحيتها فبينما الناس يقاتلون بنواحي مكناسة إذ

(١) نشر المثاني - ص ٢٠٠٨ في موسوعة أعلام المغرب.

(٢) في نشر المثاني الذي ينقل عنه المصنف «خناته» وفى الاستقصا ٧/ ٥٨: «خناثى بنت بكار المغفرى».

سمعوا بدخول العبيد للقصبة فسقط في أيديهم، وخرج السلطان ناجيا بنفسه في نحو ثلاثمائة من أصحابه، وسلك غير طريق فاس المشهورة، ووقع في القصبة نهب عظيم وأعادواالغارة على مكناسة بمثل ذلك نهبا وسبيا وهتكا للحرمات، وارتكاب سائر المحرمات، وكان ذلك ثاني اليوم المذكور(١).

ولما وصل مولاي عبد المالك أبواب فاس اضطرب رأي أهلها، فمنهم من رأَي أن الأولي صده عن الدخول إليها لعجزهم عن مقاومة حرب العبيد الساعين في الأرض الفساد، وخافوا أن يوقعوا بهم ما أَوقعوه بمكناس وقصبته، ورأي السواد الأعظم منهم دخوله والمقاتلة دونه، لأنه الخليفة الذي بيعته في أعناقهم وطاعته واجبة عليهم والحال أَنه بين أظهرهم فأدخلوه واستوطن دار القيطون، وما رأَى الجمهور من إدخاله هو رأْي جل علمائهم، وانضم إلى أهل فاس كل من لم يخرج عن المولي عبد الملك من القبائل على ما سيبين في محله بحول الله(٢).

وقيل: إن مولاي أحمد المترجم وصل مكناسة في أواخر ذي الحجة من العام المذكور، وأن مولاي عبد المالك لما فر ترك رماة أهل فاس بقصبة مكناسة وكانوا نحو الألفين، وأن مولاي أحمد لما حل بمكناس قبض على الرماة المذكورين وقيدهم وأَودعهم بالسراديب رجاء أَن يرجع أهل فاس إلى طاعته، ولما اتصل الخبر بأهل فاس خرجوا خيلا ورجالا إلى زواغة ونهبوا للوداية جميع ما وجدوه من الماشية، وجاءوا بذلك لفاس، فبيع الكبش بثلاث موزونات والبقر بثماني عشرة موزونة فاستغاث الوداية بإخوانهم الحالين بمكناس والعبيد.

وفي أول يوم من المحرم جاء المولي أحمد لقتال فاس بجنود لا حصر لها وهم لا يشكون في دخول فاس والإيقاع بأهلها أفظع مما فعلوه بمكناس، ثم بدا

(١) نشر المثاني – ص ٢٠٠٨ في موسوعة أعلام المغرب.

(٢) نشر المثاني – ص ٢٠٠٨ في موسوعة أعلام المغرب.

لمولاي أحمد أن يوجه القائد صالح الليريني قائد الرماة المسجونين بكتاب لأهل فاس يحذرهم ما صنعوا ويغريهم على بيعة المترجم والدخول تحت طاعته، ويعدهم بتسريح إخوانهم الرماة المسجونين، ولما وصل الليريني إليهم وقرءوا الكتاب المذكور وثبوا على الليريني فقتلوه وصلبوه على التوتة الكائنة بسوق الصفارين، وقتلوا الحاج الخياط عديل بداره بالمعادي، وتمادوا على قتل كل من ذكر المترجم حتى لم يبق لاسمه ذكر بفاس.

وفي سادس محرم نودي في وقت الصلاة بهجوم العدو وخرج الناس من المساجد وصلوا الجمعة ظهرا فكشف الغيب أن لا عدو فاطمأنوا وأقاموا صلاة الجمعة وخطبوا بمولاي عبد المالك.

وفي يوم السبت سابع محرم وقع قتال كبير بين أهل فاس والوداية والعبيد، مات من أهل فاس نحو ثمانية وجرح نحو العشرين، ومات من الوداية ومن انضم إليهم نحو أربعمائة.

قال في «نشر المثاني» وفي تاسع المحرم قدم على السلطان مولاي أحمد مَنْ بقي[1] من جيشه من قبائل المغربْ فأحاطت الجيوش بمدينة فاس كالخاتم، فلما أصبح يوم عاشوراء برز[2] جيش العبيد على فاس، وأحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم، وقصدوها دفعة واحدة ولم يخرج لهم أحد من أهل فاس، وانما حاربوهم من أسوارها إلا القليل خرج إليهم، فهزم الله تعالي الجيوش كلها، ولم يمت من أهل فاس أحد إلا الولي الصالح سيدي العربي بن عيشون، لأنه خرج على باب المسافرين فأصابته رصاصة فقتلته، وحكموا أنهم منعوه من الخروج أولا خوفا عليه فقال: إن لم تتركوني أخرج يدخل عليكم العبيد يشير أنه الطالب من

(١) تحرف في المطبوع إلى: «ما بقى» وصوابه من نشر المثاني الذي ينقل عنه المصنف.

(٢) فى نشر المثاني: «ميّز».

الله تعالى أن يصرفهم عن فاس وأنه افتداهم بنفسه وأنه حصل لأهل فاس دهش عظيم. ثم كتب لهم مولاي أحمد رسائل يدعوهم إلى خلع مولاي عبد المالك والدخول في طاعته فامتنعوا، وهو في ذلك مساعف للعبيد، وإلا فقد كان حاله إنما يريد الراحة لكن كان الأمر والنهي للعبيد، وليس له من الملك إلا الاسم لا المسمي لا يقطع أمرًا إلا بما يأمرونه [به] وبهذا اعتذر أهل فاس وامتنعوا من الدخول تحت العبيد. ثم حمي وطيس الفتنة وبقي الحرب سجالا[1].

وورد الخبر بأن سفيان وبني مالك وشراكة وأولاد جامع والحياينة اجتمعوا يريدون أن ينصروا موالي عبد المالك لأنهم باقون على عهده ولم يخلعوه، فوجه لهم العبيد جيشا فاقتتلوا مع القبائل قرب وادي إينول[2] فانهزمت القبائل وبقي منهم قتلي كثيرون[3].

ومن جملة من قتل مع[4] القبائل وزير مولاي عبد المالك مولاي المنتصر بن مولانا إسماعيل، وحمل إلى فاس ودفن بروضة سيدي الخياط بالدوح من فاس القرويين، قتله الوداية وأَرسلوه مع بعض المحبوسين من أهل فاس، وقصدهم بذلك تحقق مولاي عبد المالك بهزيمة جيشه، فحينئذ يئس وانقطع رجاؤه من المدد[5].

وفي رواية أن الذي قدم بمولاي المنتصر سيدي عبد الله القصري في الرابع عشر من المحرم ودفن ليلا، وحضر جنازته السلطان مولاي عبد المالك وأعيان المدينة، وشد العبيد الحصار على فاس، وقطعوا الماء عن عدوة القرويين وأدنوا

(١) نشر المثاني – ص ٢٠١٨ وما بين حاصرتين منه.

(٢) في المطبوع: ايناون» والمثبت من نشر المثاني الذي ينقل عنه المصنف.

(٣) نشر المثاني – ص ٢٠١٨ في موسوعة أعلام المغرب.

(٤) تحرف في المطبوع إلى: «من» وصوابه في نشر المثاني.

(٥) نشر المثاني – ص ٢٠١٨ في موسوعة أعلام المغرب.

محلتهم لسورها.

وفي ثامن عشر محرم ركبوا نفضين على المدينة قرب سيدي الحسن الدراوي، ورموا في ذلك اليوم نحوًا من أربع وعشرين كورة، وبالغد وقع قتال كبير على جميع الأبواب خصوصا باب الفتوح، لأنهم أرادوا أخذ البستيون وجاءوا إليه بالسلاليم فانهزموا، ومات من أهل فاس نحو العشرين ورموا في ذلك اليوم كورا كبير.

وفي اليوم الموفي عشرين رَمَوْا نحو خمس وأربعين كورة، وبالغد رموا نحو العشرين.

وفي يوم الأحد الثاني والعشرين وقع قتال عظيم عند سيدي الحسن الدراوي، وفيه مات الحاج عبد الرحمن المفرج قائد الأندلس ونحو العشرين رجلا بين قتيل وجريح.

وفي السادس والعشرين وقع قتال عظيم بوادي المالح بباب الجيسة من الضحى إلى الظهر مات فيه من أهل فاس ثلاثة، وجرح ستة ومن الغير عدد كثير، ورموا في ذلك اليوم من الكور والبمب عددًا كثيرا في كورة واحدة نحو سبعه أرباع، وركبوا بقصبة شراكة بالخميس أربعة عشر نفضا وكانوا يرمون بها ليلا ونهارا من كل جهاتها وأحاطوا بها بأشبارات، فكان بينهم وبينها أقل من رمية بمكحلة، وربما كان رصاصهم يبلغ سطح الدور من بعض جهاتها فيصيب من يكون بالأسطحة، ووقع ضيق عظيم بالمدينة وهدم بالبمب كثير، ومات كثير من النساء والأطفال ومن لا يستطيع منعا ولا دفعا من الرجال العاجزين عن القتال، ونهب أهل الحلة المرس الكبير الذي بين سيدي على بن حِرازهم[1] وسيدي الحسن الدراوي إلى سور المدينة وحطبوا الأشجار وتجلدوا على دخول فاس، وأخلي من المدينة الدور التي يصل إليها الرمي بالكور والبمب واقتصروا على سكني ما لا

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «حرازم» وصوابه لدى السبكى فى طبقاته ٦/٢٥٨.

يصل إليه، ورتب أهل فاس الحرس على الأسوار وحفروا واديا خارج السور محيطا به وآخر أبعد منه من جهة باب الجيسة، وتجلدوا للمدافعة عن أنفسهم وعن أهل المسكنة من المؤمنين الذين لا يستطيعون دفعا ولا منعا العاجزين عن القتال وعن المنع أو القبول بالقول باللسان، متوجهين إلى الله في اللطف والنجاة وإخماد الفتن، متضرعين إلى الله لا ئذين بحمي الله وحمي رسوله وأوليائه، وظهر في ذلك لطف عظيم وأمور عظيمة وأهل المدينة يخرجون للجيش خارج السور لا يرضون بالاقتصار على السور، وكان جيش العبيد مع ما انضاف إليهم قدر مائة ألف.

ثم إن القبائل التي انهزمت بوادي إينول أَعادوا الجمع لأجل مولاي عبد المالك والمدافعة عنه وكانوا ينتهزون الفرصه كيف يصلون إلى فاس من الجيش المحيط بها، واستقروا بموضع يقال له تيسة من أرض الحياينة، وكان العبيد ينهبون زرع الحياينة الذي بـأَمْرَاسِهِم ويأتون به للمحلة فخرج العبيد لنهب الحياينة على العادة، فرصدهم القبائل المجتمعة بتيسة واقتتلوا مع العبيد، فهزموا العبيد وقطعوا رءوسهم ونهبوا لهم من الدواب ما يزيد على الستمائة.

ولما وصل الخبر للعبيد أرسلوا جيشا منهم ومن الأوداية ووقع القتال أيضا بتيسة فغلبهم جيش العبيد وهزمهم وتفرقت القبائل في الجهات. ولم تتبع العبيد إلاّ سفيان لكثرة حقدهم عليهم، حتى أدركوهم فأوقعوا بهم مقتلة عظيمة فهرب سفيان لحرم وزان ظنا منهم أن العبيد لا يتبعونهم للحرم، فتبعوهم ودخلوا عليهم داخل وزان، ونهبوا الأمتعة والديار، وكانت هذه الوقعة على الناس بوزان من أَعظم الوقائع وذلك في الخامس والعشرين من صفر.

ورجع جيش العبيد[1] من وزان إلى فاس ودخلهم من العجب ما أطمعهم

(١) نشر المثاني – ص ٢٠١٩ في موسوعة أعلام المغرب.

بالاستيلاء على فاس، وقد كان العبيد حين دخلوا لقتال القبائل صادفوا الفقيه السيد أحمد بن سيدي محمد القسمطيني بحوز الحياينة متوجها إلى فاس، وقد كان قاضيا بتازا فقتلوه ومثلوا به.

وفي صفر أيضا وقع قتال عظيم على جميع أبواب فاس حضر فيه مولاي أحمد السلطان وأصحابه وجاءوا من ناحية باب الجيسة، وأظهر اللمطيون في ذلك اليوم قوة عظيمة وقتلوا من الجيش ما يزيد على مائة وخمسين وجاءوا بخَيْلِهم وأسلحتهم، ومات فيه من أهل فاس نحو خمسة عشر رجلا منهم التاجر بو عزة الشرايبي.

وفي الخامس من ربيع الأول كان قتال كبير أيضا بباب الجيسة مات من أهل فاس نحو اثني عشر رجلا، وجرح نحو العشرين ومات من الفريق الآخر عدد كبير.

وفي التاسع منه كان القتال بمصلي باب الفتوح وباب المسافرين وباب الجيسة، مات من أهل فاس عدد عديد يقارب المائة ومن القبائل أضعاف ذلك.

وفي يوم الأربعاء الخامس عشر منه أو الرابع عشر سردوا جيشهم على أن يدفعوا على فاس دفعة واحدة من كل ناحية، وعلامة ذلك خروج نفض في كل محلة عند طلوع الفجر على حين غفلة من أهل فاس، فكان من قدر الله تعالي أن أخبر بذلك بعض أهل المخزن[1] بعض أهل الصلاح والولاية برسالة، فدفع الرسالة التي أَتته من المحلة لأهل فاس فباتوا على سهر يترقبون ذلك[2].

(١) في هامش نشر المثاني – ص ٢٠٢٠ هو: «صالح بن صالح الأودي، وكان من أصحاب الشيخ مولاي التهامي، والمراد ببعض أهل الصلاح: سيدي محمد بن التهامي المذكور، كان نازلا بحومة الشرشور»، والمخزن = الحكومة فى بلاد المغرب.

(٢) نشر المثاني – ص ٢٠٢٠ في موسوعة أعلام المغرب.

فلما خـرجت الأنفاض كان أهل المدينة على حذر، فـإذا هم من كل حدب ينسلون إلى أسوار المدينة، وجاء العـبيد بسلاليم كل سُلَّم[1] يسع عشرة رجال في الدرجـة الواحدة، وكـانوا حفـروا مينة تحت بعض الأسـوار قرب سـيدي الحـاج بودرهم، وجعلوا فـيها البارود وأوقدوا فـيها النار، وكان من لطف الـله أن صعد السور بالبـارود ورجع لمحله ولم يعمل فيـه البارود صدعا فـرجع العبيد في قـيود الحزن ترتاع ولم ينالوا شيئًا[2].

ولما بدا النهار ووضعت الحرب أوزارها وجدت قتلي العبيد صرعي على كل ناحية، وأكثرهم بباب الفتوح، وهم عدد كبير. ومات من أهل فاس نحو الخمسين منهم الطالب عبد الواحد الجـامعي، والطالب مسعود بن محمد الفـيلالي، والسيد علال التونسي[3].

فمن هذه الوقعة أَيس العبيد من دخول فاس عنوة، واستبشر أهل فاس وزال عنهم الفزع.

ثم صرف العـبيد وجـهتهم إلى اسـتعمـال الحيلة والمكيـدة، وإرسال الكور والبمب[4]، وطال الأمر وانقطع من يقوم بدعوة مولاي عبد المالك من كل موضع إلا بفاس، وانقطع عنهـا اللحم والصابون وجميع مـا يجبي إليها من خـارجها إلا الزرع والإدام كانا بها [كثيرا في هذا الحصار][5].

وبقي كل من الريفيين مـصابرًا للآخر إلى سادس عشـر ربيع الثاني، جاءت

---

(١) فى المطبوع: «كل سلوم وبجانبها كلمة (كذا) والمثبت من مختار الصحاح، وفيه: السلم، بفتح اللام واحد السلاليم التى يرتقى عليها.

(٢) نشر المثاني – ص ٢٠٢٠ في موسوعة أعلام المغرب.

(٣) نشر المثاني – ص ٢٠٢٠ في موسوعة أعلام المغرب.

(٤) في نشر المثاني: «البنب».

(٥) نشر المثاني – ص ٢٠٢٠ في موسوعة أعلام المغرب، وما بين حاصرتين منه.

محلة عظيمة ونزلت على فاس قائدها الباشا مساهل وهم أخلاط ملتقطون من بني حسن وغيرهم ودفعوا على القلة من باب الجيسة، مات منهم من[1] لا يحصي، ومن فاس نحو العشرين.

ثم في يوم الأحد الرابع والعشرين منه وقع القتال بباب عجيسة، وبالوادي المالح، وبناحية القلل وامتد من الضحي إلى العصر، ومات من أهل فاس نحو الثلاثين، منهم القائد عبد الوهاب الغرناطي. ومن الفريق الآخر من لا يحصى. هـ بنقل «صاحب الدر المنتخب».

ولما اشتد الامر وطال وكثر الهرج والمرج وعظمت المصائب، واشتعلت نيران الفتن من كل جانب، واشتبكت وارتبكت، والمترجم وحاشيته مجدون في مراودة أهل فاس عن الخروج عن طاعة المولي عبد المالك والرجوع إلى طاعة المترجم، واختلفت آراء الأعلام والعوام في ذلك أفتي الفقيه سيدي محمد ميارة بأنه لا يحل الخروج عن طاعة مولاي عبد المالك ووافقه على ذلك الفقيه أبو عبد الله محمد ابن عبد السلام بناني وأبو عبد الله محمد بن زكري، وخالفهم أبو العباس أحمد ابن مبارك الفيلالي اللمطي قائلا بوجوب خلعه ودفعه لأخيه المتغلب، لأنه لا قدرة له على مقاومته، وبقي الأمر يروج ومال اللمطيون إلى فتوي ميارة ومن وافقه، والأندلسيون إلى فتوى ابن المبارك ومن تبعه كأبي العلاء إدريس المشاط وأبي الحسن على الحريشي.

وفي ضحى يوم الاثنين رابع جمادى الأولى ذهب مولاي عبد المالك إلى زاوية سيدي عبد القادر الفاسي موهما أنه يزور وقصده الكلام مع الأندلسيين والأخذ بخواطرهم فلم يلتفتوا إليه على عادة الغوغاء في الرجوع عن أقوالهم.

قال العلامة ابن إبراهيم الدكالي في «تقاييده التاريخية»: ثم إن بعض الطلبة اجتمعوا بجامع الأندلس مع الفقيه السيد أحمد بن مبارك وكتبوا موجبا بإخراج

(١) في المطبوع: «ما لا يحصى».

مـولاي عبـد المالك وعزله ونـصر الذهبي، وجـعلوا يطوفـون به على الناس في العسـات فيـقولون: هل تعلمون الـشرع أم لا ؟ فيـقولون: نعم، نعـمل الشرع، فيقولون إن الشرع حكم بإخراج مولاي عـبد المالك ونصر الذهبي أخيه حتى طافوا بذلك الموجب على جـمـيع أسوار المدينة فـتـغيـر الناس بسـبب هذا الفعل أشـد التغيّر[1]، وبقي الأمر كـذلك إلى يوم الجمعة الخـامس عشر من الشهـر وجاءت غـوغاء الأندلسـيين إلى أئمة المنابـر وأَمروهم أن لا يخطبـوا بمولاي عبـد المالك، فبعـضهم ترك نصره على المنبر، وبعـضهم نصره، وبعضهم قـال: اللهم انصر من نصره الحق المبين، واختلفت الكلمة وكثـر الهرج والقيل والقال بين الفريقين، وكاد الأمر يعظم وغلت الأسعار خصوصا الصابون بيع بخمس موزونات للرطل.

ثم اجتمع الأندلسيون واللمطيـون بمدرسة الصارفين ليلا وأَظهر الذين أَرادوا خلع مـولاي عبـد المالك حـجـتهم وسكت المخـالفـون لهم فـدل سكوتهم على موافقتهم وانفصل المجلس في الحين.

وفي يوم السبت السـادس عشر اجتـمع رؤساء الاندلسيين منهم الحـاج عبد الرحمن المرابي، والحاج محمد الاندلسي، والحاج مـحمد يويجر، وأحمد بن عبد الوهاب الغرناطي، والمجـذوب اقلال اللمطي، والحاج أحمـد بودة اللمطي بروضة سيدي محـمد بن عباد مع من وافقـهم من طلبة الوقت وكتبوا كتـابا لمولاي أحمد الذهبي واشتـرطوا عليه شـروطا إن وفي بها خلعوا أخـاه ونصروه وبعـثوا له ذلك الكتـاب، وبالغد أَجـابهم بأنه قـبل ما شـرطوه وذهب إليـه جمـاعة من العلمـاء والأشراف وأهل الحل والعقد ففرح بهم فرحا شديداً ووعدهم خيرا.

وفي يوم الاثنين الثامن عشر قدموا من عند مولاي أحمد ومعهم كتاب لأهل فاس يشكر فعلهم ويحبـذ صنيعهم ويعلن بمسامحتهم فيـما صدر منهم ورد القائد المحجوب عليهم فقرأَ الكتاب بصحن القرويين وأعلنوا بنصره.

(١) في المطبوع: «أشد الغيار» وبجانبها كلمة (كذا).

ومن الغد نودي بالأسواق على المخازنيـة الذين مع مولاي عبد المالك بأن لا يشتري أحد منهم سلاحا ولا غيره، ومن اشتري منهم شيئا لزمته العقوبة، ونودي ثانيا لما دخل مولاي عبد المالك لحرم مولاي إدريس أن لا يدخل عليه أحد.

وفي عشية هذا اليـوم جاء كتاب من عند الذهبي بأنه سامح أخـاه وشفع فيه أهل فاس، أنه إن أراد الخـروج من الحرم الإدريسي والذهاب لتـافلالت فله ذلك، ولما أخبر مـولاي عبد المالك بذلك امتنع من الخـروج وقال: إني في حرم الله ولا حاجة لي بالملك، فشهد عليه بذلك وأُرسلت الشهادة للذهبي.

ثم إن مـولاي عبـد المالك سمع ممن لا خـلاق له من أهل فاس يقـول في حقه: إن هذا الحرم لا يجير عاصيا، وسمع أن بعض الطلبة الذين أفتوا بخلعه أفتوا بإخراجه من الضريح الإدريسى، فبعث أحد أولاده لعبيد مشرع الرملة يطلب منهم لأمان لنفسه ويخرج معهم فأجابوه كتابة لذلك.

قال ابن إبراهيم: وفي ضـحي يوم الخميس الحـادي والعشرين من جـمادى الأولي قدم البـاشا سالم الدكـالي رئيس العبـيد ومعـه نحو الخمـيس من أكابرهم ودخلوا لحرم مولانا إدريس وتكلموا معه وأَعطوه الأمان وأَنهم لا يغدرونه، فخرج معهـــم قرب الزوال مع جماعـة من أصحابه وكلهم على خيلهم ولمـا كان مولاي عبد المالك عند السـقاية التي بزنقة الحرم الإدريسي لقيه بعض الأندلـسيين فقال له نريد من سيدنا السماح فقال لهم: هذا السيد بيني وبينكم وانصرف.

وكان الذي جد في خلعه هم الأندلسيون، وكنا نسمع أَن الذهبي بعث إليهم بدراهم كثيرة فاقتسمـوها بينهم وكانت العامة تقول: أهل الأندلس باعوا سلطانهم بالفلوس.

ولما كان اليـوم الذي دخـل العبـيد للحـرم الإدريسي بقصد إخـراج مولاي

عبد المالك ضج الناس بالمدينة وسد بعضهم الدروب وتحزب اللمطيون وحلفوا أن لا يتركوا أحدًا يخرجه كائنا من كان، ثم دخل اللمطيون على مولاي عبد المالك وخيروه في المقام بالضريح الإدريسي والخروج مع العبيد، فاختار الخروج مع العبيد.

ولما ذهب معهم للمحلة أرسلوه لفاس الجديد وتلاقي مع أخيه مولاي أحمد، فتأدب له ونزل عن فرسه وعانقه وسلم عليه وأعطاه مضمة من الذهب وفرسا سرجه ذهب وأنزله بدار ابن شقرة ففرح الناس بذلك.

وفي الغد - وهو الثاني والعشرون من الشهر - بعث مولاي أحمد أخاه مولاي عبد المالك لمكناسة مسجونا فأصاب الناس كدر لا يعلمه إلا الله.

وفي هذا اليوم ذهب أعيان فاس إلى فاس الجديد وصلوا معه الجمعة وفرح بهم وأخذوا بخاطره وقدموا له هدية وشكروا فعله وسرح لهم المساجين الذين كانوا بمكناسة بالدهاليز، وأمر أهل فاس بالصلح مع الوداية فاصطلحوا، وفي الغد وهو يوم السبت فتحت أبواب فاس كلها وأمن الناس بعضهم بعضا.

وفي يوم الاثنين الرابع والعشرين قلعت المحلة ورحلت وذهب السلطان لمكناسة بعد الزوال، وودعه أهل فاس، وبعد ثمانية أيام ذهب أهل فاس إلى مكناسة طالبين من السلطان أن يرد عليهم ما نهبه لهم الودايا من الخماسي البلدي الذي كان بالبرج بفاس الجديد على يد القصارين فلم يرده لهم.

وفي يوم الاثنين ثالث رجب جاء الفقيه السيد إدريس المشاط من عند السلطان، أنه عزل سيدي أحمد الشدادي عن خطة القضاء وولاها له فلم يقبله أهل فاس.

وفي الرابع عشر رجب جاء المشاط لجامع القرويين وصلي الظهر وجلس

بمقصورة القضاء ليحكم بين الناس، فدفع عليه جماعة اللمطيين فقام هاربا.

وفي ثامن عشر رجب جاء كتاب السلطان برد سيدي أحمد الشدادي للقضاء، وعزل المشاط وقرئ على المنبر وفرح الناس.

ثم بعد إبرام الصلح مع أهل فاس مرض المترجم قيل خرج من فاس صحيحا وابتدأه المرض بمكناس، وقيل خرج من فاس مريضا حمله العبيد في المحفة لمكناس، وعلى هذا القول أعني الثاني اقتصر في نشر المثاني[1].

ولما اشتد به المرض أرسل إلى أخويه سيدي محمد بن عريبة ومولاي سليمان ابن الجامعية - على ما قيل - وجماعة من العبيد أهل مشورته وأمرهم بقتل أخيه المولي عبد المالك ليلا من غير أن يشعر به أحد، فخنقوه ليلة الثلاثاء الموفي ثلاثين من رجب وغسلوه بالماء البارد على لوح بِمِيضَأة جامع الزيتونة.

ولما قتل مولاي عبد المالك شهيدا - رحمه الله - وشاع الخبر في الناس منهم من صدق الخبر ومنهم من أنكره، وكانوا يتبايعون بالأجل الذي هو ظهور مولاي عبد المالك حتى أفضي الأمر إلى إخراجه من قبره برد الله ثراه ووضعه على الشافر حتى شاهده الخاص والعام وزال الريب.

(١) نشر المثاني - ص ٢٠٢١ في موسوعة أعلام المغرب.

علائقه السياسة

لما لبي مـولاي إسمـاعيل داعي مـولاه، وانتـقل لما قدمت يداه وجـه ملك الإنجليزي القـبطان «روسيل» سفيـرًا للمترجم معـزيا ومهينا وطالبـا فداء الأسارى والدوام على حسن المعـاملة مع التجار الذين بإيالتـه المغربية والأمنية على أنفـسهم وأموالهم طبق ما كان الأمر جاريا عليه بينه وبين والده الفقيد.

ولما بلغ علم المترجم أَن السفير حل بطنجة كتب له بما حاصله - حسبما جاء في صحيفة ٢٧ من «تاريخ انقلابات دول المغـرب بعد وفاة مولانا إسماعيل» الذي أَلفه القبطان «ابريط ويت» الإنجلـيزي الذي ورد في رفقة السفيـر «روسيل» المذكور المترجم من الإنجليزية إلى الفرنسـية - وبعد: فقد أَخبرنا البـاشا أحمد بن على بن عبد الله الريفي أَنكم وصلتم إلى جبل طارق ومـعكم صاحب القائد المذكور الذي كان في عاصمة مملكتكم، وأخبـرنا بما تؤملون منا من تجديد العهود التي كانت بين والدنا رحمه الله وبين دولتكم، وعليه فقدم لدينا صحبة الباشا أحمد بن على وها مكاتب الإيصـاء عليك بالطريق حتى تصل لدينـا مصونا من كل مـروع أنت ومن معك من الأصحاب اهـ. ملخصا.

والصاحـب الذي أَشار إليه فـي هذا المكتوب الذي سـماه صاحب الـتاريخ المنقول منه ببوكلي كان وَجَّهَهُ الجدُّ المقدس مولانا إسماعيل سفيرًا لملك إنكلترا وفي أُيوبته من سفارته اتصل به نعي مرسله أثناء الطريق.

وكان هذا السفير من جملة أعوان القائد أحمد الريفي المذكور وهو الذي كان أَشار على السلطان المرحوم بتعيينه سفيرا.

ولما حدث مـا حدث بين القائد أحمـد وبين أهل تطوان مما تلي عليك وعلم بذلك السفيـر والحال أَنه تطواني الأصل والاستيطان، كـبر عليه ذلك ولم يدر إلى

أين تكون وجهته، فإن قصد الريفي لطنجة ربما لا يأمن على عائلته بتطوان من التضييق بهم وسلبهم أمتعتهم وما لهم نكاية له، وإن قصد أهله بتطوان لا يدري ماذا تلد له الليالي، وقد كان كل من الريفي وأهل تطوان لما علموا بقدومه وجه إليه يأمره بالنزول من البحر لديه فازدادت حيرته، حتى هم بالرجوع من حيث جاء إلى أن تطمئن البلاد وترجع المياه لمجاريها، وقد كان هذا السفير متأبطا لهدايا مهمة من ملك الإنجليز لمرسله.

ولما اتصل الخبر بصاحب الترجمة أَوفد إليه الحاج عبد القادر لبريس لجبل طارق يأمره بالقدوم لحضرته بمكناس، وعند ذلك لم يجد بدا من التوجه للقائد أحمد الريفي بطنجة فتوجه لديه ثم ذهب للحضرة السلطانية.

وفي عشري قعدة الحرام عام تسعة وثلاثين ومائة وألف كتب المترجم لقنصل الإنجليز وتجار النصارى الذين بتطوان يعلمهم بأنه ولي الباشا على بوشفرة مكان الباشا أحمد الريفي عاملا على إيالته سهلها ووعرها ماعدا طنجة والعرائش وأصيلا، فإنه أَبقاها لنظر الريفي المذكور، وأنه أَمر بوشفرة بسكنى تطوان وأَنهم لا يرون من المذكور إلا كمال المجاملة والصيانة التامة لأنفسهم وأموالهم حسبما بصحيفة ٢٨ من تاريخ انقلابات دول المغرب المذكور.

بناءاته: منها القصبة التي أنشأها بتادلا حذو قصبة والده، واتخذ بها داره ومسجدًا أكبر من مسجد والده، كما أَن قصبته أكبر، وزيادته في قبة ضريح والده كما تقدمت الإشارة لذلك في البناءات المكناسية.

قضاته: منهم الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن التماق الأندلسي الغرناطي العلامة المشاور، ولي قضاء فاس بعد امتناع والخطابه بالقرويين منها سادس صفر سنة أربعين ومائة وألف، فعدل في الأحكام وتحري الإنصاف والورع ومشاورة العلماء وأُخر رابع شوال من السنة المذكورة عن غير

ريبة. له من المؤلفات: حواشي على شرح الحصن، وإزالة الدلسة عن أحكام الجلسة، وجمع الأقوال في لبس السروال، قبضه الله عشية الأربعاء عاشر الأربعاء عاشر جمادى الاولي سنة إحدى وخمسين ومائة وألف، ترجمه في «النشر» «والروضة المقصودة».

عماله: منهم على بوشفرة الوديني، وأحمد الريفي، والمحجوب العلج.

وفاته: توفي مسلولا رحمه الله ليلة السبت الرابع من شعبان عام أربعين ومائة وألف طبق ما هو منقوش في رخامة ضريحه، ودفن خلف ظهر والده بقبة الضريح رحمه الله وبرد ثراه وغفر له آمين.

٩ - أبو العباس أحمد بن محمد بن حماد بن محمد بن زغبوش المكناسي التاودي[١].

حاله: كان فقيها حافظا لكتاب الله تعالي كثير التلاوة له متدينا ماهرا في معرفة الهيئة والتعديل، عمي آخر عمره فلما كان عند الموت تلا: فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد، فحدث حاضروه أن الله تعالى رد عليه بصره، قال حفيد أخيه أبو الخطاب: فلا أدري أنص لهم على ذلك أم استدلوا بالتلاوة. ووالده محمد بن حماد هو الذي كان امتحنه يدر بن ولجوط في سبعة من أقاربه بالتثقيف إلى أن أصبحوا مذبوحين، ولا غرابة فى ذلك إذ الجاهلون لأهل العلم أعداء سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

١٠- أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن الولي الصالح المتبرك به عبد المغيث زغبوش القرشي المكناسي النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه معظم، وجيه محترم، تقي زكي، بر طاهر مرضي، من بيت مجد وفضل وعلم وديانة، وعفاف ونباهة وصيانة، تقلّد وظائف إفراداً وجمعا،

(١) في المطبوع: «التاوري» بالراء.

وتقيد بمناصب هداية ونفعا، كم نشأ فى هذا البيت الكبير من عدول، وكم تفرع من فطاحل عن تلك الأصول، وكم تفننوا في بلاغة النظم والنثر، حتى أصبح منهم روض العلم في نشر، تحمد عقباه يوم النشر، وتطيب الأكوان من ريا ذلك النشر، رمقتهم الجلالة الإسماعيلية بطرف القبول، وشملتهم عنايتها بإدراك السول وحملهم على كاهل المبرة والاحترام، وأفردهم من منشوراته بما يعد من المآثر الفخام، وناهيك بما يتلي عليك من ذلك بعد في مرسومه الأغر، فإنه شاهد صدق أغر.

١١- أحمد بن عبد الملك بن محمد بن الحسين[1] بن عميرة المخزومي بلنسي شقوري الأصل يكنى أبا المطرف.

حاله: قال ابن عبد الملك: كان أول طلبه شديد العناية بشأن الرواية فأكثر[2] من سماع الحديث، وأخذ عن مشايخ أهله، وتفنن في العلوم، ونظر في العقليات، وأصول الفقه، ومال إلى الأدب، فبرع به براعة عد بها من كبار مجيدي النظم.

وأما الكتابة فهو علمها المشهور. وواحدها الذي عجزت عن ثانيه الدهور، ولاسيما في مخاطبة الإخوان، هنالك استولي على أمد الإحسان، وله المطولات المنتخبة، والقصار المقتضبة، وكان يعلم كلامه نظما ونثرا بالإشارة إلى التاريخ، ويودعه إلمامات بالمسائل العلمية متنوعة المقصد[3].

---

١١ - من مصادر ترجمته: الإحاطة ١/ ١٧٣، بغية الوعاة ١/ ٣٠٣، جذوة الاقتباس ١/ ١٤٥، الديباج المذهب ١/ ١٧٩، الذيل والتكملة ١/ ١/ ١٥٠، شجرة النور الزكية ١/ ٤٧٧، عنوان الدراية - ص ٢٩٨، المقتضب من تحفة القادم - ص ١٩٧، نفح الطيب ١/ ٣٠٥، الوافي بالوفيات ٧/ ١٣٣.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «الحسن».

(٢) فى المطبوع: «فاستكثر» والمثبت لدى ابن عبد الملك الذى ينقل عنه المصنف.

(٣) الذيل والتكملة - السفر الأول - القسم الأول - ص ١٥٢.

وقال المَقَّرِى في «نفح الطيب» لدي تعرضه له ما لفظه: قال فيه بعض علماء المغرب قدوة البلغـاء، وعمدة العلماء، وصدر الجلَّة الفضـلاء، ونكتة البلاغة[١]، التي قد أحرزها وأودعهـا، وشمسها[٢] التي أخفت ثواقب كوكبـها حين أبدعها، مبدع البـدائع التي لم يحظ قبله بها إنسان، ولا ينطلق عن تلاوتهـا لسان، إذ كان ينطق عن قريحه صـحيحة، ورويَّة بدرر العلم فصيـحة، ذللت له صعب الكلام، وصدَّقت رؤياه حين وَضَعَ سيـدُ المرسلين - وهو الذي أُوتي جوا مع الكلام - في يده الأقلام[٣].

وقـال ابن الأبار في تحفـة القـادم في حقـه ما صـورته: فـائدة هذه المائة، والواحد يفي بالفئة، الذي اعترف باتحاده الجميع، واتصف بالإبداع فماذا يتصف به البديـع، ومعاذ الله أن أُحـابيه بالـتقديم، لما له مـن حق التعليم، كـيف وسَبْـقه الأشهر، ونطقـه الياقوت والجوهر، تحلت به الصحـائف والمهارق، وما تخلت عنه المغارب والمشـارق، فحسبي أَن أجـهد في أوصافـه، ثم أَشهد بعدم إنصـافه، هذا على تناول العموم والخصوص لذكره، وتناوب المنثور والمنظوم على شكره[٤].

وقال في الإحاطة: قلت: وعلى الجملة فذات أبي المطرف فيما ينزع إليه[٥] ليست من ذوات الأمـثال، فقـد كان نسيج وحْـدِه، إدراكاً وتفنّناً، بصـيرا بالعلوم مُحَدِّثا مكثرًا راوية ثَبْتاً، متبحرا[٦] في التاريخ والأخبار، ريَّانا مضطلعا بالأصلين،

---

(١) في المطبوع: «البلغاء» والمثبت رواية المقري الذي ينقل عنه المصنف وهي المناسبة للمعنى.

(٢) في المطبوع: «وشمسه» والمثبت رواية المقري.

(٣) نفح الطيب ١/ ٣١٣.

(٤) نقله المقري في نفح الطيب ١/ ٣١٥.

(٥) في المطبوع: «وعليه» والمثبت لدى ابن الخطيب في الإحاطة الذي ينقل عنه المصنف.

(٦) في متن الإحاطة: «سَجِرًا» وبالهامش: السجر: هو المليء».

قائمـا على العربية واللغة، كـلامه كثيـر الحلاوة والطلاوة، جم العلوم[1]، غزير المعاني والمحاسن، شفاف اللفظ حر المعنى[2].

انتقل إلى العُدْوة[3]، واستكتبـه الرشيد أبو محمد بن عـبد الواحد بمراكش مدة يسـيرة، ثم صرفـه عن الكتابة وولاه قضـاء مِلْيانة من نظر مـراكش الشرقي، فتـولاه قليلا ثم نقله إلى رباط الفـتح، وتوفي الرشيد فـأقرّه[4] على ذلك الوالي بعده أبو الحـسن المعتضـد أخوه، ثم نقله إلى قضـاء مكناسة الزيتـون، ثم لما قتل المعتضد انفصل عن مكناسة ولحق بَسبْتة، وجري عليه بطريقها ما يذكر في محنته، ثم ركب البحر منها مـتوجها إلى إفريقيَّة، فقدم بجـاية على الأمير أبي زكريا، ثم توجه إلى تونس فنجـحت بها وسائله، وولي قضاء مـدينة الأريس، ثم انتقل إلى فاس وبها طالت مدة ولايته، فاستدعاه المنتصر بالله محمد بن أبي زكرياء، ولَطُف محله منه، حتى كان يحضر مجالس أُنسه[5].

مشيخـته: روي عن أبي الخطاب بن واجب، وأبي الربيع بن سالم[6] وأبي عبـد الله بن فرج، وأبي على الشلوبـين، وأبي عمر بن عـات، وأبي محـمد بن حَوْط الله، لقيهم وقرأ عليهم وسمع منهم، وأَجازوا له، وأَجاز له من أهل المشرق أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج وغيره[7].

---

(١) في الإحاطة: «جم العيون».

(٢) الإحاطة ١/ ١٧٤.

(٣) أي عدوة المغرب.

(٤) في المطبوع: «فأقامته» والمثبت من الإحاطة.

(٥) الإحاطة ١/ ١٧.

(٦) تحرف في المطبوع إلى: «سلام» وصوابه من الإحاطة والذيل والتكملة.

(٧) الإحاطة ١/ ١٧٤.

الآخذون عنه: أَخذ عنه ابنه أبو القاسم، وأبو بكر بن خطّاب، وأبو إسحاق البلقينى الحـفيد، والحسن بن طاهـر بن على الشقوري، وأبو عبـد لله البري[١]. وحدث عنه أبو جعفر بن الزبير، وابن شقيف[٢]، وابن ربيع، وغيرهم ممن يطول ذكره.

شعره: من ذلك قوله موريا بالعلوم:

قـد عكفـنا على الكتـابـة حـينا ... ثم جـاءت خطة القـضـاء تليـهـا
مع كل لـم يبق للـجـهـد إلا ... منزلا نائـيـا وعـيـشـا كـريـهـا
نسـبـة بـدلت ولم تتـغـيـر ... مـثل ما يـزعم المهندس فـيهـا[٣]

وقوله:

يا غـائبـا سَلَبَـتني الأنس غـيـبـتُـه ... فكيف صـبري وقد كـابدتُ بينهـما
دَعْـوَاي أَنك في قلبي فـعـارَضَهـا ... شوقي إليك فكيف الجـمعُ بينهما[٤]

وقوله:

إن الكتـاب أَتي وسـاحةُ طِرْسِـه ... دوح توشح بـالبـديع مـبـرقع
وله حقـوق ضاق وقت وجـوبها ... ومن الوجوب[٥] ضيق وموسع[٦]

---

(١) تحرف في المطبوع إلى «البزي» بالزاي. وصوابه من الإحاطة والذيل والتكملة.
(٢) في المطبوع: «وابن شنيف» والمثبت رواية الإحاطة.
(٣) الإحاطة ١/ ١٧٧.
(٤) الإحاطة١/ ١٧٧.
(٥) في المطبوع: «العجائب» والمثبت رواية الإحاطة.
(٦) الإحاطة ١/ ١٧٧.

وقوله:

وأَجات فكري في وشاحك فانثني ... شوقا إليك يَجول في جَوَّال

أَنصفت غُصْنَ البان إذ لم تدعه ... لَتَأَوُّدٍ[1] مع عطفك الميال

ورحِمْت در العقد حين وضعته ... مستواريا عن ثغرك المتلالي

كيف اللقاء وفعل وعدك سينه ... أبدا تخلصه للاستقبال

وكماة قومك نارهم ووقيدها ... للطارقين أَسِنّة وعوالي[2]

وقوله:

أري مَنْ جاء بالموسي مواسي ... وراحة ذى القريض تعود صِفْرا

فهذا مخفقُ إن قصَّ شِعْرًا ... فهذا مخِفُقُ إن قصَّ شَعْرَا[3]

وقوله:

كبَّرت بالبشرى أتت وسماعها ... عيدي الذي لشهوده تكبيري

وكذلك الأعياد سُنة يومها ... مختصة بزيادة التكبير[4]

وقوله

بايعونا مودة هي عندي ... كالمصرات بيعها بالخداع

فسأَقضي بردها ثم أَقضي ... بعدها من مدامعي ألف صاع[5]

---

(١) فى المطبوع: «لتوادع» والمثبت رواية النفح.

(٢) نفح الطيب ١/ ٣١٥.

(٣) نفح الطيب ١/ ٣١٦.

(٤) الإحاطة ١/ ١٧٧.

(٥) الإحاطة ١/ ١٧٧.

وقوله:

شرطت عليهم عند تسليم مهجتي وعند انعقاد البيع حتما يواصل

فلما أَردت الأخذ بالشروط أَعرضوا وقالوا يصح البيع والشرط باطل[1]

نثره: من ذلك قوله من رسالة أَجاب بها العباس بن أُمية وقد أَعلمه باستيلاء الروم على بَلَنْسِية:

بالله أي نحو تنحو، أو مسطور تثبت أو تمحو، وقد حذف الأصل والزوائد، وذهبت الصلة والعوائد، وباب التعجب طال، وحال اليأس لا تخشي انتقال، وذهبت علامة الرفع، وفقدت نون الجمع، والمعتل أَعدي الصحيح، والمثلث أَودي الفصيح، وامتنعت الجموع من الصرف، وأَمنت زوائدها من الحذف ومالت قواعد الملة، وصرنا جمع القلة، وظهرت علامة الخفض، وجاء بدل الكل من البعض[2].

مؤلفاته: له تأليف في كائنة مَيُرْقَة[3] وتغلب الروم عليها نحا فيه نحو العماد الاصبهاني في الفتح القدسي، وكتابه في تعقبه على فخر الدين ابن الخطيب الرازي في كتاب المعالم في أُصول الفقه منه، وردُّه على كمال الدين أبي محمد عبد الكريم السِّماكي في كتابه المسمي بالِّتبيان في علم البيان، واختصار نبيل من تاريخ ابن صاحب الصلاة وغير ذلك من التعاليق والمقالات[4].

(١) الإحاطة ١/ ١٧٨.

(٢) الإحاطة ١/ ١٧٦.

(٣) كذا في متن الإحاطة ١/ ١٧٨ وهو الصواب، وبهامشها: «في بعض النسخ الخطية: ألمرية، وهو تحريف. وكائنة ميورقة يقصد بها هنا استيلاء النصارى على جزيرة ميورقة، كبرى جزائر البليار أو الجزائر الشرقية وذلك في سنة ٦٢٧هـ، على يد ملكهم خايمي ملك أرجون». وتحرف في المطبوع إلى: «ألمرية».

(٤) الإحاطة ١/ ١٧٨.

ودون الاستاذ أبو عبد الله ابن هانيء السبتي كتابته وما يتخلَّلُها من الشعر في سفْرين بديعين أتقن ترتيبهما، وسمَّي ذلك «بغية المستطرف، من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي المطرف»[1].

محنته: لما قتل المعتضد اغتنم الفترة وانفصل عن مكناسة قاصدا سبتة فلقّي الرفقة التي كان فيها جمع من بني مرين فسلبوه وكل من كان معه، وكان المنهوب من ماله يعدل أربعة آلاف دينار، وكان ورقا وعينا وحليا أُصيب بما له أحوج ما كان إليه[2] وقد استقبل الكبر ونازعه سوء الحظ[3].

مولده: ولد بجزيرة شُقْر[4] وقيل بِبَلَنْسِية في رمضان عام ستة وخمسين قال عبد الملك: ووهم ابن الزبير في وفاته إذ جعلها في حدود الخمسين وستمائة أو بعدها[5].

١٢- أبو العباس أحمد بن على الزرهوني المكناسي.

حاله: فقيه علامة جليل محدث كامل ناقد أورده ابن الأبار في تكملته وغيره.

---

(١) الإحاطة ١/ ١٧٨.

(٢) فى الإحاطة: «أصيب بمالقة ما أحوج ما كان إليه».

(٣) الإحاطة ١/ ١٧٩.

(٤) جزيرة شقر كانت تطلق أيام الدول الإسلامية على الجزيرة الكبيرة الواقعة في نهر شقر Jucar. قبل مصبه في البحر المتوسط جنوبي بلنسية. وكانت من أجمل البقاع في تلك المنطقة، وكانت تسمى أحيانا بالجزيرة فقط. وهو الاسم الذي استعير فيما بعد لبلدة Alcira الإسبانية الواقعة على نهر شقر على مقربة من الجزيرة المذكورة. وقد كانت جزيرة شقر موطن كثير من العلماء والأدباء.

(٥) الإحاطة ١/ ١٨٠.

١٢ - من مصادر ترجمته: التكملة لابن الأبار ١/ ١١٢.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو القاسم بن سمجون، وحدث عنه بموطأ مالك وأجاز له روايته قال ابن الأبار: ولا أدري أين لقيه.

١٣- أبو العباس أحمد: هو الفقيه القاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البكري.

من أهل شريش

حاله: كان فقيها جليلا استوطن سلا وولي بها القضاء، ثم بمدينة مكناسة.

مشيخته: روي عن أبي إسحاق بن قر قول.

وفاته: توفي سنة إحدى عشرة وستمائة.

١٤- الولي الصالح المولي أحمد الشبلي الشريف الحسني.

لم أقف على من تعرض لترجمته ولا على من له أدني معرفة بشيء من حاله غير ما في بعض الرسوم من تحليته بالشريف الحسني، وما هو منقوش في جبص دائرة باب مسجد ضريحه ولفظه:

ها روضة الشبلي كالمسراج ... وبهاؤها للزائرين يناجي

نزه لحاظك في بهاء محاسني ... واغنم كرائم نوري الوهاج

واعكف على عين الكرامة والهدي ... ذخر الأنام وواضح المنهاج

فإذا دخلت ضريحه فاسأل به ... تحظ بأنوار نوره المسراج

وابسط أكفك للمهيمن ضارعا ... متوسلا بسلالة الإنتاج

السيد الحسني الهمام المرتضي ... كهف الآمال وبغية المحتاج

واسأل تنل فوق الأنام جميع ما ... ترجو وتلق مواهب الفراج

١٣ - من مصادر ترجمته: التكملة لابن الأبار ١/ ٩٣، الذيل والتكملة ١/ ١/ ٣٨٧ رقم ٥٤٣.

انتهي.

يقال: إن هذه القطعة لبعض الأدباء المكناسيين من أولاد القنسود، وقصيدة فى مدحه أيضًا تأتى فيما بعد.

ويقال إن السيدة حبيبة بنت الحاج الطاهر بن العربي بادو، هي التي بنت ضريح هذا السيد ومسجده من مالها الخاص بها والخالص لها، لرؤيا رأتها وقد كانت كفيفة البصر فرد الله عليها بصرها فبنت الضريح ومسجده، وهذا إن صح يحمل على مزيد التنميق أو التجديد، وإلا فقد أَسلفنا لك ما هو نص في أن باني الضريح المذكور هو سيدنا الجد السلطان الأعظم المولي إسماعيل عليه صيب الرحمات، والله أعلم بحقيقة الحال.

١٥- أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن تميم اليَفَرْنِي الشهير بالمكناسي.

أخو أبي الحسن الطنجي، شيخ أبي عبد الله محمد بن سليمان السطي.

حاله: فقيه عدل أستاذ نبيل فاضل زكي نزيه.

مشيخته: منهم ابن هاني تلميذ ابن الشاط، وابن رشيد، وأبو يعقوب البادسي، وابن الزبير، وابن سليمان الوادياشي، وأبو عبد الله محمد بن قاسم ابن محمد الأنصاري المالقي الضرير الشهير بابن قاسم نزيل مكناسة الزيتون، رحل إليه من مدينة فاس إلى مكناسة، ورحل إليه الناس للأخذ عنه، ولما قفل إلى بلاده مدينة فاس صار يدعي بالمكناسي لذالك.

وفاته: توفي بمدينة فاس سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة برد الله ثراه آمين.

١٦- أبو العباس أحمد بن العربي الغُمَاري الكَومي، قاضي مكناس.

حاله: فقيه علامة واعية موثق، وقفت على رسم تحبيس حلي فيه بالعلم

---

١٥ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ١٢٢، درة الحجال ١/ ٤٦.

والجلالة، ولم أعرف شيئا من أحواله ولا سن الولادة والوفاة، إلا أنه كان متوليا خطة القضاء بمكناس سنة ٩٥٩ تسع وخمسين وتسعمائة[١].

١٧- أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر الأندلسي الأنصاري الجزيري.

نزيل سلا، ودفينها، أصله من شمينة وبها نشأ.

حاله: أفضل أهل زمانه علما وعملا، وقال ابن صعد في «النجم الثاقب» في حقه ما ملخصه: كان أحد الأولياء الأبدال، معدودا في كبار العلماء ممن جمع له العلم والعمل وألقي عليه القبول من الخلق، شديد الهيبة، عظيم الوقار، كثير الخشية، طويل التفكر والاعتبار، قصده السلطان أبو عنان وارتحل عام سبعة وخمسين فوقف ببابه طويلا فلم يأذن له وكرر ذلك مرارًا فلم يأذن له، وتبعه يوم الجمعة على رجله والناس ينظرونه وهو لا ينظر فقال: منعنا من هذا الولي، ثم أرسل إليه ولده مستعطفا فأجابه بما قطع رجاءه منه. اهـ[٢].

ودونك نص ما أجابه به:

«الحمد لله من العبد الفقير إلى الله تعالي أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر وفقه الله تعالى بمنه وكرمه، إلى أمير المؤمنين أبي عنان أيده الله تعالي بتقواه ورد حاله إلى ما كان عليه الخلفاء الراشدون ومن تعرض لنصيحة المسلمين آمين، وصلى الله تعالى على مولانا سيدنا محمد وآله وسلم تسليما، أما بعد:

(١) كذا فى المطبوع. وقد ترجم صابح الأعلام بمن غبر - ٤/ ١٤٥٥ موسوعة - لمن اسمه أحمد بن محمد العربى الغمارى، فقال: وفى هذه السنة - أعنى سنة ١٠٦٣هـ - توفى الفقيه الأصولى أبو العباس أحمد بن الفقيه العلامة أبى عبد الله محمد العربى بن محمد الكَومى عُرف بالغُمارى، ولى قضاء بلده مكناسة فحمدت سيرته، وكان فقيها مدرسا. أخذ عن الفقيه المفتى أبى عبد الله الهوارى، ثم عن العلامة أبى عبد الله بن بد الحليم وغيرهما.
قال خال الوالد الشيخ أبو عبد الله محمد المهدى الفاسى: قرأت على صاحب الترجمة الرسالة والمختصر.

١٧ - من مصادر ترجمته: درة الحجال ١/ ١٤٨، شجرة النور الزكية ٢/ ٣٤، كفاية المحتاج ١/ ٣٧، نيل الابتهاج ١/ ٩٢.

(٢) كفاية المحتاج ١/ ٣٧.

فقد ورد على كتابكم المشرف بذكر الله تعالى وولدكم المكرم جعله الله تعالى من المتقين، وأنبته نباتا حسنا وعلمه علما نافعا ولا يجعله من المبعدين، من رحمة رب العالمين، وصلي الله على سيدنا ومولانا محمد الكريم، ولتعلم أني ما شككت فيكم وقد أيقنت أنكم ما أرسلتموه إلا من أجل الله عز وجل وطلب مرضاته، وبعد: فإني لم أكن للزيارة أهلا، ولا للقربة محلا، وإنما سترني الكريم بفضله، ولطف بي بحلمه، ولله الحمد على نعمته الظاهرة والباطنة، ولتعلم أنى قصدت بنصيحتى لك وجه الله العظيم خاصة فإني لا أطمع في مخلوق أن يكسبني مالا ولا جاها لاكتفائي بمولاي جل جلاله وتقدست أسماؤه.

ولتعلم يا أمير المومنين وفقك الله للخير أن الله عز وجل ناظر إليك في كل حين وفي كل ساعة وكل نفس وكل طرفة، ولابد لك من لقائه، ويسألك عما دق وجل، وينشر عليك عدله، ويسألك عن أمر خلقه وما صنعت، هذا إن طالبك جل جلاله. وأما إن عفا عنك ونشر عليك رحمته وفسح لك فلا راد لفضله ولا لحكمه جل جلاله وتقدست أسماؤه.

وليكن أمير المؤمنين مشفقا على نفسه، وليعمل في يومه لما فرط في أمسه، ومن كان يومه شرا من أمسه فيا حسرته ويا وحشته ويا فجعته، وأعظم المصائب إعراضه عن ربه عز وجل، وقد أشفق الصالحون والأولياء والمتقون على أنفسهم، كان عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالي عنه يقرأ قوله تعالى (أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) وقال الله عز وجل: (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: من يأخذها بما فيها يعني من الأجر الذي يعطي الإمام العادل إشفاقا على نفسه. وقد وقف الفضيل بن عياض بعرفة فقال: ظننت أن هذا الخلق غفر لهم حتى رأيت نفسي فيهم. وكان عطاء يقول: لو مات عطاء استراح الناس. وكسفت الشمس يوما فصاح عتبة الغلام بذنوبي كسفت الشمس. وعرك عثمان بن عفان أُذن غلام له لأدب فقال: آه أوجعتني. فقال: عثمان خذ أُذني فاعركها، فأبي الغلام فقال عثمان: لابد من ذلك لأن تقتص مني في الدنيا خير من أن يقتص مني في الآخرة فعرك الغلام أُذن عثمان فقال له: اشدد وزد، فقال: أمير المؤمنين

إن كنت تخاف القصاص فإني أخاف أيضا، فهذا يدلك كله على شفقة الأولياء والأصفياء على نفوسهم لما علموا عدل الله عز وجل في خلقه، ولك عبرة في آبائك وأجدادك فقد صاروا إلى الله عز وجل ولا تدري ما قال لهم ولا ما قالوا له.

وروي عن عيسى عليه السلام أنه مر بجمجمة فضربها برجله وقال تكلمي بإذن الله تعالى، قال: يا روح الله، أنا ملك زمان كذا وكذا فبينما أنا جالس في ملكي على تاجي على سرير ملكي وحولي جندي وحشمي إذ بدا لي ملك الموت، فزال عني كل عضو على حاله، ثم خرجت نفسي إليه، فياليت ما كان من الاجتماع كان فرقة، وياليت ما كان ذلك إلا حسرة ووحشة.

وروي عن أبي بكر الصديق أنه قال في خطبته: أين الوضأة وجوههم، أين الصباح الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم، أصبحوا تحت الثرى.

وروي عنه أيضا أنه قال في خطبته: أين الذين بنوا المدائن، وحصنوا الحصون والحوائط، أين الذين كانوا يعطون من الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الحرب فأصبحوا تحت التراب والآكام.

وروي عن حذيفة بن اليمان أنه قال لابن مسعود وبه ألم من آخر الليل: قم وانظر لي أي ساعة هذه، قال قد طلعت الجمرة يعني الزهرة، فقال حذيفة أعوذ بالله من صباح إلى النار.

وقال معاذ بن جبل لما حضرته الوفاة لجاريته: ويحك انظرى هل أصبحنا؟ فنظرت فقالت: لا. ثم تركها ساعة فقال لها: انظري فقالت: نعم، فقال أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار.

وقيل لعامر بن عبد الله بن قيس عند الموت وقد بكي: ما يبكيك ؟ فقال: ما أبكي فرارا من الموت ولا حرصا على الدنيا، ولكني أصبحت في صعود مهبطة ثم لا أدري أين أهبط هل إلى الجنة أو إلى النار أو يعفو الله تعالى.

وقال محمد بن واسع عند الموت: يا إخواني، عليكم السلام إلى النار، أو يعفو الله تعالى.

وروي جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ في بعض الأحاديث أن نفرا من بني إسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض: لو دعوتم الله عز وجل أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا فنسأله، فدعوا الله عز وجل فإذا هم برجل جلس بين عينيه أثر السجود قد خرج من قبر من تلك القبور فقال: ما أردتم مني؟ لقد ذقت الموت منذ خمسين عاما فما سكنت من قلبي مرارته.

وروي عن كعب الأحبار أنه قال لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو لقيت الله بعمل سبعين نبيا لخشيت لك أن لا تنجو من هول ذلك اليوم.

فعليك عافاك الله بالشفقة على نفسك فإن الدنيا لا تدوم لك، فقد كان في زمن من الأزمان على ما حكي: ملك من الملوك كان عادلا في رعيته فقد سمعه، فقالوا برحوا في الناس من كان مظلوما فليلبس ثوبا أحمر، فإني إن فقدت سمعي فما فقدت بصري، فهذا عافاك الله قد نصح لرعيته ولا أدري هل كان مؤمنا أو كان كافرا، وإن رجع أمير المؤمنين وأشفق على نفسه ورعيته رجوت أن يقبله الله تعالى وأن يمن عليه بفضله إنه جواد كريم.

وقد قال بعض المشايخ: إذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا يقصيك عن الاستقامة مع ربك، فقد يكون ذنبك ذلك آخر ذنب قدر عليك وليطالع أمير المؤمنين الرعاية للمحاسبي، أو كتاب النصائح للمحاسبي فلعل ببركة الشيخ يكسبك الله خوفا ورحمة فيكون سبب نجاتك، وإن سمعت بأمير المؤمنين أنه اجتهد فى نصيحة رعيته وكف يد ظالمهم ونصر مظلومهم اجتهد له في السؤال لله عز وجل في الأسحار، وأطراف النهار، وليعلم أمير المؤمنين أنه لا يخلصه أحد من خدامه ولا من حشمه بل يفرون منه يوم القيامة ويفر منهم، ولا عليك في هذا الأمر إلا أن تراقب الله تعالى وتعمل بما أمرك ونهاك يسهل الله عليك الخير فعساك

تموت وأنت مقبل على الله عز وجل وهو أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وفقك الله لما يحبه ويرضاه وسخرك لخلقه ولا أدار عليك رحي المحنة، على قطب الفتنة، وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله فرحم الله امرءا نظر لنفسه وعمل ما يخلصه عند ربه.

فلما وصل كتابه هذا للسلطان أبي عنان رحمه الله أيس من لقائه واشتد حزنه وقال: هذا ولي من أولياء الله حجبه الله عنا.

وقد أجابه أبو عنان عن هذا الكتاب بما لفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى على سيدنا محمد وعلى آله وسلم، من عبد الله المعترف بذنبه، الراجي رحمة ربه، فارس أمير المؤمنين بن على بن عثمان ابن يعقوب بن عبد الحق وفقه الله عز وجل لطاعته، وجعله بفضله من أهل جنته، إلى وليي في الله وناصحي في ذات الله عز وجل الولي العالم الزاهد الخاشع أبي العباس أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر، أمتع الله بحياته أولياءه، ونفع بصالح دعواته أصفياءه، وأبقاه ذخرا للمسلمين ونورا يهدي إلى سبيل المتقين، وبعد حمد الله بارئي النسم، على تتابع النعم، والسلام على سيدنا محمد خاتم أنبيائه ورسله إلى خيرة الأمم، وعلى آله وأصحابه ليوث الهيجاء ونجوم الظلم، فإنه وصلني كتابكم الذي ذكرتني بموعظته، وعرفتني مصالح نفسي بنصيحته، أعرب بلسان الصدق، ودعا إلى سبيل الحق، وأيقظ من النومة، ونبه من الغفلة، فجزاك الله خيرا يا أيها القاصد وجه الله العظيم في سره وجهره، الواقف عند حدوده عز وجل في أمره ونهيه، لقد نصحتني وما غششتني، وندبتني لسعادتي وما كذبتني، فالله أسأل أن ينور بصيرتي، ويأخذ للخير بناصيتي، ويسلك بي فيما قلدني سبيل أوليائه المتقين. ويعينني على القيام بأمور عباده المسلمين.

وهأنا إن شاء الله تعالى أجتهد في كف أيدي الظالمين، وأبذل جهدي في

إنصاف المظلومين، وأبتهل إلى الله تعالى بالضراعة في إعانتي بتوفيقه، وهدايتي لنهج طريقه، وهو سبحانه يعلم - وإن كنت مسرفا على نفسي مقصرا في عملي - أني لا أُضمر إهمال مظلوم ولا إعانة ظالم، وكفي بالله شهيدا، وقد قل أعوان الحق، وكاد أن تعدم منقبة الصدق، فلا رجل ولي عملا الا ظلم وتجبر، ولا مؤتمن يركن إليه إلا خان وفجر، ولا جليس يستعان بنهاه إلا آثر دنياه، واتبع هواه، لكن بالله أستعين في جميع الأمور، وعليه سبحانه أتوكل وإن لم أُوف بحق التوكل في الورود والصدور، ونسأله جل وعلا أن يلهمنا ما يقربنا منه، ولا يجعلنا من المبعدين عنه.

وأسألك أنت بمن كانت هذه المكاتبة ابتغاء وجهه الكريم إلا ما اجتهدت لي في الدعاء في غلس الأسحار، وأطراف النهار، أن يمكنني الله عز وجل نفسي ويلهمني رشدي، ويجعلني من الناطقين بالحق، الفاصلين بالعدل، ويبلغني تعالي أملي في جهاد الكافرين، وينيلني قصدي في حج بيت الله الكريم، وزيارة قبره عليه أفضل الصلاة وأذكي التسليم، وأن يجعل ذريتي من عباده الصالحين ومن أهل القرآن العظيم وزوار قبر نبيه، وأن يختم لي ولهم بالحسنى، ويبلغنا في طاعته جميع المنى، بفضله وجوده.

وأنا قد انتفعت بكتابك، وأنتفع إن شاء الله بنصيحتك وأجد بركة موعظتك، التي أردت بها وجه الله العظيم علام الغيوب فلا تخلني بعد من إشارتك. ولا من صالح دعواتك، ولا توحشنا من أنس جوارك، ولا تفقدنا من صالح إيثارك. وإن كنت قد استغنيت عنا فإني لا أستغنى عن مشاورتك الصالحة، ومكاتبتك الرابحة. إن شاء الله تعالى وهو سبحانه وتعالى يجزيكم أفضل الجزاء ويهدينا إلى الطريقة المثلي والسلام عليكم ورحمة الله».

وذكر المترجم ابن الخطيب في نفاضة الجراب وابن الخطيب القسمطيني في رحلته ووصفه بأوصاف عالية منها: كثرة النفور من أصحاب الولاية في الأعمال

قال: وخرجت علـى يده تلاميذ نجباء أخـيار وطريقه أنه جعل إحـياء علوم الدين نصب عينيه واتبع ما فيه بجد واجتهاد، وصدق وانقياد.

قال هـو غيـره: ولم يكن قوته إلا من نسخ «عـمدة الأحكام» في الحـديث وكان معجبـا بهذا التأليف مؤثرا لحفظه وفهمه كثـيرا ما يندب إخوانه لذلك، وكان يقوم على حـفظه وربما أقرأه تفـهما لكثـير من أصحـابه ينسخ منه ثلاث نسخ في السنة غالبا ويسفـرها بيده، وربما صنع لها أغشية من جلد بيده ويبيـعها ممن يعرف طيب كسبه بدينار من الذهب العين للنسخة ولا يأخذ إلا قيمتها.

ولم تزل حالته وبركـته في زيادة إلى أن توفى قال ابن عرفـة: ما في زماننا مبرز إلا هو وأبو الحسن المنتصر.

قال ابن عاشر الحافي فـي «تحفة الزائر»: رحل يعني المترجم له وحج ثم آب للمغرب فقدم فاسا المحروسة وأقام بها مدة ثم ارتحل إلى مكناسة. اهـ.

وفي «درة الحجـال» رحل إلى مكناسة واسـتوطنها مـدة وكانت بهـا إحدى أختيه والثانية بشمينة، وكـان أبو عنان يجري على التي كانت بمكناسة جراية تعيش بها، ثم انتقل إلى سلا وقرأ القرآن والعلم ببلده شمينة، ثم انتقل منها إلى الجزيرة الخضراء وأقـام بها زمانا مشتغـلا بتعليم كتاب الله ولقي الأكـابر من أهل المقامات كمسعود الأبله - الرجل الصالح - قال وبإشارته خرج من الخضراء.

وفي تحفـة الزائر أنه نزل برباط الفـتح بعد انتـقاله من مكناسـة دهرا طويلا بزاوية الشيخ العظيم الشأن سيدي عبد الله اليابوري، ثم انتقل للعدوة الأخرى من سلا فنزل بهـا بزاوية الشيخ أبي زكـرياء الكائنة بقرب الجامـع الأعظم وبدار المقدم عليها إذ ذاك أبي عبـد الله محمد بن عيسي تلمـيذ أبي زكرياء المذكور، وكل ذلك بعد وفاة الشيخ اليابوري. اهـ.

الآخذون عنه: منهم العارف الكبير أبو عبد الله بن عباد شارح الحكم العطائية، وناهيك به وهو من اكابر أصحابه وخيارهم أقام معه سنين عديدة قال في رسائله: «كنت خرجت يوم مولده ﷺ صائما إلى ساحل البحر فوجدت هنالك السيد الحاج ابن عاشر رحمه الله وجماعة من أصحابه معهم طعام يأكلون فأرادوا مني الأكل، فقلت: إني صائم، فنظر إلى السيد الحاج نظرة منكرة وقال لي هذا يوم فرح وسرور يستقبح في مثله الصوم كالعيد، فتأملت مقالته فوجدتها حقا وكأنه أيقظني من النوم».

وفاته: توفي سنة خمس وستين وسبعمائة وضريحه بسلا مزارة مشهورة يقصدها الزوار ويفد إليها ذوو العاهات فيكشف الله أوصابهم والأعمال بالنيات.

١٨- أحمد بن يحيي بن أحمد بن يحيي بن أحمد بن عبد المنان أبو العباس الخزرجي.

أجرى ذكره تلميذه العلامة ابن جابر الغساني في شرحه على التلمسانية في الفرائض.

حاله: وصفه تلميذه المذكور بالشيخ الفقيه العلم رافع راية الشعر والأدب في عصره القدوة الأحفل، المتفنن الأكمل، كاتب الخلافة العلية، المخصوص لديها بالمزايا السنية، وأنشده لبعض المشارقة:

مفتاح رزقك تقوي الله فاتقه ... وليس مفتاحه حرصا ولا طلبا

والعلم أفضل ثوب أنت لا بسه ... فاجعل له علمين الدين والأدبا

وكان إنشاده إياه البيتين المذكورين برباط الفتح من مدينة سلا أوائل عام ثلاثة وثمانين وسبعمائة. اهـ.

---

١٨ - من مصادر ترجمته: درة الحجال ١/ ٥٣.

وحكي أنه قدم مكناسة مع أبي العباس أحمد المريني بن أبي سالم ونزل في مرستان مكناسة لكونه كان خاليا فكتب له السلطان المذكور هذه الأبيات:

يا شاعرا قد خبرناه ففاض لنا ... بالشعر والكُتْب من تلقاء نجران

نبئت أنك قد بدلت دارك في ... مكناسة فشجا من[1] عندك ابنان

ما زال يتبعك الغاوون مذ زمن ... حتى لقد همت في وادي المرستان[2]

وأجابه أبو العباس المذكور بقوله:

لما بدا لي في حمي مكناسة ... مثوى الذين مضوا من الأتراب

أيقنت أني لست ذا عقل بها ... أتبعت نفسي من هوي وتصابي

فتركت داري لم أُعرّج نحوها ... ورأيت مارستانها أولي بي[3]

و[قد][4] تنسب له حكاية، وهي أنه كان ذات يوم في طريق مكناسة فبينما هو في أثنائها إذ سمع هاتفا ولم ير شخصه وهو يقول:

أسرتم[5] السابح في لجة ... ولم تفلتوا ذوات الجناح

هذا وقد عرضتم للفنا ... فكيف لو خلدتم ياوقاح[6]

فأجابه ابن عبد المنان بقوله:

---

(١) رواية المطبوع: «مكناسة فجشا من عنك انبان» والمثبت رواية المكناسي في درة الحجال.

(٢) درة الحجال ١/ ٥٣.

(٣) درة الحجال ١/ ٥٣.

(٤) من درة الحجال.

(٥) في المطبوع: «أكلتم» والمثبت رواية درة الحجال.

(٦) درة الحجال ١/ ٥٤.

بالعـــقل قـــد فـــضلَنـا ربُّنا وســـخـــر الفـلك لنا والـرياحْ

فـالحـــوت والطيـــر مـتـــاع لنا ومـا عليـنا فـيـهـمـــا من جنَاحْ

وإن غـــدونـا عـــرضـــة للـفنا فـنقـلتـنا إلـى دار الفـــــــلاح

فـــإنه يُفْـــضي إلى دعـــوة لدار خلـد ليس عنـهـــا براحْ[1]

قال في «درة الحجال» وهذه الحكاية حدثني بها أبو راشد عن شيخه ابن إقمار[2] وعن شيخه ابن غازي وأوردها في فهرسته هكذا منسوبة[3] له.

وأوردها الصفدي ونسبها لغيره فانظره.

قال وذكري عن ولد الكاتب المذكور وهو يحيي بن أحمد أنه دخل على مخدومه أحمد المريني بمساء فقال له: مولانا نعم صباحك، فأنكر السلطان ذلك منه وتوهمه ثَملاً فتفطن الكاتب لما صدر منه فأنشأ يقول:

صـبحـتـه عند المسـاء فقـال لي مـــاذا الكلام وظن ذاك مـزاحـــا

فـأجبـته إشـراق وجهك غـرني حـتى توهمت المساء صـباحـا[4]

وعطس السلطان المذكور يوما وكان ابن عبد المنان حاضرا فقال:

يرحـمك الرحـــمن من عـاطس وليـهنك الحـمـد على عطسـتك

ويغـــــفـــــر اللـه لنـا كلـنا وليـسـبل السـتـــر على حـوبتك

الآخذون عنه: منهم أبو عبد الله محمد بن جابر الغساني حسبما ذكره عن نفسه في شرحه على المنظومة التلمسانية وجماعة.

---

(١) درة الحجال ١/ ٥٤.

(٢) في المطبوع: «ابن أكار» والمثبت رواية درة الحجال.

(٣) درة الحجال ١/ ٥٤.

(٤) درة الحجال ١/ ٥٤.

وفاته: توفي سنة اثنين وتسعين - بتقديم المثناة - وسبعمائة - بتأخير الموحدة عن السين.

١٩- أبو العباس أحمد بن سعيد القيجميسي - بفتح القاف والجيم بينهما ياء ساكنة مثناة تحيتة فميم مكسورة فياء ساكنة فسين بعدها ياء النسبة - المكناسي الورزيغي شهر بالحباك.

حاله: كان فقيها علامة متصوفا شاعرا فصيحا ظريفا آية من آيات الله في النيل والإدراك مع حظ وافر من الأدب[1]، وله ذوق في التصوف تولي الخطابة في المسجد الأعظم من بلده مكناسة الزيتون مدة، ثم خطب بجامع القرويين بعد العبدوسي، ثم عاد لمكناسة فخطب بها، ثم عاد إلى فاس وعزل هو عن الخطابة، والفقيه القوري عن الفتوي، والقاضي الجنياري عن خطته في يوم واحد، ثم طلب للإمامة بجامع الأندلس فأبي، وقال: إن كان عزلي لجرحة فلا يحل تقديمي، وإن كان عن غير جرحة فقبولي من قلة الهمة، أي لأن منصب الخطابة في القرويين أشرف من منصب الإمامة في الأندلس، وقبول الانتقال من الأعلى للأدون انحطاط في الهمة والله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها وهذا ظاهر. وكان يدرس بالمدرسة المتوكلية المعروفة بأبي عنان، كان يسكن بورزيغة من مكناسة الزيتون ومنها ارتحل لفاس.

مشيخته: كان تلمذ وهو صغير لسيدي سليمان الذي قال فيه ابن عباد: ما أعلم أحدًا في هذا الوقت أعلم منه بمواجيد القلوب، ولم يفارقه حتى توفي. وأخذ عن العلامة سيدي على بن يشو التلاجدوتي المكناسي، وعن الشيخ الأستاذ

---

١٩ - من مصادر ترجمته: التوشيح رقم ١٣ جذوة الاقتباس ١/ ١٢٧: درة الحجال ١/ ٨٨، كفاية المحتاج ١/ ٦٢، نيل الابتهاج رقم ١١٨.

(١) في المطبوع: «مع حفظ وافر في الأدب» والمثبت رواية القرافي في التوشيح.

ابن جابر الغساني المكناسي، والحافظ أبي القاسم التازغدوري، والحافظ المحدث أبي محمد العبدوسي وغيرهم.

تآليفه: منها نظم مسائل ابن جماعة في البيوع محررة بما وضع عليه الإمام القباب في رجز عذب بليغ أجاد فيه غاية قال ابن غازي: قرأته عليه وأصلح فيه بقراءتي أشياء وأجازنيه، وإنشاءاته وإفادته كثيرة.

الآخذون عنه: أخذ عنه الإمام ابن غازي حسبما أفصح بذلك عن نفسه في روضه، وحلاه بشيخنا الخطيب البليغ أبي العباس أحمد بن سعيد الغيجميسي هـ من خطه.

وفيه الغيجميسي[1] - بالغين المعجمة بعدها ياء ثم جيم فميم مكسورة مشبعة ثم سين فياء نسب - فانظر مع ما نقلناه صدر ترجمته في النسبة وفق ما صرح به السوداني في تكميليه وغيره، وكذا أخذ عنه من في طبقته.

شعره: من ذلك قوله:

حضرة[2] آس وجمع ناس ... وصفوا راح فمن عذيري

راح لها في القلوب قدْمًا ... محض سرور وفيض نور

من يد ساق وأي ساق ... قدس في الحسن عن نظير

فأسكر القوم دون كاس ... وكان سكري من المدير[3]

وقوله:

بُلِّغتَ آمالا ونلت مقاصدًا ... وغدوت ترجي في الأنام وترهب

بهرتْ محاسنك الأنام فأصبحتْ ... أخبار جودك عن سعود تُعرب

(١) الذى فى المطبوع من الروض الهتون - ص ٥٦: «الغفجميسى».

(٢) في المطبوع: «خضرة» بالخاء المعجمة والمثبت رواية المكناسي في درة الحجال، وجذوة الاقتباس.

(٣) درة الحجال ١/ ٨٩.

برعْت علاك وَحُزْتَ كل فضيلة[1] وَطِفـقْت من فلـك المعـالي تَقْـربُ

بَرَقَت عـيـون الحـاسـدين ونالهم من رَوْع عـــــزك ذِلة وتغـلبُ[2]

ولادته: ولد بمكناسة أوائل القرن التاسع أعني سنة أربع وثمانمائة.

وفاته: توفي سنة سبـعين وثمانمائة بفاس على ما في «جذوة الاقـتباس» عن نيف وستين سنة كما في «كناشة» سيدي أحمد زروق وفي «درة الحجال» توفي بعد السبعين وثمانمائة[3].

٢٠ - أحمد بن سعيد المكناسي يكني أبا العباس.

حاله: فـقيه خـطيب. مصقع وجـيه لبيب. أريـحي أريب. ذكره في «درة الحجال».

وفاته: توفى في المحرم الذي هو من شهور سنة اثنين وسبعين وثمانمائة.

٢١ - أحمد بن محمد الحباك المكناسي.

ذكره في الدرة.

حاله: فقـيه أستاذ نحوي كان قـوالا بالحق، وكان آيه من آيات الله تعالي، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم.

مشيخته: أخذ عن سليمان الشهير ببوبغربين[4] اليْزَناسْنِي.

---

(١) في درة الحجال: «كريمة».

(٢) درة الحجال ١/ ٨٩.

(٣) درة الحجال ١/ ٨٩.

٢٠ - من مصادر ترجمته: درة الحجال ١/ ٨٩

٢١- من مصادر ترجمته: درة الحجال ١/ ٩٤، كفاية المحتاج ١/ ٧٣، نيل الابتهاج ١/ ١٤٩.

(٤) في المطبـوع: «سليمـان بن يومين» والمثبت من ترجـمتـه لدى المكناسى في درة الحـجال ٣/ ٣١٢.

وفاته: قال في درة الحجال: توفي مسموما فيما حدثني به شيخنا أبو راشد بعد رجوعه من حركة الصلح مع المريني. اهـ. وذلك سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة.

٢٢- أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن بن محمد بن محمد بن على بن غازي العثماني المكناسي.

حاله: إمام علامة واعية مشارك، حلاه العلامة ابن فهد في اجازة له بالشيخ الإمام العلم الأوحد. العلامة الأمجد.

مشيخته: منهم أبو فارس عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد وأجازه عامة كما رأيته بخطه.

وأخذ عن والده الأمام ابن غازي وأجازه أيضا عامة ودونك نص إجازته له نقلا عن خطه:

«أجزت لولدي أحمد ومحمد وللفقيه أبي محمد عبد الواحد نجل العالم المطلق أبي جعفر أحمد بن يحيي الونشريسي، وللفقيه أبي الحسن على بن موسي ابن هارون المطغري، وللفقهاء الإخوة الجلة أبي عبد الله محمد، وأبي زيد عبد الرحمن، وأبي العباس أحمد أولاد الفقيه المحصل أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الدكالي، وللفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد الغزال جميع ما اشتملت عليه فهرستي هذه وذيلها إجازة تامة، مطلقة عامة، بشروطها.

قاله وكتبه العبد الفقير المستغفر محمد بن أحمد بن محمد بن غازي العثماني، سمح الله تعالى له بمنه والحمد لله وكفي، وسلام على عباده الذين اصطفى».

كما أجازه عامة أيضا العلامة أبو عمرو عثمان بن محمد بن عثمان الديمي المصري، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن مرزوق العجيسي، حسبما أفصح بذلك والده في فهرسته وذيلها.

فرع الشجرة الزكية الولي الكبير، العلم الشهير، البركة.

٢٣- سيدي أحمد الشبيه بن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن أبي غالب بن عبد الواحد بن محمد بن على بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن على بن حمود بن يحيي بن إبراهيم بن يحيي بن محمد بن يحيى بن القاسم بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن حسن بن الحسن بن على بن أبي طالب ومولاتنا فاطمة الزهراء بنت سيد المرسلين. وحبيب رب العالمين، وآله الطيبين.

حاله: علامة نبيل، قدوة جليل، إمام حفيل، شريف أصيل، صاحب قدم راسخ، وقدر شامخ، عارف ناسك، جهبذ مشارك، لقب بالشبيه لما بدا من علامة جده فيه، وهي الخاتم بين كتفيه، ويالها من مزية عظيمة، ومنقبة جسيمة، وقد أثنى عليه صاحب «الدرة الفاخرة» قائلا:

ثم الإمام أحمد الشبيه ... وهو الإمام العارف النبيه

كان به الشبه بالرسول ... بخاتم في وضعها المنقول

وجده يحيي الشريف الجوطي ... بنسب أفق العلا منوط

آخر تاسع المئين ولدا ... عن ابن يجبش الطريق أخذ

وهي تبلغ إلى الجيلاني ... كان له بها علو الشان

مضي ثلاثة وأربعون ... من بعد تسعمائة تعينا

قبره في مكناسة الزيتون ... من باب عيسي جل في العيون

مشيخته: أخذ عن ولي الله تعالى سيدي محمد بن عبد الرحيم التازي المولود سنة أربعين وثمانمائة، وسيدي عبد الله الغزواني، والشيخ أبي عبد الله

محمد الزيتـوني دفين المسيلة من بلاد الجريد المتوفي سنة إحدي عشـرة وتسعمائة، وعن الشيخ أبي محمـد عبد العزيز القسمطيني المتوفي سنة ثلاث عشـرة وتسعمائة وغيرهم.

الآخـذون عنه: منهم الولي المحـبـوب، أبو زيد عـبد الرحـمن المجـذوب وجماعة كثيرة وطريقته رضي الله عنه جيلانية.

ولادته: ولد رضي الله عنه وعنا به آخر المائة التاسعة.

وفـاته: توفي سنة ثلاث وأربعين وتسـعمـائة ودفن بروضـة سيـدي عمـرو الحصيني وقبره غير معروف لدينا اليوم قالوا إنما كان يعرفه الولي الشهير مولانا عبد القادر العلمي ويقال إن الدعاء عند قبره مستجاب.

٢٤- أبو العباس أحمد بن محمد بن ميمون المسطاسي المكناسي.

حاله: كان فقيـها، فاضلا نبيها، وجيـها نزيها، قاضيا بالحضرة الهـاشيمية المكناسية وقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ خمس وتسـعمائة محلي فيه بالفقيه القاضي بمدينة مكناسة ولم أدر وقت وفاته.

٢٥ - قاضـيهـا أبو العبـاس أحمـد بن أحمد بن علـى بن عبد الرحـمن بن القاضي الأعدل الخير الدين أبي العز بن أبي العافية المكناسي.

حاله: فقيه علامة نزيه أعدل قضاة زمانه له معرفة بالفقيه المالكي.

قال في ابتهاج القلوب «وبسبب قضـاء أبي العز -يعني جد المترجم - جري عليهم لقب ابن القاضي فيما نظن».

والمترجم هو جد أبي العباس ابن القاضي مؤلف «الجذوة» و«الدرة» وغيرهما من التآليف المفيدة تولي خطة القضاء بمحروسة مكناسة الزيتون.

مشيخته: أخذ عن الإمام ابن غازي وغيره.

وفاته: توفي بفاس المحروسة سنة خمس وخمسين وتسعمائة ودفن بإزاء قبر الولي الصالح أبي عبد الله محمد بن غازي رحم الله الجميع بمنه.

٢٦- أبو العباس أحمد بن على بن عبد الرحمن بن عبد الله المنجور. المكناسي النجار، الفاسي الدار والقرار، كذا نسبه غير واحد ممن ترجمه[١].

حاله: إمام فقيه معقولي، محدث أُصولي، آية من آيات الله في المعقول والمنقول وسعة العارضة والاطلاع والمهارة الكاملة في سائر الفنون، كان أحفظ أهل زمانه وأعرفهم بالتاريخ والبيان والمنطق وغير ذلك وكانت له معرفة برجال الحديث شديد العناية بالتحصيل قوي التحقيق حسن الإلقاء والتقرير، معتنيا بالمطالعة والتقييد والإقراء، لا يكل ولا يمل، شعاره الإنصاف في البحث والمذاكرة، يميل مع الحق حيث كان، صافي الذهن حاد الإدراك، مصيب الفهم، ذا خط رائق، وأدب فائق، خدم العلم حتى أَلقت إليه العويصات زمامها، وبرز على الأقران، وصار شيخ جماعة الأعلام في وقته، وكان يحض على تعلم سائر العلوم ويقول: إن العلوم كلها نافعة، وكان يبحث عنها ويتعلمها حتى إنه تعلم لعب الشطرنج فأتقنه ومهر فيه وصار المشار إليه بالبنان في معرفة دقائقه وتعلم تلاحين العود فكان يحرك بجسه أوتاره أفئدة العاشقين، جمال حضرة رب العالمين، أما العقائد فهو ابن بجدتها، وانفرد عن أهل زمانه بمعرفة تاريخ الملوك والسير والعلماء على طبقاتهم ومعرفة أيامهم وكانت معه حدة في بعض الأوقات تمنع المتعلم من مراجعته، والإكثار من مباحثته.

وكان مولعا بأمثلة العامة خصوصا عامة الأندلس يستحسن لغتهم ولكنتهم

---

٢٦ - من مصادر ترجمته: درة الحجال ١/ ١٥٦، نيل الابتهاج ١/ ١٥٥.

ويثني عليهم وعلى بلادهم ويتشوق إليها وكان يقال فيه إن فهمه لا يقبل الخطأ وله صناعة في التدريس يجيد ترتيب النقول ويتأنق في كيفية الإلقاء، وكان من عباد الله الصالحين لا يفتر عن قراءة القرآن إلا في زمن المطالعة أو الإقراء أو ضروريات الإنسان، وكان أورع الناس في النقل، كاد أن لا يفارق لسانه لا أَدري أو حتى أنظر أو كلام يقرب من هذا.

وكان دمث الأخلاق رقيق الحاشية متقشفا في الدنيا قانعا بما تيسر من المأكول والملبس لا يحسن تدبير الدنيا قال «في درة الحجال» صارت الدنيا تصغر بين عيني كلما ذكرت أكل التراب للسانه والدود لبنانه.

وفي «كفاية المحتاج» هو آخر فقهاء فاس لم يخلف بعده مثله، وأصله من مكناسة الزيتون كما صرح بذلك غير واحد ممن ترجمه.

مشيخته: أَخذ عن اليسيتني وهو عمدته، وسقين، وابن هارون، وعبد الواحد الونشريسي، والزقاق وغيرهم ممن اشتملت عليه فهرسته.

الآخذون عنه: أخذ عنه الإمام المولي عبد الله بن على بن طاهر الحسني العلوي، وأبو المحاسن الفاسي، وأخوه العارف بالله، وولده أبو العباس أحمد، وأبو العباس ابن القاضي صاحب «درة الحجال» وغيرها. وأجازه عامة قال في درته لازمته كثيرا من سنة خمس وسبعين إلى وفاته وما فارقته إلا زمن رحلتي للمشرق أو زمن أسري فقط أو مرة أقمتها بمراكش في حياته رحمة الله عليه وأخذ عنه خلق عظيم.

مؤلفاته: منها شرح المنهج المنتخب على قواعد المذهب، وحاشية على كبري السنوسي في العقائد، وأخري صغيرة عليها أيضا، وشرحان على قصيدة ابن زكري في الكلام مطول ومختصر، وفهرستان كبري وصغري، ومراقي المجد في

آيات السعد، والمختصر المذهب، من شرح المنهج المنتخب، وشرح المختصر. من ملتقط الدرر.

شعره: من ذلك قوله جوابا عن سؤال بعض السنوسيين سأل عنها قاضي الجماعة بفاس عبد الواحد الحميدي[1]:

جوابك في الأولى إباحة أكلها ... ومستقذر كل يباح وَصدِّقِ
وأنكر في التنبيه نجل بشيرهم ... إضافة ذا للمذهب افهم ودقق
وقد قيل في الأوزاغ يحرم أكلها ... وذلك في الكافي ليوسف فارتق
وميت مجنون جري خلف حكمه ... بِعِلْم كلام لا تكن غير متق
وتحقيقه أن الجنون الذي طَرَا ... يصير كموتٍ فَصِّل الحَقَّ تَعْبَقِ
فآونة بعد البلوغ طُرُوَّه ... وحينا يُرى قبل البلوغ فطبق
وآونةً إثر الصلاح وقوعه ... وحينا لِعصيان[2] الكبير يلتقي
وحينا يدوم للممات وتارة ... يُفيق فخذ حكم الجميع ووثق
ويندب للمسبوق دعوى تشّهدٍ ... وِفاق إمامٍ في الثلاثة فارْتَقِ
وليس له فعل بحال واصله ... بكسر لياء فاكسرِ العين ترتقي
وجمعك صاعا في القليل بأَصْوُعٍ ... وسوغ لضم[3] الواو نهجا ونمق
وإن شئت فاقلبه فيرجع آصُعا ... بضابط[4] تصريفٍ فللعلم شَوِّق

(١) الأبيات لدى المكناسي في درة الحجال ١/١٥٨، والتنبكتى في نيل الابتهاج ١/١٥٧.
(٢) في المطبوع: «بعصيان» والمثبت من درة الحجال.
(٣) في المطبوع: «لهمز» والمثبت من درة الحجال
(٤) في المطبوع: «لضابط» والمثبت من درة الحجال.

وصـاع كعـام عـينه فـرع ضمـة وتحـريكه فـتـح فـزِنْهُ وحـقق

ومقصـود مِنْ في العود بدء لغاية فـإبليسُ مبـدا العـود عند الموقف

وجـمع سواء فـالذي منه جامـد بأفـعلـة فـاعلم يقـاس فـفـرق

ومـشتـقـه وزن الخطايا قـياسـه سـوايا به نقل فـبـالمدح فـانطق

يعني أن المشتق جمعـه مسموع، وأما الجامد فلم يسمع له جـمع لكن قياسه أفعلة كأقبية، قال في نيل الابتهاج إثر نقله لهذا الأبيات ما نصه:

«وهذه الأبيات أرويها عن صاحبنا قاضي تامسنا إبراهيم الشاوي عنه»[1].

ولادته: ولد عام ستة وعشرين وتسعمائة.

وفاتـه: توفي يوم الاثنين سادس عـشر القـعدة الحـرام سنة خمـسوتسـعين وتسعمـائة كذا في «الدرة» والذي في نيل البتهاج أنه توفـي نصف ذي القعدة ليلة الاثنين والخطب سهل.

٢٧- أبو العباس أحمد بن عمر الحارثي السفياني.

نسبة لفخذ من قبيلة الغرب المشهور.

حاله: كان من أكابر الصالحين عارفـا بالله تعالي رطب اللسان بذكره تعالي لا يفتر لسانه عن ذكره وكان دأبه أن يخبط أطباق العزف والقفاف فلا يدخل الخيط ويخرجـه في كل مرة إلا بـكلمة الهـيللة شأنه مـراقبـة مولاه، في سـره ونجواه، والدلالة عليه.

مشيخته: أَخذ عن الشيخ أبي عبـد الله محمد بن سليمان الجزولي صاحب دلائل الخيرات.

---

(١) نيل الابتهاج ١/١٥٨.

٢٧ - من مصادر ترجمته: دوحة الناشر في موسوعة أعلام المغرب ٢/ ٨١٤.

الآخذون عنه: منهم الشيخ الكامل أبو عبد الله محمد بن عيسي السفياني الأصل ثم المختاري شيخ الطائفة العيساوية، ومنهم السيد عمر بن مبارك الحصيني من قبيلة حصين - بالتصغير - دفين مكناسة الزيتون والسيد سعيد بن السايح المالكي من عرب بني مالك، وغيرهم.

وفاته: توفي في العشرة الأولى من القرن العاشر وقبره مشهور ببلدتنا المكناسية عليه مزارة جليلة خارج باب السيبة أحد أبواب المدينة.

٢٨- أحمد بن إبراهيم الأوسي الجنّان أبو جعفر.

من جملة شيوخ مكناسة الذين لقيهم ابن الخطيب عام إحدي وستين وسبعمائة حسبما ذكره في رحلته المسماة «بنفاضة الجراب».

حاله: كان فقيها عدلا اخبار يا مشاركا من أهل الظرف والانطباع والفضيلة عاقدا ناظما ناثرا مشاركا في فنون من العلم.

مصنفاته: منها المنهل المورود في شرح المقصد المحمود، في ثلاثة أسفار شرح فيه وثائق ابن القاسم الجزيري فأربي على الإجادة، بيانا وإفادة، قال ابن الخطيب ناولني إياه وأذن في حمله عنه وأنشدني كثيرا من شعره.

شعره قال في صدر رسالة يهني بها ناقها من مرض[1]:

البس الصحة بُردا قشيبا ... وارشف النعمة ثغرا شنيبا

واقطف الآمال زهرا نضيرا ... واعطف الإقبال غصنا وطيبا[2]

إن يكن ساءك وعكٌ تُقضي ... تجد الأجر عظيما رحيبا

فانتعش دهرك ذا في سرور ... يصبح الحاسد منه كئيبا

---

٢٨ - من مصادر ترجمته: نفاضة الجراب - ص٣٧٦.

(٢) نفاضة الجراب - ص ٣٧٦.

(٣) في المطبوع: «رطيبا» بالراء، والمثبت من النفاضة.

ومنه أيضا ما رقم في الدور الخشبي الذي بالدار التي كان نزل بها ابن الخطيب عند حلوله بالديار المكناسية وهو قوله[1]:

انظر إلى منزل إذا نَظَرَتْ ... عيناك يعجبك كل ما فيه

ينبيء عن رفعة لما لكه ... وعن ذكاء الحجا لبانيه

يناسب الوشي في أسافله ... ما يرقم النقش في أعاليه

كأنه روضة مُدَبَّجَة[2] ... جاد لها وابل بما فيه

فأظهرت للعيون زخرفها ... وأوقفتها على تحليه

فهو على بهجته تلوح به ... ورونق للجمال يبديه

يشهد للساكنين أن لهم ... من جنة الخلد ما يحاكيه

في أبيات أخر.

قال ابن الطيب: وفاتحته محركا قريحته ومستثيرا ما عنده بقولي:

إن كانت الآداب أضحت جنة ... فلقد غدا جنانها الجنان[3]

أقلامه القضب الِّلدَان بدوحها ... والزهر ما رقَمته منه بنان

قال فراجعني الجنان بما نصه:

يا خاطب الآداب مهلا فقد ... ردك عن خطبتها ابن الخطيب[4]

هل غيره في الأرض كفؤ لها ... وشرطها الكفاة قول مصيب

---

(١) نفاضة الجراب - ص ٣٧٦.

(٢) في المطبوع: «مدلجة» والمثبت رواية النفاضة.

(٣) نفاضة الجراب - ص٣٧٧.

(٤) نفاضة الجراب - ص ٣٧٧

أصبح للشرط بها معرسا فاستفت في الفسخ فهل من مجيب؟

نثره: قال يخاطب ابن الخطيب: «أيها السيد الذي يتنافس في لقائه ويتغالي. ويصادم بولائه صرف الزمان ويتعالى[1]، وتستنتج نتائج الشرف بمقدمات عرفانه، وتقتنص شوارد العلوم برواية كلامه، فكيف بمداناة عيانه، جلوت على من بنات فكرك عقائل نواهد، وأقمت بها على معارفك الجمة دلائل وشواهد، واقتنصت بِشَرَكَ[2] بديهتك من المعاني[3] أوابد شوارد، وفَجَّرْتَ من بلاغتك وبراعتك حياضا عذبة الموارد، ثم كلفتني من إجراء ظالعي[4] في ميدان ضليعها، مقابلة الشمس النيرة بسراج عند طلوعها، فأخلدت إخلاء مهيض[5] الجناح، وفررت فرار الأعزل عن شاكي السلاح، وعلمت أنني إن أَخذت نفسي بالمقابلة، وأَدليت دلو قريحتى للمساجلة، كنت كمن كلف الأيام رجوع أمسها، أو طلب ممن علته السماء محاولة لمسها، وإن رضيت من القريحة بسجيتها[6] وأَظهرت القَدْر الذي كنت امْتَحْتُ[7] من ركبتها. أَصبحت مسخرة للراوين[8] والسامعين، ونبت عن أسمي دواوينهم كما تنبو عن الأشيب عيون العين ثم إن أمرك يا سيدي لا يَحُلُّ وثيق مبرمه، ولايحل نسخ محكمه، فامتثلته[9] امتثال من لم يجد في

(١) في المطبوع: «ويعالى» والمثبت رواية نفاضة الجراب.

(٢) في المطبوع: «بشرارد» والمثبت رواية النفاضة.

(٣) في المطبوع: «المعالي» والمثبت رواية ابن الخطيب.

(٤) في المطبوع: «طالعنى» والمثبت رواية ابن الخطيب، وبهامشه: «الظالع الذي أصابه الظلع وهو شبه العرج».

(٥) في المطبوع: «قبيض» والمثبت رواية ابن الخطيب.

(٦) في المطبوع: «بسيمتها» والمثبت رواية ابن الخطيب.

(٧) في المطبوع: «استمحت» والمثبت رواية ابن الخطيب.

(٨) في المطبوع: «للراءين» والمثبت رواية ابن الخطيب.

(٩) في المطبوع: «فامتثلت» والمثبت رواية ابن الخطيب.

نفسه حرجا من قضائك، ورجوت حسن تجاوزك وإغضائك، أبقاك الله قطبا لفلك المكارم والمآثر، وفصا لخاتم المحامد والمفاخر والسلام[1]».

٢٩- أبو العباس أحمد بن سعيد المِجْلَدِي[2].

حاله: شيخ الجماعة في إقراء المختصر الخليلي محصل لمنطوقه ومفهومه، كثير الممارسة له، يختمه كل سنة، مستحضر للنوازل، عارف بإدراج الجزئيات تحت الكليات، ماهر في ذلك، حسن الأخلاق، لين العريكة، منصف متواضع، له إشراف تام على السير، ومشاركة وافرة في فنون عديدة نفع الله بعلمه جما غفيرًا من الأعيان.

ولي قضاء فاس الجديد أزيد من أربعين سنة، فحمدت سيرته، ولم يحفظ عنه ما يشين عرضه ولا ما يغض من جلالة منصبه.

وولي قضاء مكناسة الزيتون بعد عزل القاضي أبي مدين عنها، وذلك أواسط شوال عام ثمانية وثمانين وألف كما أفصح بذلك الضعيف في «تاريخه» وقد وقفت على عدة خطابات له تدل على ذلك.

مصنفاته: منها اختصار المعيار في مجلد ضخم، وشرح على المختصر الخليلي سماه أُم الحواشي يبين فيه الصورة أو لا بما فهمه ثم ينقل ما يناسبه من كلام الأئمة، ثم ينقل سائر لفظ الحواشي السابقة عليه، ومؤلف في الحسبة سماه «التيسير في أحكام التسعير» وقفت عليه في نحو الكراسة.

مشيخته: أخذ عن أبي محمد عبد القادر الفاسي، وأبي سالم العياشي وأجازه الأخير عامة كما أخذ عن غيرهما.

---

(١) الخبر بطوله لدى ابن الخطيب في نفاضة الجراب - ص ٣٧٧.

(٢) في المطبوع: «المجيلدي» والمثبت في نشر المثاني.

٢٩ - من مصادر ترجمته: نشر المثاني ٤/ ١٦٦٧ في موسوعة أعلام المغرب.

الآخذون عنه: منهم أبو على الحسن بن مسعود اليوسي كما في «نشر المثاني» وناهيك به. قال اليوسي في «فهرسته» أخذت عنه رسالة الأسطرلاب، وشيئا من الحباكية وشيئا من القلصادي، وحضرت عنده خليلا وأثني عليه رحم الله الجميع.

وفاته: قبضه الله إليه مغرب يوم الاثنين خامس عشري صفر عام أربعة وتسعين وألف ودفن ظهر الغد خارج باب محروق أحد أبواب فاس.

٣٠- أبو العباس أحمد الغماز أستاذها.

حاله: كان شديد الحفظ للقرآن العزيز يسأل عما قبل الآية فيجيب مسرعا وكان أستاذ الإقراء، وأستاذ الغناء، وكان له تلامذة يحسنون الصنعتين.

٣١- الشاب أبو العباس أحمد بن عمر بن مبارك الحصيني المكناسي.

حاله: فقيه من أعيان أهل مكناسة ذكره الغزال في تأليفه الذي تعرض فيه لترجمة الشيخ الكامل السيد محمد بن عيسي دفين خارج بَابَيْ السيبة والبراذعيين من مكناسة الزيتون قائلا فيما حكاه عن السيد محمد بن عمر بن داود المختاري أحد تلاميذ الشيخ المذكور، من أنه كان يوما بين يدي شيخه ابن عيسي إذ جاء الشيخ شاب فقيه من أهل مكناسة ومن أعيانها وعليه أثر الغبار، فجلس أمام الشيخ وصار يبكي بكاءً شديدا، فقال له الشيخ: ما يبكيك يا فقيه؟ فأخبره عن والده أنه سار إلى رحمة الله وله مدة يسيرة وأنه رآه الليلة في النوم وذكر له أنه يعذب في قبره، وأنه أمره بالتوجه إليه لعله أن يدعو الله له أن يخفف عنه العذاب، فقال له الشيخ: نعم، وبسط كفيه وقال: اللهم بجاه سيدنا ومولانا محمد صاحب الجاه العظيم عندك خفف عن والده العذاب، وأمّنّا نحن على دعائه، ثم إن الشاب قبل يد الشيخ وقام وهو مسرور وأيقن بالفرج لما يتحقق من إجابة دعائه رضي الله عنه.

ثم بعد ثلاثة أيام أقبل المترجم على الشيخ عند صلاة الصبح فصلاها خلفه وعليه آثار الفرح والسرور، ثم بعد الفراغ قام وجلس أمام الشيخ وقبل يده وقال: يا سيدى، رأيت البارحة والدى وهو فى غاية السرور، وعليه عباءة خضرا، وقال: يا ولدى قد رفع الله عنى العذاب ببركة دعاء الشيخ، فعليك با بنى باتباعه وصحبته، ثم دخل الشاب المترجم في عهده وصحبته وصار من المفتوح عليهم. قال: وهذا الشاب الفقيه هو الشيخ سيدي أحمد بن عمر بن المبارك الحصيني رضي الله عنه.

مشيخته: أخذ عن الشيخ ابن عيسي وغيره.

٣٢- أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد المكناسي الزناتي الشهير بابن القاضي.

من نسل موسى بن أبي العافية.

صرح هو بذلك في كتابه جذوة الاقتباس.

ورفع نسبه فيه إليه، ثم إلى مكناس بن وصطيف، ثم تبرأ من فعل جده ابن أبي العافية مع أهل البيت وهو ممن شمله عموم قول ابن غازي في "روضه" لدي تعداده علماء مدينة مكناسة الزيتون، إذ قال: ومنهم بنو العافية.

حاله: كان فقيها مشاركا مؤرخا ضابطا نقادا مطلعا ثبتا وجيها متقنا حيسوبيا فرضيا له معرفه بالتاريخ والفقه والفرائض والحساب والهندسة وتولي القضاء بسلا فحسنت سيرته وحمدت.

مشيخته: أخذ عن عدة شيوخ في المغرب، منهم: أبو القاسم المنجور، ومفتي مراكش أبو محمد عبد الواحد السجلماسي الحسني العلوي، وأبو زكرياء يحيي السراج، وأبو عبد الله بن جلال، وابن مجبر المساري، والشيخ القصار، والشيخ أحمد بابا السوداني. ثم رحل إلى المشرق فأخذ به عن عدة شيوخ أيضا، وكان يتردد إلى الشيخ أبي المحاسن الفاسي ويحضر مجالسه.

---

٣٢ - من مصادر ترجمته: نشر المثاني ٣/ ١٢٢٩ في موسوعة أعلام المغرب.

تآليفه: منها جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، ومنها درة الحجال في أسماء الرجال. والمنتقي المقصور على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور، ولفظ الفرائد من لفاظة حلو الفوائد، وله نظم ذيل به رقم الحلل لابن الخطيب، وغنية الفرائض في طبقات أهل الحساب والفرائض، والمدخل في الهندسة، ونظم تلخيص ابن البنا، وكتاب نيل الأمل فيما بين المالكية جري العمل، وفهرسته المسماة بزائد الصلاح، وله كلام على جداول الحوفي وتقاييد.

محنته: كان في رحلته إلى الحج ركب البحر فأسر بيد النصاري وأذاقوه النكال الأليم والبلاء العظيم، من الجوع والضرب والتكليف بما لا يطاق، وقد كان المنصور - رحمه الله - كتب في شأنه لقواد الثغور بالبحث عن مستقره في أي موضع من بلاد النصاري لتعلق همته العلية بإخراجه من ربقة الأسر تعظيما لقدره حسبما أخبر بذلك عن نفسه في كتابه المنتقي.

وكان أسره في يوم الخميس رابع عشري شعبان عام أربعة وتسعين، فتكون مدة أسره نحو أحد عشر شهرا، افتداه المنصور بما يعدل عشرين ألف أوقية من الذهب، بعد أن كان النصاري إنما طلبوا فداءه بكلب تعنتا.

شعره: من ذلك قوله مستعطفا ومستصرخا المنصور الذهبي لفدائه من الأسر:

تجلت عن المعاني الأسير المكبل ... همومٌ سرت في الجسم في كل مفصل[1]

بذكر الإمام الهاشميّ الذي سما ... بسيمة خير الخلق في كل محفل

إمام العلا المنصور فخر أئمة ... به قد تحلي كل جيد معطل

به راق وجه الأرض وافتر ثغره ... وحُلي جيد منه بالدر والحلي

إمام همام همه طول همة ... ظبي ماله[2] عين المعالي بصيقل

(١) نشر المثاني - ص١٢٣١ في موسوعة أعلام المغرب.

(٢) في المطبوع: «بانة» والمثبت من نشر المثاني.

فكم تضحك الخيرات في بطن كفه ... ويبكي[1] دماء كل رمح ومنصل

وكم جاوز الغايات حتى لو أنه ... أراد الثريا أَمهها في التنزل

فَغُرٌّ[2] الليالي من سناه توقدت ... ضياءً بنور بالخلافة مشعل

زكيّ زهيّ للسماح سماؤه ... جناح لنسر النصر في كل محفل

إمام الهدى بحر الندي قسور الردى ... إلى المعتفي والفاجر المتضلل

بحق الذي ولاك[3] ملكا فنجني ... من الهلك يا قصد السبيل المكبل

وكن يا إمام العدل في عون حائر ... أسير كسير ذي جناح مذلل

لقد مزقت أيدي الزمان وريده ... ودارت عليه الدائرات كجلجل

وأَخني عليه الدهر من كل وجهة ... وداست عليه النائبات بأرجل

فعافاك رب العرش يا ملك العلا ... ودمت أماما في علاء مزمل

ولا زلت حج المعتفين وكعبة ... مطافا لأهل الفضل في كل محفل

ولادته: ولد عام ستين وتسعمائة.

وفاته: توفي عام ألف وخمسين وعشرين وقدر المكلاتي لوفاته بحروف (وهو شهاب) في قوله:

وخر شهاب الدين أحمد من به ... (وهو شهاب) ظلمة الليل تنجلي

---

(١) في المطبوع: «وتبكي» والمثبت رواية نشر المثاني.

(٢) في المطبوع: «فعز» بالعين المهملة والزاي، والمثبت رواية نشر المثاني.

(٣) في المطبوع: «أولاك» والمثبت من نشر المثاني.

٣٣- الولي الشهير. المجذوب الكبير. سيدي أحمد بن بلعيد المدعو ابن خضراء.

من بهاليل مكناسة الزيتون.

حاله: كانت حالته حالة الغائبين المحبوبين له كرامات كثيرة. وأخبار بالمغيبات شهيرة. قال في «نشر المثاني» يتحققون ذلك أهل بلده ويتحدثون عنه بعجائب.

مشيخته: أَخذ عن سيدي محمد الشرقي، قال في النشر: والتاريخ يقبله، إذ كان لصاحب الترجمة علوّ في سنّه، لأنه تقدم أن وفاة سيدي محمد الشرقي في العام العاشر بعد الألف وتوفي صاحب الترجمة عام خمسة وسبعين بموحدة وألف، فبين وفاتيهما نحو خمس وستين [سنة، وعمر صاحب الترجمة قرب المائة][(٢)].

والذي في لوح خشب منقوش مبني عليه صدر جدار المباح يمين الداخل لضريح المترجم أنه أَخذ عن سيدي عبد السلام الشرقي، وهو أخذ عن والده سيدي محمد فيكون أَخذ عن سيدي محمد بواسطة والده سيدي عبد السلام، وقد رفع سنده في ذلك اللوح إلى النبي ﷺ وعلى آله وصحبه.

وفاته: توفي عن سن عالية في منتصف رجب الفرد عام خمسة وسبعين بموحدة وألف، وضريحه بمكناسة شهير من المشاهد المتبرك بها رحمه الله ورضي عنه.

٣٤- أحمد بن عبد القادر بن عبد الوهاب بن موسي بن الشيخ سيدي محمد بن مبارك التاستاوتي[(٣)].

---

٣٣ - من مصادر ترجمته: نشر المثاني ٤/ ١٥٢٧ في موسوعة أعام المغرب.

(٢) نشر المثاني - ص ١٥٢٧ - ١٥٢٨ في موسوعة أعلام المغرب، وما بين حاصرتين منه.

٣٤ - من مصادر ترجمته: نشر المثاني ٥/ ١٩٥٤ في موسوعة أعلام المغرب.

(٣) في المطبوع: «التستوتي» والمثبت من نشر المثاني.

الولي الصالح العارف الشهير من حفدة الشيخ أبي عبد الله محمد بن مبارك الزعري.

حاله: كان عالما عاملا، عارفا كاملا، ممتع المجالسة آية في نيل الفضائل. ومعرفة حقوق الأفاضل، فمن ذلك أنه كانت وقعت وحشة بينه وبين الشيخ الكامل، العارف الواصل، سيدي أحمد بن ناصر، فبقي مرة يترضاه، ويستنزل بمحاسن أدبه رضاه. إلى أن لبي مناديه، فدعا لتلقي تلك المنة ناديه، واستدعي الناس لحضور ذلك المهرجان الدعاء العام، وذبح كل ما ملكت يمينه من الأنعام، وأوقد لقراءة كتاب الشيخ الشموع بالنهار، وكاد أن يجري لكثرة ما ذبح من الدماء الأنهار، وأخرج من الفرش المرفوعة ما قدر عليه، وقام عاري الرأس حافي القدمين لقبض الكتاب الكريم الذي ألقي إليه.

وإذا لم يكن من الذل بد ... فالق بالذل إن لقيت الكبارا

ليس إجلالك الكبار بذل ... إنما الذل أن تجل الصغارا

ومن ذلك أنه وفد على صاحب الترجمة فتية من أولاد الشيخ أبي يعزي في خروجهم لصيد فأكرمهم وطعموا وشربوا وحين خرج ليشيعهم وجد كلابا بالباب أعدوها لصيدهم، فقال: لمن هذه ؟ فقالوا: لنا، فعاتبهم حيث لم يخبروه بها، قائلا: أليس بعار أن تكون هذه الكلاب تصطاد لكم وتنزهكم ثم تدخلون وتتركونها ولا تخبرونني بمكانها! ما هذا شأن صحبة الكرام، ثم أقسم أن لا ينصرفوا حتى يصنع للكلاب طعاما وأخذ في مداعبتهم ومحادثتهم ومؤانستهم حتى حضر طعام الكلاب، فوضعه بين يديها ووقف عليها بنفسه حتى أكلت فودعهم وانصرفوا شاكرين.

قال أبو القاسم العميري: دخلت عليه في يوم الذي توفي فيه فوجدته جالسا على صندوق مرتفع عن الأرض، فقال: لي: إنما جلست هنا لأني صليت عليه هذه الصلاة يعني الظهر ويشق علي إن نزلت أن أصعد لصلاة العصر فمات قبل العصر أو بعده.

ذكر لي يوما باءته وأن من قوته فيها أنه إذا كان في داره لا يصلي صلاة من الصلوات إلا بغسل من جنابة، وكان إذ ذاك متسع الحال في المناكح والسراري، وتأتّي له من ذلك ما لم يَتَأَتّ لمثله، وكان له حسن بداهة في النظم حتى إنه قد يكتب الكتاب وحامله حاضر ينتظره له كأنه يحفظه.

مؤلفاته: منها نظم ممتع الأسماع وشرحه، ونظم رجال التشوف وشرحه، ونظم رجال القشيرية وشرحه، وله كتاب النزهة ضمنه رسائله في جزءين، وله ديوان شعر في ثلاثة أجزاء ضخام وقفت على جزء منها في القالب الكبير، وله أسئلة فقهية لعلماء وقته، وتقاييد مفيدة تدل على تضلعه واقتداره وشفوف مكانته وعلو همته وتفوقه على أترابه.

شعره: من ذلك قصيدته الدالية في مدح خير البرية، عارض بها دالية الشيخ اليوسي في مدح شيخ السنة وإمام الحقيقة سيدي محمد بن ناصر الدرعي ومطلعها.

عرج بأطلال الأحبة واقصد ... آثارهم يوما لعلك تهتدي

وأَجز إذا جئت الديار بمنزل ... قد ضم أجداث العشير الهمد

ولهيب قلبك إن أردت شفاءه ... فأت الربوع تريح قلب الأكمد

إلى أن قال:

لولا النوى ما أقبلت من مغرب ... فوق المطايا عاشقون لأحمد

صلى عليه الله ما هبت صبا ... وبكي لرؤية وجهه ذو أكمد

بادر لزورته إذا ما اشتقته ... واذهب على الوجنات غير منكد

ودع المطي بأرجل تشم الحصي ... وسمن بالأخفاف خد الأجلد

وسمن كل مخيل من بارق ... وسمن بالركبات كل مبلد

يعطش بالفلوات مثل ضبابها ... ولهن سبح في سراب صيهد

وهي طويلة تنيف على الستمائة بيت وكان إنشاؤه لهذه القصيدة سنة خمس وعشرين ومائة وألف.

ومن ذلك قوله في ثاني ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وألف:

عظمت نعمة الإله علينا ... واستزادت فما لها من نفاد

كل يوم نري من الله فضلا ... وامتنانا ورحمة في أيادي

لو نجازي على ذنوب جنينا ... ها نزلنا منازل الإبعاد

فعفا رحمة ومنًّا علينا ... واهتدينا بنور أشرف هادي

أحمد المصطفي الذي من سناه ... زان ما في الأغوار والأنجاد

واهتدي كل سالك طرق الإر ... شاد من حاضر الأنام وباد

وارتدي كل رائد منها التو ... فيق من رائح إليه وغاد

إلى أن قال:

عجبا كيف يدرك المرء هون ... والنبي الكريم رحب النادي

لذ به مـــتـــوســـلا تبلـغ المأ ... مول في الـقرب من رحيـم جواد

وقوله في سنة ست ومائة وألف:

أَراعك أن شمت الطـلول الدوارسا ... كأَن لم تري فـيها البـدور الأوانسا

وهل هاج منـك الدمع لما رأيتـــهـا ... تذكـر ظـبي كـان قـبل مـــؤانسـا

نعم رحل الأحـباب منهـا وأَودعوا ... جوي للحشـا في كل وقت ملابسا

بكيت فـلم تطف المدامع لوعـــتي ... وأصبحت من شوق من الصبر آيسا

ومـا كنت أَدري البين حتى تحـملوا ... ولا كنت من قـبل التفـرق عابسـا

ولما اسـتـقلوا ظـاعنين وخـيـمـوا ... بسلع أَرانـي بعـد ذلـك ناكســا

كأنـي من شجو فـقدت ابن نـاصر ... ولم أر شـيخا شـامخ المجد رائـسا

وقوله من قصيدة:

إذا أنا بـاينت البـــلاد وأهـلهـــا ... وفـارقت أهلي وابتعـدت عن الولد

ومت علـى دين النبي مـــحـــمـــد ... فقد نلت آمالي ومـا خفت من كمد

نثـره: من ذلك قوله في طالعـة الجزء الثـالث من ديوانه الشعـري ولفظه: «الباب الرابع من أبواب هذا الكتاب الشامخ المقـدار، في ذكر ما فتح الله به علينا من مستملحـات الأشعار، وهو باب اتسعت دائرته، وقويت عـارضته، وجمع من رقيق المعاني، ودقيق البيان اللساني ما فيه مستراح للالباب، وارتاح للأحباب، فما شئت من جد مـفروغ في قالب الهزل منـسوج على منوال الجد الرفيع، فـروضته الغناء لا تنفد أزهارها، ولا تفرغ من الثمار أشجارها، دانيـة المرام، غير مستصعبة على الأفـهام، وقـد رأَيت أن أَبتدئه بقـصـائد نبويات وأُخـري بذكرى الصـالحين مشـرفات، ثم أسكبه سكبـا، وأذكره فاكهـة وأبا، متاعـا لكم ولأنعامكم، ونزهة لأرواحكم وأجسامكم، والله المستعان، وعليه التكلان.

مشيخته: منهم السيد عبد الكريم الجزيري أخذ عنه سند المصافحة، وهو عن سعيد قدورة، عن سعيد المقري، عن أحمد حجي، عن محمد الوهراني، عن إبراهيم التازي، عن صالح الزواوي، عن محمد الشريف الفاسي نزيل الجزيرة، عن والده عبد الرحمن وعاش أربعين ومائة سنة، عن أحمد بن عبد القادر القوصي، عن أبي العباس الملثم وهو صافح المعمر وهو صافح رسول الله ﷺ.

وله سند في المصافحة عن سيدي عبد القادر الفاسي وأجازه، وقال له: صافحتك بما صافحني به الأشياخ إلى أنس بن مالك قال: صافحني رسول الله ﷺ فلم أر خزا ولا قزا كان ألين من كف رسول الله ﷺ الحديث فيه روايات.

قال صاحب الترجمة في كتابه «نزهة الناظر» وصافحني أيضا سيدي محمد ابن ناصر الدرعي، وأجازني عن أشياخه الذين صافحوه إلى النبي ﷺ. اهـ. بنقل صاحب الأزهار النادية ومن معتمد إمام السنة، وأعظمهم عليه منة، شيخ الشريعة والحقيقة سيدي محمد بن ناصر الدرعي وعلى يديه فتح له.

الآخذون عنه: أخذ عنه العلامة الطيب السيد عبد القادر بن العربي بن شقرون المكناسي، وأحمد بن أبي عسرية بن أحمد بن أحمد بن يوسف الفاسي في خلق.

محنته: سجن سنة أربع ومائة وألف بحبس فاس الجديد، لوشاية بعض أقاربه به للسلطان الأعظم سيدنا الجد الأكبر مولانا إسماعيل ثم سرحه وحمله ذلك على استيطان مكناسة الزيتون فرحل إليها، ولم يزل بها إلى أن توفي بها.

وفاته: توفي رحمه الله ليلة الأربعاء فاتح رجب سنة سبع وعشرين ومائة وألف، ودفن قرب روضة الشيخ عبد الله بن حمد خارج باب البراذعيين، وقبره هنالك مزارة شهيرة عليه بناء لأباس به، وله عقب ببلاد زعير يقال لهم القادريون.

٣٥- أبو العباس أحمد الخضر بن أبي عبد الله محمد بن أبي محمدعبد القادر زغبوش المكناسي النشأة والدار.

حاله: فقيه عدل ثقة مبرز وقور، صالح فالح بار مشكور، محمود الغريزة والطبع، معدود فيمن يترقب به للمعضلات الدفع، نبيه العقل وجيه في عهد الفضل، نجدة في الفهم، عمدة فيما يلم، منظور إليه من الجلالة السلطانية الإسماعيلية بعين الإكبار، مسبول عليه من لدنها رداء الوقار والفخار، وناهيك بمن يبجله ذلك الإمام، وأعظم بمن كان له منه ذمام.

فقد وقفت على ظهير إسماعيلي يبرهن عما للمترجم من شفوف المكانة لدي سيدنا الجد المذكور ودونك نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وسلم تسليما، من الآمر العلى الإمامي المؤيد المنصور الإسماعيلي أمير المؤمنين، المجاهد في سبيل رب العالمين، الشريف الحسني، وبداخل طابعه إسماعيل بن الشريف الحسني الله له صدر هذا الظهير الزعيم، والآمر المطاع الجسيم، وهو الذي أعلن لماسكه بالرتبة المخصوصة بالتنويه، وشيد للمعتمد على الله وعليه مباني الاجتباء والتنويه، من الاعتناء الإمامي السلطاني الإسماعيلي الشريفي أبرم الله معاقده، وأجمل من إحسانه الجميل مساعيه ومقاصده، آمين يا رب العالمين.

يستقر بحول الله وقوته بيد الأرضي الأحظي المرضي الأبر الأحفل الأنبل خديم الجناب الأسمى، والملاذ الأحمي، أبي العباس أحمد الخضر نجل الفقيه العدل أبي عبد الله محمد نجل الفقيه العدل أحمد بن عبد القادر دعي بزغبوش، حفيد الولي الصالح الزاهد الناسك قطب المشايخ الأعلام، وتاج الأولياء الصالحين الكرام، سيدي مغيث نفعنا الله ببركاته، وأفاض علينا وعلى بنيه من أسراره ونفحاته، اقتضى له ما يتوخي به الولاء الصريح، والصفاء الصحيح، من تكريم واضح الرسوم والإيثار، وتتميم لمواهب الاستصفاء الآمنة من الإبتار، اعتناء بقدره الذي سمت به رياسة أسلافه في أعلى المظاهر، ومتت بطرق العلم والعمل والمحبة

في جانب الخلافة المؤيدة بالود الباطن والظاهر، فاتخذ حفظه الله هذا الأمر الكريم راية يتناولها باليمين، لا يعتريها بحول الله ومنه الانفصام إلى يوم الدين، إنعاما عليه بالعناية والتوقير الذي لا ينسخ حكمه، ولا يبيد بحول الله وقوته على تعاقب الأيام رسمه، رعيا لما له من الخدمة والسبقية والنصيحة التي لاحت غررا في وجه الزمان البهيم، والأمور التي توسل بها أدام الله عليه نعمته في الحديث والقديم، ومن كثرة الاعتناء بشأنه والتنويه بمقدار حكمه.

وقع له أيده الله بعد صلاة الجمعة من تاريخه بمحضر العلماء الجلة وفقهاء الملة والأشراف والكتاب والحجاب وأعيان القواد، المتصرفين تصرف الحق في البلاد، أن لا حكم عليه لأحد مدة حياته، فبينه وبين مولانا الإمام فيما ذا عسي أن يكون من تصرفاته، ولا كلام له مع أحد من القواد ولا من العمال والولاة بوجه من الوجوه، اللهم إلا إذا كانت بينه وبين أحد من الناس دعوي شرعية فأحكام الشرع العزيز تجري على كل مسلم بمقتضاها، ولا سبيل لمؤمن موحد أن يتعداها أو يتخطاها، بهذا قضي وأمر صاحب الأمر المطاع وألزم أن يخط هذا في الدواوين والرقاع حكما التزمه أيده الله بروراً بخديمه المذكور، فلا سبيل لمن يتعقبه على مر الليالي والدهور، والواقف يعمل به والسلام وكتب في العشر من رمضان عام ثلاثة ومائة وألف.

ومن عظيم منزلة المترجم لدى السلطان المذكور، وكمال رفعه على ألوية البرور، أن كتب له كتابا بخط يمناه أعرب له فيه، عما له من شرف المكانة لديه، مما هو فوق مناه حسبما وقفت على ذلك فتدبر تدبر الخبير، وأنقد نقد الذكي البصير، لما لهذا الإمام العظيم الشان من إنزال الناس منازلهم وإعطاء كل مستحق ما استحق مما هو الأولى به والأحق.

وعلى نهجه وطريقه في اعتبار المترجم والتنويه بقدره، وإشادة منار فخره، نهج ولده وخليفته سيدنا الجد مولانا زيدان فقد وقفت على كتاب حافل له أصدره بتقرير ظهير والده والأمر بالوقوف عند حدّ أوامره المطاعة بالله بتاريخ عشري قعدة

الحرام، عام أربعة ومائة وألف، تركت نصه اختصارا ووقفت على تحليته في بعض العقود الحبسية بأوصاف عالية غالية.

٣٦- أبو العباس أحمد بن محمد بصري.

حاله: فاضل محلي بالأحظي الأجل، الأنوه الفقيه النبيه الأمثل، كان بقيد الحياة في العصر الإسماعيلي حسبما يظهر من ظهير إسماعيلي منوه فيه بقدر بيتهم الفخيم بتاريخ ربيع النبوي عام اثني عشر ومائة وألف، محلي فيه المترجم بالأوصاف المذكورة وسيأتي نص الظهير في ترجمة محمد بن عبد الرحمن بصري خاتمة الحفاظ والقراء من حرف الميم بحول الله.

٣٧ - القاضي أبو العباس أحمد بن ناجي السجلماسي الأصل المكناسي الوفاة والإقبار.

حاله: فقيه علامة محقق مشاور، معظم للعلم وذويه، ذو جاه ووجاهة، وعلو مكانة، ونفوذ كلمة عند سائر الطبقات، ولي قضاء فاس وعزل عنه وكان يتعاقبه مع القاضي أبي عبد الله بردلة، وقد كان أواخر القرن الحادي عشر تولي قضاء الرباط، وسلا، ثم قضاء فاس، ثم قضاء مكناسة. وقفت على عدة رسوم بخطاباته والتسجيل عليه محلي فيها بأوصاف عاليه.

ووقع في أيام قضائه أن اليهود جاءوا إليه بنسخة رسم وأدلوا بها لديه، ينتهزون الفرصة فيه بخطابه عليه. ويتعززون بما وصلوا منه إليه، وحين صدروا عنه ثار في أثرهم بالطلب، فأُخذوا واستخرج منهم الرسم المجتلب، وانتهى الخبر لمولانا إسماعيل فنالت عقوبته جميع من بإيالته من اليهود. وأغرمهم عليه أموالا بوظيف غير معهود، ونص ما في تلك النسخة بعد البسملة والصلاة:

«هذا ما عهد به مولانا محمد رسول الله ﷺ لموسى بن حيي بن أخطب وأهل بيت صفية زوج النبي ﷺ، لهم أمن الله عز وجل وأمن رسوله لشاهدهم

---

٣٧ - من مصادر ترجمته: نشر المثاني ١٩٤٣ في موسوعة أعلام المغرب.

وغائبهم وذامهم لا يحصرون ولا يغزون، ولا يطأ أرضهم جيش، ليس عليهم نزل ولا ربط ولا كسح، وعلى من أحب رسول الله أن يؤمنهم لذمة الله وذمة رسوله، ولهم ربط العمائم وأمر على اليهود، ثم لهم بعد هذا ما افترض رسول الله ﷺ أربعة دراهم في الشهر إن كان عليهم مقدرة فمن خالف كتابنا هذا الذي كتبناه لهم، وعهدنا الذي عاهدناهم، فذمتي منه برية وأنا بريء منهم، وأنا خصيمهم يوم القيامة فمن خاصمني خاصمته، ومن خاصمته كان في النار وكتب علي بن أبي طالب ورسول الله ﷺ «في جلد أحمر طوله ثلاثون إصبعا وعرضه عشرون وعدد أسطره عشرون.

ومما فيه «شهد الله على ذلك وعتيق ابن أبي قحافة وعبد الرحمن بن عوف والأقرع بن حابس، وكتب معاوية بن أبي سفيان شهادتهم في ذي قعدة سنة تسع من الهجرة والسلام على من اتبع الهدى»

وبعده مقابلات بأصولها على اختلاف الأزمنة المارة بشهادة من باشر ذلك وخطابات من أئمة أعلام باستقلالات إلى سنة اثنتين وأربعين وألف.

وقد أبطل أعيان علماء الوقت هذا الرسم منهم الإمام سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي قائلا إنه مخالف لأسلوب السلف وفصاحتهم، ولنهج ذوي التوثيق من المتأخرين وصناعتهم، ومصادم للإجماع، ولما عليه العمل في سائر الأزمنة والبقاع، فإنه ﷺ أوصى بإخراج اليهود من جزيرة العرب من غير استثناء فأجلاهم الفاروق من غير تخصيص، وضربت الجزية عليهم زمن الخلفاء الراشدين كذلك، ولا يجوز اتفاقهم على تضييع حق ولا تهاونهم بتنفيذ عهد عهده رسول الله ﷺ، خصوصا وقد أشهد عليهم الخليفتين أبا بكر وعليا ومن معهما ولاتفاق أئمة الأعصار، وعلماء الأمصار، بعدهم على عهد ذلك وعدم نقله حتى ينقله إلينا بعد ما نيف على ألف ومائة سنة اليهود، إخوان القرود، وأيضا أحكام أهل الذمة معروفة ملحوظة، والشروط التي عليهم محفوظة منها أن لا يتشبهوا بلباس المسلمين في العمائم ونحوها، وأن يشدوا الزنانير كما ذلك مبسوط في شروط الفاروق رضى الله عنه على نصارى الشام حين صالحهم.

روى ذلك ابن حبان وغيره، وعليها اعتمد سائر أئمة المذاهب الإسلامية في أحكام أهل الذمة وأجمعوا على ذلك، نقله ابن حزم الذي إجماعاته أصح الإجماعات، وكذا نقل الماوردي الإجماع على أن يهود خيبر كغيرهم في الجزية وأيضا تاريخ ذلك الرسم بتسع من الهجرة مخالف للمعروف من أن التاريخ بها إنما حدث في خلافة الفاروق وسائر كتبه ﷺ المنقولة في السير فإنها خالية عن التاريخ إلى غير هذا من دلائل الكذب التي احتفت بالرسم المذكور ويطول تتبعها ملخصا. اهـ. وقد عضد هذا الجواب وصححه سيدي محمد القسمطيني وغيره من أهل تلك الطبقة، انظر فهرسة أبي القاسم العميري ونوازل الشريف العلمي.

الآخذون عنه: منهم أبو العباس أحمد الحافي السلوي.

وفاته: مات بمكناسة الزيتون عام اثنين وعشرين ومائة وألف ودفن بضريح السيدة عائشة العدوية المتبرك بها حية وميتة

٣٨ - أبو العباس أحمد بن محمد العربي بن محمد الكَومى عرف بالغماري.

أورد ذكره أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي في مؤلفه الموسوم بالإعلام بمن مضى وغبر في القرن الحادي عشر من الأعلام.

حاله: حلاه أبو محمد عبد الله في كتابه المذكور بالفقيه الأصولي وقال: كان فقيها مدرسا ولي قضاء مكناسة فحمدت سيرته.

مشيخته: أخذ عن أبي عبد الله الهواري، وأبي عبد الله بن عبد الحليم وغيرهما

الآخذون عنه: منهم أبو عبد الله محمد المهدي الفاسي حسبما أفصح بذلك صاحب الإعلام المنقول عنه قائلا: قال خال الوالد الشيخ أبو عبد الله محمد المهدي الفاسي: قرأت على صاحب الترجمة الرسالة ومختصر خليل، فكان ينقل

٣٨ - من مصادر ترجمته: الإعلام بمن غبر ٤/ ١٤٥٥ في موسوعة أعلان المغرب.

على الرسالة شرح ابن عمر، وابن ناجي، وعلى المختصر شرح بهرام الأوسط، وشفاء العليل لابن غازي كل ذلك باللفظ هـ.

وفاته: توفي سنة ثلاث وستين وألف كما قاله في الإعلام

٣٩ - أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب الوَلاّلي ـ بفتح الواو وتشديد اللام دفين مكناس.

حاله ونسبه: فقيه نبيه، علامة وجيه نزيه، قدوة مشارك، دراكة فهامة ناسك، أحد الأعلام علما وعملا ومتانة دين، واتباعا لسنة سيد المرسلين، كان يدرس بقصبة الخضرة السلطانية الإسماعيلية من مكناسة الزيتون، وكان يجيد التعبير عن كل ما يريد متبحرا في العلوم عقليها ونقليها محققا لها.

نسب نفسه في كتابه «مباحث الأنوار» فقال «قبيلة بني وَلاَّل هم قومنا الذين نشأ أجدادنا منهم، وأسلهم من بني عطَّاء، قبيلة كبيرة معروفة بأقصى جبال ملوية، وفيهم إخوة قبيلتنا يسمون لديهم ببني ولاّل أيضا، وبنو عطّاء مشددا بوزن فَعّال ـ أصلهم من العرب كما تقرر ذلك في كتاب أنساب القبائل الموجودة بأيدي الفقراء أهل الصومعة، بل أخبرني بعضهم أن بني عَطّاء أصلهم من أخص العرب وهم قريش، وكل ذلك لا بعد فيه لتبدل أحوال القبائل العربية وتنقلها من أرض إلى أرض، ومن رفع إلى خفض، فتتبدل الألسن بتبدل البلد» انتهى بنصه[1].

مشيخته: تفقه بالزاوية البكرية واتصل بالولي العارف سيدي محمد بن عبد الله السوسي وانتفع به، وصحب العارفين سيدي أحمد اليماني وسيدي أحمد بن عبد الله معن وتردد إليهما، وأخذ عن الإمام اليوسي الحسن بن مسعود المنطق ومنظومة الأخضري في البيان

---

٣٩ - من مصادر ترجمة: نشر المثاني ٥/١٩٥٦ في موسوعة أعلام المغرب.

(١) نشر المثاني - ص١٩٥٦.

الآخذون عنه: منهم أبو القاسم بن سعيد العميري، والعلامة الطبيب السيد عبد القادر بن العربي بن شقرون المكناسي، وناهيك بهما أخذ الأول عنه منظومته في علم الكلام وغيرها.

مؤلفاته: منها شرحه العجيب على مختصر المنطق للشيخ السنوسي، ومنها شرحه المعروف على منظومة الأخضري المعروفة بالسلم، وشرحه على جمل الخونجي، وشرح رسالة السيد الجرجاني، وشرح تلخيص المفتاح صدره بشرح خطبة مختصر السعد، وشرح علي لامية الأفعال، وحاشية على المحلي، وشرح على روضة الأزهار للجادري في التوقيت، ومباحث الأنوار في سلسلة الأخيار.

وفاته: توفي ثاني رجب عام ثمانية وعشرين ومائة وألف ودفن بمكناسة الزيتون رحمه الله وفسح له في عدنه.

٤٠ - أبو العباس أحمد بن أبي يَعْزَى الأودي قاضيها.

حاله: فقيه جليل كان متوليا خطة القضاء بهذه الحضرة المولوية الإمامية بتاريخ ثامن شعبان عام تسعة وثلاثين ومائة وألف، وقفت على ظهير شريف، مولوي منيف، يتضمن الأمر لناظر الوقت الحاج الطيب المسطاسي بتنفيذ إعانة له على القضاء من أحباس المسجد الأعظم قدرها ثلاثون أوقية بالتاريخ المذكور.

٤١ - أبو العباس أحمد الصيقال المكناسي

حاله: قال في حقه عصريه أبو العباس أحمد المنجور لدى تعرضه لذكره في ترجمة شيخه ابن هارون من فهرسته: الشيخ المسند أحد عدول مكناسة.

٤٢ - أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد الشدادي الشريف الحسني الإدريسي العمراني.

حاله: كان مفتي الأنام، وأعدل قضاة الزمان، ووحيد عصره وأوانه

وأفضلهم وأزكاهم، وأجلهم وأسماهم، علاّمة متبحراً في الفقه والنحو والحديث والتفسير صدر المحافل، في جمع الفضائل، مرجوعا له في النوازل، محتجا بما يقوله إذا خفيت الدلائل، له نظر في الفقه لا يجارى، ولإدراكه في حقائق مشكلاته الشأو الذي لا يدرك فلا يبارى، مجالسه العلمية نزهة الأفكار، لا يقع من أهل النجابة إلا عليها الاختيار، تصدى للتدريس بفاس وغيرها من حواضر المغرب وبواديه، وأسدى من وافر تحقيقه على الطالبين ففازوا بسابغ أياديه، تولى أولا الفتوى بمكناسة وأقام فيها مدة، ثم نقل منها إلى قضاء الجماعة بفاس الإدريسية وفاس المرينية مع الإمامة والخطابة بالقرويين، ثم أخر عن قضاء فاس خاصة، ثم عن قضاء فاس الجديد لغير ريبة، ثم بعد مدة ولي القضاء والإمامة والخطابة بزاوية زرهون إلى أن توفي.

مشيخته: أخذ عن سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، وأبي علي اليوسي، وأبي عبد الله المسناوي، وأبي العباس ابن الحاج، وأبي عبد الله محمد العربي بردلة، وأبي عبد الله القسمطيني وغيرهم.

الآخذون عنه: جماعة منهم القاضي أبو القاسم العميري لازمه مدة إقامته بمكناسة الزيتون، ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد التاودي بن سودة المري قرأ عليه المختصر من البيوع إلى الوديعة والعارية، وسمع عليه بعض التفسير من أوله إلى سورة النساء، وغيرهما من فحول أئمة العلم.

مؤلفاته: له فتاوى لم تجمع ولو جمعت لأفادت ولاة الأحكام، وغاظت متعصبة الحكام، وشرح على لامية الزقاق، وتقييد على ابن عاصم، وتقييد على ـ العمل الفاسي ـ قال في نشر المثاني: فمن تلك الأبحاث استفاد أهل عصرنا وشرحوا الأنظام التي ذكرنا فهو بسبق حائز تفضيلا.

قلت: المعروف له والموجود بأيدي الناس هو حاشية شرح ميارة على الزقاق ولا يعرف له شرح مستقل لها أعني الزقاقية.

وفاته: توفي على ما في «فهرسة القاضي العميري» و«الروضة المقصودة في الزاوية الزرهونية الإدريسية». قال في الروضة خامس عشر جمادى الثانية سنة ست وأربعين ومائة وألف. والذي في نشر المثاني أنه توفي بفاس ودفن خارج باب المحروق بين المدينتين، وبني أهله عليه قبة وبلغنا أن له عقبا بطنجة. انتهى.

قال شيخنا الكتاني في «سلوة الأنفاس» ويشكل عليه ما تقدم من أنه توفي بالزاوية الزرهونية إلا أن يقال بنقله بعد الموت منها إلى هذه الحضرة ودفنه بها، ويكون قوله في النشر: توفي بفاس غلطا نشأ له من عدم التحقيق لوفاته، بدليل أنه لم يعينها بسنة والله سبحانه وتعالى أعلم. اهـ.

قلت. ولا يعرف له قبر بالزاوية المذكورة وذلك مما يؤكد كونه مدفونا بفاس.

٤٣- الفقيه سيدي أحمد بن عزو.

٤٤- الفقيه سيدي أحمد الحزميري.

٤٥- الفقيه سيدي أحمد بن سعيد السوسي.

٤٦- الفقيه السيد أحمد بن مومو.

٤٧- الفقيه السيد أحمد بن مسطار.

كل هؤلاء الشيوخ الأعلام الخمسة كانوا بقيد الحياة في حدود الخمسين ومائة وألف بحاضرتنا المكناسية حسبما وقفت على ذلك في زمام مرتب العلماء الشهري وأسماؤهم مسطرة فيه بالتاريخ المذكور، ولم أقف لواحد منهم على ترجمة بعد البحث الشديد.

٤٨- السيد أحمد بن عبد الرحمن زغبوش الفقيه النبيه العدل الرضي الثقة.

٤٩- أبو العباس أحمد بن العباس النسب السيد الأتقى، الزكي الأنقى.

٥٠- أبو العباس أحمد بن عبد القادر النسب الفقيه المعظم. المرتضى المحترم. التقي الأصعد، الزكي الأسعد.

٥١- أبو العباس أحمد بن الولي الصالح سيدي مغيث زغبوش القرشي الفقيه المرتضى الزكي الأحظى.

أما أحمد بن عبد الرحمن زغبوش أول الأربعة فهو من أهل النصف الثاني من القرن الثاني عشر.

وأما الثلاثة بعده ففيما بين ذلك وبين الألف فيما يظهر من ذكرهم في عمود نسب بصداق مؤرخ بأواخر رجب عام تسعة وثمانين ومائة وألف وتحليتهم فيه بما ذكر.

٥٢- أبو العباس أحمد بن سعيد العميري.

حاله: من أعيان علماء الدولة الإسماعيلية، وحاملي لواء التدريس وبث العلم في صدور الرجال بها، وهو أحد الأعلام الذين شهدوا في عقد توثيق عرى الإخاء الصادر بين الأخوين الأكملين مولانا أحمد المدعو الذهبي وسيدنا الجد مولانا زيدان ابني الأمير الذي طار صيته في بقاع المعمور سيدنا الجد الأكبر، مولانا إسماعيل بندب والدهما لهما لذلك، وهذا العقد بعينه تحت يدي تاريخه منتصف رمضان عام سبعة وثلاثين ومائة وألف شهد فيه على إشهاد سيدنا الجد الأكبر بذلك وهو على كرسي مملكته بمكناس جمع وافر من العدول والفقهاء والقضاة منهم المترجم.

مشيخته: منهم والده، وأبو علي بن رحال، ومن في طبقتهما من المعاصرين لهما.

الآخذون عنه: أخذ عنه العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بصري المكناسي المتوفي يوم السبت خامس شعبان عام ستة وثمانين ومائة وألف كما بثبت ولده «إتحاف أهل الهداية».

وفاته: لم أقف على تاريخ وفاته بيد أنه كان بقيد الحياة سنة سبع وثلاثين ومائة وألف.

٥٣- أحمد بن عبد الرحمن المجاصي الشهير بالمكناسي الشيخ الأستاذ المقرئ الصالح.

حاله: كان أستاذاً صالحا مقرئا فقهيا أديبا نحويا.

الآخذون عنه: أخذ عنه ابن عباد القرآن العظيم بحرف نافع، وتفقه عليه في كثير من الجمل لأبي القاسم الزجاج وفي كتاب التسهيل لابن مالك وغير ذلك ذكره مسند فاس أبو زكريا يحيى بن أحمد السراج في ترجمة ابن عباد من «فهرسته» ولم يذكر له وفاتا.

٥٤- أبو العباس أحمد بن عبد الملك[1] البوعصامي.

حاله: مجذوب غائب غيبة اتصال من صغره ساكت لا يتكلم مع أحد إلا ما قل، وكان بعد موت أبيه تارة يكون بمكناسة التي هي مقر والده وتارة يذهب لفاس ثم في آخر عمره بنحو العامين استقر بفاس بحومة السياج منها حتى توفي هنالك.

وفاته: توفي ليلة الخميس حادي وعشري ربيع الأول عام تسعة ومائتين وألف.

---

٥٤ - من مصادر ترجمة: إتحاف المطالع - ص٢٤٥٣ من موسوعة أعلام المغرب.

(١) تحذف في المطبوع إلى: «عبد المالك» وصوابه من إتحاف المطالع.

٥٥- الشريف أبو العباس أحمد بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن علي بن طاهر بن مولانا الحسن الحسني العلوي.

حاله: له معرفة بالعلوم وبالأخص الفقه والنحو نشأ بالصحراء ببلد أسلافه الكرام، ورحل لحج بيت الله الحرام، وزيارة جده عليه من ربه أزكى الصلاة والسلام، ثم ارتحل لمكناسة الزيتون واستوطنها وصاهره السلطان ببنت السلطان مولانا سليمان تعرض لذكره صاحب «الشجرة الزكية» وقال إنه حي بمكناسة في عصر تأليفه المذكور وهو من علماء الدولة العبد الرحمانية.

٥٦- أبو العباس أحمد بن أحمد الحَكْمِي الأصل الرباطي النشأة والدار المكناسي الوظيفة.

حاله: حامل لواء التحقيق في زمانه، جهينة المعقول والمنقول، المرجوع إليه في الأدب والفروع والأصول، حلو النسيب بديع الترسيل إذا نظم سحر الألباب، وإذا نشر استولى على الأرواح بخالص اللباب، بديع الإنشاء سيال القريحة بارع في الإملاء، مع شجاعة وإقدام. وتقدم في الرماية والسباحة والمسابقة، يشهد له بذلك الخاص والعام، كثير العبادة والتلاوة والتهجد بالأسحار، معمر أوقاته بالدروس العلمية مع كثرة الأذكار، والصلاة على النبي المختار، واثق بربه محسن ظنه فيه لا يهتم لنائبة ولا يضجر لها، يتلقى ما تبرزه الأقدار بقلب سليم.

رحل لفاس، وأخذ عن جلة أئمتها الأكياس، ثم رجع لبلده فأكب على التدريس، وأفادة الناس بإبراز كل نفيس، ثم أُسند له قضاء العدوتين: سلا، والرباط، وذلك عام أربعة عشر ومائتين وألف ومكث في ولايته هذه نحو الخمس سنين، ثم أُعفي عشية يوم السبت الثالث والعشرين من جمادى الثانية عام تسعة

٥٦ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع - ص ٢٤٨٥ في موسوعة أعلام المغرب.

عشـر ومائتين وألف وولي مكانه العلامـة سيدي الطيب بسـير ـ آتي الترجـمة في حرف الطاء ـ بحول اللـه ثم خوطب بالقضاء مرة ثانيـة فامتنع من القبـول فألزمه الكبـراء أن يقبل فـامـتنع واعتـذر عن ذلك بأنه كـان يفـاوض في القضـاء الأول الفقيهين: الغربي والمير، وقد ماتا معا رحمهما الله كذا في «تعطير البساط».

ووقفت في بعض مقيدات مؤرخ سلا السيد محمد بن علي الدكالي الأصل السلاوي النشـأة والدار نقلا عن أحد نبغـاء تلاميذه السيـد محمد بن التـهامي بن عَمْرو الرباطي، أن المترجم ولي قضاء مكناس ولفظه لدى تعرضه لترجمة القاضي بسيـر: وقال مـعاصـره الأديب ابن عَمْرو الربـاطي إنه أخذ عن قاضـي العدوتين ومكناسة الفـقيه المشارك السـيد أحمد الحَكْمِـي الرباطي رحمه الله وانتفع به نفـعا بيناه. انتهى. من خطه وانظر إن صح ذلك هل كان قبل ولايته بالعدوتين أو بعدها أجرى ذكره العلامة أبو إسحاق التادلي في تاليـفه «أغاني السقا في علم الموسيقى» وأفاد أنه كانت له مـشاركة حتى في علم الأغاني والألحان ونوبات الموسـيقى وذكر له فوائد علمـية، في خلال. مؤلفـاته الأدبية وذكره الزياني في فهـرسة أبي الربيع السلطان مولانا سليمان وغيرها.

مشيخته: أخذ عن الشيخ بناني مُـحَشِّي الزرقاني وأجازه عامة، وعن الشيخ محمد الشيظمي ومن في طبقتهما.

الآخذون عنه: منهم نجله السيد صالح والسيد الطيـب بسير، والسيد محمد ابن عَمْـرو، والسيـد محـمد بن عـبد الرحمن الشـرشالي، والقـاضي ابن جلون وغيرهم من عيون أعيان العلماء.

شعره: من ذلك قوله يمدح العـلامة أبا حفص سيدي عمـر بن محمد المكي بن الشيخ المعطي الشرقي:

للبين ما بين أفلاذ الحشا أثر وللمشوق إلى نحو الحمي نظر

وآية الصدق في دعـوى المحبة أن يرى المشـوق وفي عـبـراته عـبـر

ومن يكن يرتجـي يومـا يسـر به فـوصلكم منتهي الآمـال يا عمـر

ومن ذلك ما رآه صـديقنا ابن علي السلاوي منسوبـا إلى المترجم يمدح النبي ﷺ به:

دعـتني فـتـاة الحي بادية نحـرا هلم إلى نحو السـعادة في الأخرى

فلبـيتـهـا والدمع يهـمي وأضلعي يفـتـتـهـا بـعـد المزار بمن أحـرى

فقالت وقد ماطت عن الوجه برقعا على حـسنـنا إن شـئت[1]...

ألا تقـدم يا أخـا العـشـق إنني أنا كعـبة العشـاق مرضيـة الذكرى

فإن شئت أن تهوى جمالي فلا تعد بعيـدي إلى ليلى ولا تذكر الزهرا

وكن خـاليا عـمـا سواي وعندمـا توفي بشرط الحسن أمنحك البشرى

ومنها في التخلص لمدح رسول الله ﷺ.

فقالت وقد حان الرضا وتبسمت عليك بمن أسرى إلى مانح الاسرى

ومن ذلك قوله في المنام حسبما رأيت ذلك بخط بلديه تلميذه العلامة السيد محمد بن التهامي ابن عمرو في كناشة له منها نقلت:

شم بارقا سحرا بالجو قد لاحا واشرب عليه من الأفراح أقداحا

وقد أمر تلميذه المذكور بالزيادة عليه فخمسه بقوله:

نفديك أهلا وأموالا وأرواحا يا من بسر علوم الشرع قد باحا

بشراك قدرن طير السعد إفصاحا

(١) كذا في المطبوع.

«شم بارقا سحـرًا بالجو قد لاحا واشرب عليه من الأفـراح أقداحا»

وعش بريا من الأكدار في سـعة لدى رياض عن الأســوا ممنعــة

ترى الأعادى بأشلاء ممزعة

«واهنأ بأمن مع الإقبـال في دعة وارقب لما أثلث الأيام إصـلاحـا»

وقوله مخاطبـا العلامة الأديب سيدي سليمان بن محـمد الحوات وطالبا منه قراءة الخزرجية معه كما وجد ذلك بخط المطلوب منه ومن خطه نقلت:

كم ذا نعـاني وفـرط الشـوق أفنانا وطالمـا بت أرعـى النـجم يـقظـانا

أكــفكف الدمع حــينا ثـم أُرسله جمرا على الخد يصلي القلب أحيانا

ذا لوعـــة برمـــاح الحب طاعـنة أسى ولم أر مــثل الحب مطعــانا

وفكرة بـسـهــام الحب راشــقــة وحــيـرة وزفــيــر ليس ينســانا

ولي إذا ما أُناجي الـربع عن شحط أنين صب يواري الحـب كـتـمــانا

تلك الديار ومـا شوقـي لساحـتهـا إلا لألقي مـني قلبـي سليــمــــانا

بدر المعالي رياض الأنس لا برحت أخـلاقه تشـتـهي حسـنا وإحسـانا

بحـر طمـا فصـفـا للفكر مـشـربه وعـاد بـالعلم فـيــاضـا ومـلآنا

يزري بنـظم اللآلي نظمــه وكــذا نثــاره لم يـزل بالحــسن فــتــانا

ليـهــن مـولاي مـا أولاه خــالقـه من الفـتـوحات مـا لم يعط إنسـانا

طابت بمدحك يا ابن المجـد أنفـسنا وإن نواف قــبــــولا منك أغنـانا

ومنتهى السـول أن تسمح لناظمـها ببث علم غــدا للشـعـر مــيـزانا

أزكى السلام على علياك ما سجعت ورق تردد فــوق الغــصن ألحــانا

ومـا ترنم حـادي العـيس ينشـدها كم ذا نعـاني وفـرط الـشـوق أفنانا

وفاته: توفي بعد طلوع الفجر من يوم الثلاثاء تاسع عشر رمضان عام ستة وعشرين ومائتين وألف ورثاه ولده القاضي صالح بقصيدة مطولة لكنها دون الأولى، كما رثاه تلميذه ابن عمرو، ومطلع الأولى:

عز المصاب وسله وانهض إلى ما أحتاج للتأنيس والإكرام

ومطلع الثانية لابن عمرو:

كفى الرزء خطبا أن يحل عرى الصبر ويرخص من دمع الوري غالي التبر

٥٧ - أبو العباس أحمد العمراني الفقيه الشريف.

حاله: فقيه جليل وجيه تولى الخطابة بالمسجد الجامع الإدريسي بعد وفاة خطيبه سيدي الفاطمي بن عبد القادر، وتولى نيابة القضاء بالزاوية الإدريسية.

٥٨ - أبو العباس أحمد المكناسي.

الشيخ الصالح الشهير شيخ الغماري الذي أخذ عنه والد صاحب «أنس الفقير وعز الحقير» رواية نافع في القراءة وحدثه برجز ابن بري عن مؤلفه ووالد صاحب الأنس المذكور هو القاضي أبو العباس أحمد بن الخطيب القسمطيني.

٥٩ - مولاي أحمد بن عبد المالك العلوي.

قاضي الجماعة بالحضرتين فاس ومكناس.

حاله: له مشاركة في الفقه والتصريف واللغة والتاريخ والأدب والتوثيق والمعرفة الكاملة بصناعة الأحكام، حلاه ابن عبد السلام الناصري: بسيدنا الشريف الأجل، العلامة الأفضل، نور النبراس، سيدنا ومولانا أبي العباس، وقال في حقه تلميذه العلامة الثبت صاحب الإشراف على بعض من بفاس من مشاهير

---

٥٩ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع ٧/ ٢٥٢٣ في موسوعة أعلام المغرب.

الأشـراف، ما لفظـه: قاضـي الجماعة بالحضـرتين الإدريسـية والمولوية شيخنا أبو العباس مولانا أحمد بن عبد المالك، له مشاركة في الفقه والتصريف واللغة مع المعرفة التامة بصناعة القضاء والوثائق واستـحضار نصوص المختصر وقضايا التاريخ والأدب. انتهى.

وكان متوليا خطة العدالة بهذه الحضرة المكناسية، ثم ولاه السلطان أبو الربيع مولانا سليمان عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف ورشحه لخطبة جامع قصبته المولوية أوائل محرم فاتح سـبعة - بموحدة - وثلاثين ومائتين وألف، حسـبما وقفت على تاريخ التـوليـتين بخط يده ومنه نقلت، وقـد كـان قبل ذلك من عـدول مكناسـة المبرزين، مـتصـدرا للشهـادة وقفت على عدة رسـوم بخطه وشهـادته وكثـير من خطاباته والتسجيل عليه.

وكانت توليته لقضاء فاس البالي وتأخيره عن قضاء مكناس فاتح شعبان عام سبعة وثلاثين ومائتين وألف حسبـما ذلك بظهير السلطان أبي الربيع مولانا سليمان الصادر لولده خليفته مولاي الحسن، ودونك لفظه بعد الحمدلة والصلاة.

«ولدنا مولاي الحسن السلام عليكم ورحـمة الله وبركاته، وبعد: فنأمرك أن توجه لحضرتنا العـالية بالله قاضي مكناسة ولد عمنا مولاي أحـمد بن عبد المالك بمجرد وصول كـتابنا هذا إليك فورا فورا ليلا أو نَهارا مع جـروان أو مجاط، ومن أتى معه من البربر فقد سامحناه وأمناه وأهل مكناسة يجتمعون ويتفقون على رجل يرضونه لأنفـسهم منهم أو من غيرهم، ويولونه عليـهم، وأما مولاي أحمـد فقد ولـيناه أمـر القضـاء بفاس البـالي، وفي ثالث شعـبان عـام سبع وثلاثين ومـائتين وألف».

ولم يزل على خطتـه بفاس إلى أن بويع المولى عـبد الرحمن بـن هشام ثم رجع لمكناس ناجيا بنفسه من أذى غوغـاء أهل فاس كذا في بعض التقاييد الموثوق بصحتها.

مشيختـه: أخذ عن عمه المولى عبد القادر بن محـمد بن عبد المالك «شارح الهمزية» و«العاصمية» وأجاز لـه ابن عبد السلام الناصري في الطريقة الناصرية في رابع رمضـان عام تسعة ومـائتين وألف، وأخذ عن سيـدي أحمد بن عبـد العزيز الهلالي، وعن غيرهم من شيوخ فاس.

الآخذون عنه: منهم المؤرخ النسـابة القاضي أبو عبد الله مـحمد الطالب بن حمـدون بن الحاج السلمي الفـاسي صاحب «حـواشي المرشد المعين» وغـيرها من التآليف المتـوفى بعد عصر يوم الجمـعة سنة ثلاث وسبعين ومـائتين وألف بفاس، وشيخ الجماعة بمكناس الحاج مبارك بن عبد الله الفيضي.

مؤلفـاته: له «تأليف في تحريم السكر» ويقـال: إنه كان لا يقبل شـهادة من يشربه لأن ما جـهل حكمه يجب التوقف عنه حتى يعلم حكم الله فـيه وقد حكي الغزالي في «الإحياء» والشافعي في «رسـالته» الإجماع على أن المكلف لا يجوز له أن يقدم على فعل حـتى يعلم حكم الله تعالى فيه هذا مـلحظ المترجم، وإن كان التعويل على خلافه، وله أيضا «مجموعة خطب» و«تقييد على الخطبة» التي أملاها السلطان العادل مولانا سليمـان لما كان بهذه الحضرة المكناسية عـام خمسة وثلاثين ومائتين وألف لما طلب منه أولاد الشيخ الكامل محـمد بن عيسى دفين خارج باب السيبة من مكناس إقامة الموسم على المألوف عندهم حسبما وقفت على هذا التعليق مع مجموعـة الخطب بخط يده في مبيضته وسنورد الإملاء المقـيد عليه بحول الله في محله.

نثره: من ذلك قوله في بعض خطبه التي أنشأها «الحمد لله الجزيل الفضل، العظيم البـذل، الحكم العدل، الذي لا يسـأل عما يفـعل، ومن سواه عن أفـعاله يسأل، نحمده تعالى على ما أولانا من النعم، ونشكره جل وعز على ما زوى عنا من النقم، ونستعينه ونستغفره من جميع الذنوب، التي أورثتنا الأحزان والكروب،

ونشهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له، ونشهـد أن سيـدنا محـمدا عـبده بالهدي ودين الحق أرسله، صلى الله عليه وعلى جميع الصحابة والآل، ومن لهم بإحسـان تال، صلاة تقينا جمـيع البلايا، وتكفر عنا جـميع الخطايا، من يطع الله ورسوله فقد سـعدو فاز، ومن يعص الله ورسوله فما له في عرصـات القيامة من مفاز. . . إلخ».

ومن خطبة أخرى قال: «الحمد لله المجيب من دعاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن احتمى به حمـاه، ومن التجأ إليه آواه، نحمده حمـدا من غير عدو لا تناه، ونشكره على ما أنعم به وأولاه، ونستعينه ونستـغفره من كل ما جنيناه، ونشهد أن لا إله إلا الله، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ومصطفاه، صلى الله عليه وعلى آله وصحابتـه ذوي الثناء والجاه، وعلى كل منيب أواه، صلاة تملأ أرجـاء العرش وما حواه، وتحول بها بيننا وبين الشر ومن نواه، من يطع اللـه ورسوله فياسعداه، ومن يعص الله ورسوله فيا ويلاه، نسأله تعلى أن يجعلنا ممن لطاعته اجتباه. . .إلخ».

ومن صدر خطبة أخرى «الحمد لله الملك المعبود، المقر بوحدانيته أهل الإيمان والجحود، نحمده تعلى ونثني عليه بما أثنى عليه أَحب خلقه إليه، اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كمـا أثنيت على نفسك ونشكره شُكرا نستـوجب من فضله المزيد، ونستعينه ونسـتغفره من كل ذنب به الكاتب علينا شهـيد، ونشهد أن ل إله إلا الله وحده لا شريك له الفعال لما يريد، ونشهد أن سيدنا مـحمداً عبده ورسوله الحميد المجيد. صلى الله عليه وعلى من تبعه فيما أُوحي إليه صلاة نستوجب بها من الله تعالى رضاه، ويلطف بنا بها فيما قدره وقضاه، من يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما، ومن يعص الله ورسوله فقد ساق إلى نفسه عذابا أليما». . .إلخ.

وفاته: مات بمـكناس لعشر ليال خلت من رجب سنة ألف ومـائتين وإحدى وأربعين ودفن بروضة سيدي عبد الله القصري الولي الشهير.

تم أرادت زوجتـه أن تدفن بنتها مـعه فوقع بينهـا وبين أرباب الروضة شيء فأخذته ودفنته في دارها ودفنت البنت في محله، ثم بـلغ الخبر لأمير الوقت جدنا من قبل الأم المولى عبـد الرحمن بن هشام فقـال: القبر حبس على صاحـبه وأمر برده لمحله المذكور وإخـراج البنت منه، أخبر من حضـر من أهل الروضة أن البنت لما أُخرجت من القبر كان الناس يسدون أنوفهم من شدة النتن، وأما هو فلم يوجد له شيء من ذلك لا أولا ولا ثانيـا، وجـسده لم يـتغـيـر ووضع يده على الكفن فوجـده كالعنكبوت. وقـبره في الروضة المـذكورة معـروف أخبرني بذلك شـيخنا العرائشي.

٦٠ - أبو العباس أحمد بن الرضي بن عثمان المكناسي.

حاله: نـابغة زمانـه، علامة مـشارك مـحدث نقـاد فصـيح بليغ، ذو ملكة واقتدار، ناظم ناثر، محاضر محبـر نحرير، وجيه نزيه، استكتبه السلطان الأعظم سيدي محمد ابن عبد الـله في بساط ملكه وقَدَّره قَدْرَه وأسبل عليه أردية الإجلال والإكبار.

ذكره أبو القاسم الزياني في خاتمة «يستانه» من جملة كتاب الحضرة السلطانية المحمدية ووصفـه بالمشاركة، وحلاه النسابة الثبت المطلع سيـدي سليمان الحوات: بالأديب البليغ الهمام فـيما وقفت عليه بخط يده وذكر له أشعـارا رائقة فائقة تدل على مهـارة الرجل ومكانتـه في العلم والأدب والتفنن في أفـانين البلاغـة وحسن الصياغة.

وهو من جملة العلماء المحدثين الذين نقلهم السلطان المذكور لمراكش وفرقهم على مساجدها بقصد تدريس العلم بها، وبثه في صدور رجالها، والذين يحضرون مجالس دروسـه الحديثية وغيرها كـما في «الترجمانة الكبـرى» وناهيك بمن رشحه ذلك السلطان الطائر الصيت في المشارق والمغارب المتـضلع في سائر الفنون المقتدر الريان.

مشـيخـته: أخذ عن أبـي حفص الفاسي المتـوفي منسلخ رجب عـام ثمان وثمانين ومائة وألف المدفون بزاويته بالمخفيـة من مدينة فاس، والشيخ أبي عبد الله محمد التاودي ابن سودة، وأبي عبـد الله محمد بن الحسن بناني المتوفي سنة أربع وتسعين ومائة وألف وغيرهم، ممن هو في طبقتهم من أعلام عصره.

شعره: من ذلك قوله مخاطبا شيخه أبا عبد الله محمد بن الحسن بناني:

أبدرا لاح بـين الشـــهـب بدرا ... فنارت مـنه نيـرة الـشـمـوس
وروضـا فـاح مندلـه سـحـيـرا ... فـأحـيـا نشـره مـيت النفـوس
وبحـرا خاض بحـر العلم حـتى ... انثني بالجـوهر الصـدفي النفـيس
بمالك من طريـق الفـخـر شنف ... مـسـامـعنا بمخـتـصـر السنوسي
وألبـس عـــاري الطـلاب مما ... به حـشـيـتـه أسنى لبـوس
وبرد غـلة الـصـــادي بأحـلى ... مـذاقـا من مـعـتـقـة الكئـوس
ولا تردد يد الأبيـات صـفـرا ... وجـد بمني ولو يوم الخـمـيس
بقـيـت لفك مـشكـل كل فن ... فـفتـحك في المجـالس والطروس
ولا تنـفك بين الـناس تاجـا ... أبا عـبـد الإله عـلى الرءُوس

وقوله:

وأشنب أبدى الحـسن فـيه بدائعـا ... أزاهرها تجلـى على غـصن الـقـد
ترى العـود إن جـسـتـه منه أنامل ... كغيداء قـد تاهت فرنت من الوجد
على أنه مـهـمـا ترنم منشـدا ... أراك حلول الروح في الحجر الصلد
فديتك بدرا في سمـا الحسن كاملا ... به بـين أرباب النـهى وريـت زندي

وقوله مخاطبا بعض بطارقة الملك وخاصته، وواسطة عقد جهابذ الوزراء من دولته، على لسان بعض من لا يصل لمحتاجه من الأمير، إلا بواسطة هذا الوزير، وقد بلغ به الاحتياج الغاية، والإملاق فوق النهاية:

عماد الملك ما أعلى منارك ... وما أجرى من الجدوى بحارك
بك القلم استطال علي رماح ... فلا لسن يشق له غبارك
وصرت من المكارم في مقام ... تخذت به ذرى الجوزا وجارك
فكم طوقت من در الأماني ... مخانق عاطل أضحى جوارك
وإني مزقت ثوبي الليالي ... وأودت في نوائبها تدارك
فلا زالت تخاطبك المعالي ... هلم معظما يا بن المبارك

وقوله يرثي شيخه أبا حفص الفاسي:

الدمع يروي عن فؤاد الأكمد ... بمسلسل وبمرسل وبمسند
فاجعل حديث الدمع عندك حجة ... واطرح مقالة جاهل لم يرشد
وابك العلوم أُصولها وفروعها ... وابك الدروس ولا تكن كالجلمد
وابك السماحة والصباحة والفصاحة ... والبراعة واليراعة تهتدي
وابك المجادة والجلالة والمكانة ... والمهابة والنزاهة تسعد
وابك المآثر والمفاخر والعلا ... وابك المواهب والمناقب تحمد
أو ما فقدت الدين والدنيا معا ... لما فقدت حياة أفضل سيد
عظم المصاب بفقد من ساد الألى ... قد أَحْرَزوا رُتَب العلا والسودد
بحر المعارف والعوارف والهدى ... كهف المريد السالك المسترشد

نور العلـوم وتاجـهـا وبـهـاؤها وضـياؤها قطب الشـيوخ الرشـد
العـــالم العـلامـــة الفـهـــامـة النسـابة الأسـمى الولي المهـتـدي
عمـر أخو التـحقـيق والتدقـيق والتـحـرير سـبط العـارفين الزهد
من معـشر فوق السـماك منارهم شم الأنوف مـن الطراز الجـيـــد
ورث التـقى والعلم ليس كـلالة بل سـيـداً عن سـيـد عن سـيـد
لله يوم فـيـــه غـابت شـمـسـه يوم يشـيب الطـفل قـبل الموعـد
المسلمـون جمـيعـهم بنفوسـهم وبمالهـم يفـــدونه أن لـو فـــدي
مـا شـاءه الرحمن كـان وإن مـا لم يقـضـه في خـلقـه لم يوجـد
ياليت شـعـري من أُرجي بعـده أم من به أجلو ظمـا قلبي الصدي
أم من يزيح جـهالتي وضـلالتي وكـآبتي عنـد اشـتـبـاه المقـصـد
أم من يفـرج كـــربتي أم من يؤ نس وحشـتي في غربتـي وتفردي
أم من يـزيل تولهـي وتلهـــفي وتفـجـــعي وتوجـعي وتـنهـدي
بخل الزمـان بمـثله هيـهـات لا يســخـــو به طول المدى والمـسند
أسـفـــا لأيام مـضـت في سلوة ومـســـرة أوصـافـهـا لم تـنفـد
ولألفـــة ومـودة ومـــواصـلات عـــذبة في كل وقت مـــسـعـــد
ومـجـالس قـد أشـرقت أنوارها وتلألأت فـيـهـا وفي كم مـشهـد
يا جـملة الإخـــوان صـبـرا إنه من لم يذق مـا ذاقـــه فكأن قـد
والله يسـقـيه سـحـائب رحمـة ويتـيـــحـه الفـــردوس دار الخلد
وينيـلنا ذاك المقـــر تـفـــضـــلا مـعـه وينعم بالنعـيم السـرمـدي

فـالمرء مع مـحـبـوبه هذا الذي يروي حـديثـا للنبي مـحـمـد
صلى عليـه الـله خـيـر صـلاته والحـمـد للبـاقي العلي الأوحـد

وقوله:

شـعـر نظـامك أم رياض الآس مـتـهـذب الأخـلاق والأنفـاس
فكأنما ألـفـاظه نشـر الصـبـا أم كـالمدامـة طرسـه كـالكاس
لولاك مـا حط القـريض لثـامـه عن ثغـره مـتـبـسـمـا للناس
لازلت مـوفـور المجـادة والسنا طـودا عـلى مـتن المـكـارم راس

وقوله مادحا مخدومه السلطان العظيم المقـدار سيدي محمد بن عبد الله برد الله ضريحه:

غـرام لا يحـيط به بيـان وشـوق ليس يشـرحـه لسـان
وقـلـب لا يـزايلـه اضـطـراب عظـيم كـيف يمسكه العـنان
لحي الـله المتـيم لا يـبـالي بما يـلقـى وإن عظم الـهـوان
أُطارحـه الهـوى آثـار قـوم عليـهـا الحصـر يقـصر والـبيـان
تقـروا مـسلكا صـعبـا تسـاوى به الـبطل المسـود والجـبـان
ولكـن لو لـناظرهـم تبـدى سنا المـلك المؤيد مـا استـكانوا
مليك في بسـاط الحـسن شـدت مناطقـهـا لخـدمتـه الحـسـان
بطاعـتـه قـضـوا لما رأوها سـبيـلا فـيه رشـدهم استـبـانوا
وقلبـهـم رأينا الشـمس تـعنو له وبذا لـعـمـرك مـا تهـان
تقـبل أَخْـمَـصَيْـهِ لَدَى شـروق وإن غـربت كمـا شـهـد العيـان

بديع الحسن من لحظيك هل لي ... إذا سددت أسهمها أمان

أعارت أعينا حورا وثارت ... بصارمها يحدده سنان

فكم مثلي صريع هوى لديها ... طريحا لا يطاوعه بنان

أُخدك ما أرى أم غض ورد ... وثغرك ما تنظم أم جمان

كأن سناه بالآجال يقضي ... لبارق مبسميك به اقتران

تعالى الله حتى البرق يهدي ... لمكر لاَ تُمَاكِره القيان

يؤمل أن يخادعه عسى أن ... بضوء من ثناياه يعان

ولو أبدى قوامك بعض لين ... لسارع بالسجود إليه بان

بلى في كل عضو منك معنى ... تنزه أن يكفيه لسان

وما ظني (وبعض الظن إثم) ... على الدنيا تجود بك الجنان

متى يأمن أنال البدر حسنا ... بقرب منك يسعدني الزمان

رعاك الله من زمن تقضى ... وغصن الوصل توجه افتنان

بربع كنت آلفه رياضا ... وبعدك ما به قمري يزان

فلا صحبت رياح اليمن ركبا ... بنور سناك عن عيني ران

أما علموا بأن الدهر حق ... عليه كما يدين فتى يدان

مطايا الشوق أُتبعهم كأني ... أُسايرهم بذاتي حيث كانوا

لمن أشكو ضني يعتاد جسمي ... ولا أَشكو إذا ناب امتحان

معاذ الله أن أسلو بشيء ... سواك ولا تنسيه دنان

فكم أودعته صدرا فسيحا ... عسى أن لا يبين له عيان

قسمت العمر أجزاء لعلي ... على حمل الغرام به أُعان

أُرجي الوصل أحيانا وحينا ... أُشخصه فيعروني افتنان

ولو أهل الصليب رأوه يوما ... على قدر بدين هداه دانوا

وقوله مخاطبا بعض الأدباء وهو مريض:

أحبتنا حتى الحروف تحرفت ... وحتى يراع السلم قد حارب الحيرا

فأصبح معمور الرسائل منكم ... مهامه لا تنفك موحشة قفرا

وعذبتمونا بالجفا دون زلة ... كأنا جنينا الود في دينكم وزرا

وقوله:

ذوو الذوق إذ كانوا بروضهم مكثا ... بأجمعهم قالوا فجئت به بثا

إذا موهت أقلام ذي أدب فمن ... خشونة طبع المرء يستعمل البحثا

وليس كلام الشاعرين بعمدة ... يحث على تحقيقه ذو النهى حثا

مغالطة حينا وحينا خطابة ... وحينا وحينا فهو لم يستدم مكثا

وقد عده أهل اللطافة وردة ... تشم فإن تضمم تكسبها رثا

فكن ناهقا إن لم تذق ذوقهم ولا ... تحثث علينا من فويهك الروثا

وقوله مخاطبا شيخه أبا عبد الله التاودي ابن سودة:

إن أكن في العلوم روضا نضيرا ... فلقد كنت ثم لازلت مائي

أو أكن هاديا فعلمك نور ... أو أكن نَجْمًا[1] فأنت سمائي

---

(١) في متن المطبوع: «قمرا» وبهامشه «كذا» وما أثبته مناسب عروضيا. ولعله مناسب للسياق. والبيتان من المديد.

وقوله:

ملئت بجهل جاهل قد جهلته ... ومن ظن فيك العلم في الناس جهلا

وهب عندك العلم الذي أنت تدعي ... ولا خير في علم من أسفل أُدخلا

وقوله وقد أبدع:

أهذي سطور أم بحور تدفقت ... فأكسبت البحر المحيط وجوما

أهذي معان أم غوان ترقرقت ... فأَطلعها ليل الحداد نجوما

فتشرق نورا يهتدي بسنائه ... وتحرق سراق القريض رجوما

وقوله:

رويدا فما قول الوشاة يضير ... وأنت على رغم الأنوف أمير

ولا يوجب الهجران والعذر بين ... وأنت بما في الحالتين خبير

فما لك يا بدر الجمال تركتنا ... وقد نميت في جنح السقام يسير

وقوله متغزلا:

لهفي على تلك العشايا التي ... قضيتها تحت وريف الظلال

ما بين أزهار زهت بالرذا ... ذ أو بين أنهار جرت بالزلال

والورق في الأوراق راقصة ... وجامات الراح براح الغزال

قد أودعت في خده لونها ... وأثرت رقتها في الشمال

وأكسبت ألحاظه فعلها ... وطعمها المرشف عند النوال

لازلت في سكر لواحظه ... فكيف أقوي سكر بنت الدوال

وكلما رمت اقتطاف جنى ... من وجنتيه رشقتني النبال

فـإن رجعـت القَهْـقَـرَى لدغت عـقـارب الصـدغين مني القـذال

وإن أحم حـــول حـمى ثغـــره تلسـعني الـنحل فـضـاق المجـال

من منقـــذي من أسـر طلعـــتـه من عـاذري في حب بدر الكمـال

ولم أقف على تاريخ وفاته.

٦١ - أبو العباس أحمد بن علي العلوي.

نزيل زَرْهُون.

حاله: فقيه معدل موقت فاضل جليل نزيه.

مشيخته: أخذ عن السلطان الأعدل مـولانا سليمان كما للزياني في «جمهرة التيجان».

٦٢ - أبو العباس أحمد بن المجذوب ابن عزوز المكناسي.

قاضيها الأعدل.

حاله: فقيه جليل عالم فاضل تولى الأحكام الشرعية، بهذه الحضرة المرعية، المولوية السلطانيـة مدينة مكناس، وقفت على رسم مـسجل عليه بتـاريخ متم سنة سبع وثلاثين ومـائتين وألف، وغالب الظن أنه هو الذي تولى الخطة بعـد المترجم قبل الذي يليـه، لأن آخر تسجيل وقـفت عليه للمتقـدم في أول سنة سبع وثلاثين وأول تسجيل للمترجم متم السنة المذكورة.

٦٣ - أبو العباس الحاج أحمد بن محمد المعروف بالمزيان.

ابن عـامل سَلاَ، والرباط القـائد بناصـر الصفـار الفـاسي الأصل المكناسي الولادة والمدفن.

حاله: فقيـه بركة ذاكر معمر صـالح متبرك به رحالة مشـغول الوقت بالذكر

والعبادة، حج ثلاث حـجج، الأولى عام ثلاثة عشر ومـائتين وألف، ودخل مصر وبغداد، ولقي أهل الفضل واسـتفاد وأفاد، ورجع لمسقط رأسه وأقـبل على عبادة ربه وإفادة خلقه، اعتقده عوام الناس وخواصهم وكان السلطان المولى عبد الرحمن ابن هشام يحبه ويحله ويذهب لزيارته في منزله.

مشيخته: أخذ بالمشرق عن الشيخ إبراهيم شهاب الدين العباسي الإسكندري عن الشيخ مـرتضى، وبالمغرب عن سـيدي العـربي بن المعطي الشرقي، وسـيدي محمد بن أحمد المنوني من ذرية سـيدي علي بن منون، وعن مولاي عبد الرحمن الإمام عن أبي العباس أحمد الحبـيب، عن شمهروش الجني ،وعن أبي محمد ابن عبد الله بن بوبكر عن التـونسي العوني الفرجي، عن شمهـروش وعن غير هؤلاء من فحول النقاد، وسراة المشايخ الأمجاد.

الآخذون عنه: منهم السلطان الأعظم مـولانا عبد الرحمن بـن هشام وأفاده وأجازه بقراءة وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم إلى العالمين [الآيتان ٥١، ٥٢ من سورة القلم] وقـال له: انو بها إصـلاح أولادك ورعيتك وانضـمام ملكك وانقيـاد العالم لك، يذكرها دبر كل صـلاة سبع مرات كمـا وجد ذلك بخط نجل السلطان المذكـور مولاي العبـاس ومن خطه نقلت، ومنهم قـاضي مكناسة السـيد العباس ابن كيران، ومولاي المهدي بن عبد المالك، والسيد عبد الكبير بن المجذوب الفاسي دفين شـالة، والشيخ أبو عـبد الله محـمد بن عبـد الواحد المدعو الكبـير الكتاني، ومولانا العباس بن عبد الرحمن بن هشام وغيرهم.

وفاته: توفي عام ثمانية وسبعين ومائتين وألف ودفن بداره بأقصى درب قبالة ضريح سيـدي عبد الواحد الأشقر بـالحومة المعروفة قديما بالقـطانين بالبيت المقابل للمداخل بالركن الأيمن منه.

٦٤ - السيد أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الطيب بصري.

المكناسي النشأة والدار، الولهاصي الأصل شيخ أشياخ شيوخنا.

حاله: بيته بيت علم وإجلال وإكبار، وحسب ومروءة ووقار، ملحوظة بعين الاعتبار، كان ذا حظ وافر من النحو والفقه، بارع الخط له همة عالية، وزهد وورع يعلم الصبيان، وتخرج على يده عدة من حملة القرآن، ومنه فشا بارع الخط بالحضرة المكناسية حتى كان يضرب بجودته المثل واستكتب آخر عمره مع بعض قواد مجاط.

وفاته: توفي في بلاد زعير بالوباء العام عام خمسة وثمانين ومائتين وألف ولم يعقب رحمه الله.

٦٥ - أبو العباس أحمد بن علي السوسي.

العلامة المشارك النفاعة.

حاله: علامة مشارك نقاد مدرس نفاعة، أخبرني ابن حفيده شيخنا محمد السوسي أنه حدثه غير واحد من ذويه وقرابته أن المترجم كانت له يد طولى في علم الأوفاق وسر الحرف، وأنه رحل إلى الحج، وأن قدومه من بلاده الساقية الحمراء كان في دولة السلطان أبي الربيع مولانا سليمان، وأن السلطان المذكور هو الراغب في مقدمه عليه، وأنه وجه من طرفه من يأتيه به من مسقط رأسه، ولما ورد وجد السلطان بالحضرة المكناسية فأكرم مثواه ونُزُلَه وأنزله بمدرسة الجامع الأزهر المعروف اليوم بجامع الأروى بطلب من المترجم، وأنه لما سمع بمقدمه العارف بالله مولاي عبد القادر العلمي توجه إليه بقصد زيارته على عادته رضى الله عنه مع فضلاء وقته المشار إليهم بالخير والصلاح، فلما اجتمعا سأل كل منهما صاحبه عن اسمه ونسبه عملا بسنة خير الأنام في ذلك.

---

٦٤ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع ٧/ ٢٦٣٩ في موسوعة أعلام المغرب.

وأخذ سيدي عبد القادر العلمي عن المترجم سر أسماء الله الحسنى كما أخذ هو عن العارف العلمي المذكور، قال حفيد المترجم العلامة السيد المفضل بن المكي ابن أحمد المترجم: ولم أقدر أن أسأله يعني العارف العلمي عما أخذه الجد المذكور عنه أهابك إجلالا . . . إلخ.

وبعدما طالت مدة إقامته طلب من الأمير المذكور أن يرده لمحله ومسقط رأسه فامتنع من ذلك كليا، وزوجه بشريفة توفيت في الحين ثم بأُخرى رجراجية.

الآخذون عنه: منهم ولده العلامة المشارك السيد المكي أما وفاته فلم تحفظ.

قلت: ولا يعرف له خبر ولا أثر من غير هذه الطريق بعد البحث الشديد وقرب العهد وبقاء غير واحد ممن عاصر المولى عبد القادر العلمي وضبط من أخذ عنهم ومن أخذوا عنه ومن تدبج معهم، وأغرب من هذا وأعجب كون المترجم بهذه المثابة القعساء وما مات حتى خلف ولده من أعيان علماء وقته وعدولهم المبرزين وهو لا يضبط زمن وفاة والده ولا تعيين قبره بل ولا في أي روضة دفن.

٦٦ - الأستاذ السيد أحمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن محمد الكبير ابن الشيخ محمد - فتحا - الناصري.

حاله: كان فقيها علامة مشاركا متفننا ذا سمت حسن، وهدى مستحسن، لسانه رطب بذكر الله.

وفاته: توفي سنة أربع وثمانين ومائتين وألف.

٦٧ - السيد أحمد بن عبد الله الناصري: المقرئ من ذرية سيدي محمد الصغير ابن الشيخ سيدي محمد.

حاله: كان أُستاذا مقرئا فقيها متضلعا خيرا دينا مشاورا في علم القراءات يقصده الناس للأخذ عنه والاستفادة منه كثير التلاوة والأذكار، لم يتخلف عن

دروس مشايخه العلمية، إلى أن اخترمته المنية، وكان متخذا دكانا بالصباغين يجلس فيه لإفادة الناس، وكانوا ينسلون إليه من كل حدب لأخذ علم القراءة وغيره عليه، وكان مقتصرا في إقرائه على المنطوق والمفهوم وتقييد ما يحتاج للتقييد انتفع به خلق كثير من المقرئين وغيرهم.

مشيخته: أخذ القراءات عن الأستاذ الزموري، والأستاذ عياد البخاري والعلوم النقلية والعقلية عن ابن الجيلاني السقاط، وهو عمدته وعمن في طبقته من الأعلام.

٦٨ - أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن الطاهر بن محمد فتحا ابن أحمد الكنكسي الشهير بالجبلي.

الأغزاوي أصلا المكناسي منشأ واستيطانا كذا قال عن نفسه.

حاله: فقيه وجيه ميقاتي ماهر له معرفة بالفقه والنحو والتوقيت والتعديل وما يرجع لذلك، وأُسند إليه ذلك في غير محل حسبما صرح بذلك في عدة تقاييد له وقفت عليها بخطه، ولي التوقيت بمنار أبي عثمان سعيد بن أبي بكر المَشْنَزَائى[1] دفين خارج باب وجه عروس من مكناسة، كما ولي توقيت منار مولانا إدريس الأكبر بزاوية زرهون.

ومما وقفت عليه من فوائده صدر مؤلف له في المولد النبوي قوله:

لما أن من الله علينا وألهمنا إلى الاشتغال بجمع ما قد قيل وصنف في المولد الشريف وذلك من أفضل الأعمال، والاشتغال به من أنجح الأفعال، وقد ورد في فضله ما يفوق أوقار الجمال، وقد وجب على كل مسلم أن يعرف نسب رسول الله ﷺ ويعلمه لأهله وأولاده ويحفظه عن ظهر قلبه إن أمكنه ذلك، وإلا نظراً أو

---

٦٨ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع ٧/ ٢٥٤٨ في موسوعة أعلام المغرب.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «المشترائى» وصوابه من دوحة الناشر فى الموسوعة ٢/ ٨٨٠.

كيـفما أمكن، ولا يهـمله إلا من لا خير فـيه أو ممن حجب عن الـله فكما يجب على المسلم معرفة الله عز وجل بحفظ الستة والستين عقيدة فكذلك يجب عليه أن يعرف مولد رسول الله ﷺ ورضاعه وبعثه للناس وجـهاده وما وقع من يوم مولده إلى يوم موته باخـتصار من القول، هذا لِلأُمِّيّ، وأمـا القارئ فيتعين علـيه البحث على ذلك والإطناب فيه فليس بعـد قراءة كتاب الله شيء أفضل من قـراءة شمائله وأيام مولده ورضاعه. انتهى الغرض، ومن خطه نقلت.

مشيـخته: أخذ عن أبي عـبد الله بن حلام إمام مـسجد أبي العبـاس أحمد الشبلي المترجم فـيما مر، والحمـادي، وخميش، والشيخ أبي الفـتح حمدون ابن الحاج السلمي، كذا قال عن نفسه فيما نقلته من خط يده.

مؤلفاته: منها «النفحات الوردية والمطيبات الطبيعية في تاريخ مكناسة الزيتون المولوية» لكنـه لم يكمل، وقـفت على الموجـود منه فـي ورقـات بكناش لبـعض أصدقـائي الأعلام. «وروض الورد والزهر في مولد المصطفى خـير البشـر» وقفت على بعضه بخطه. وغير ذلك.

وفاته: توفي أواسط القرن الثـالث عشر وقد كان حيـا تاريخ ثمانية وأربعين ومائتين وألف.

٦٩ - أبو العباس أحمد بن علي بن أحـمد بن علي بن عبد الكريم بن علي ابن طاهر بن مولانا الحسن الحسيني العلوي.

قاضي مكناسة الشريف الأصيل.

حاله: كان إمـاما عادلا له همة عليـة، ونفس أبية، حسن السيـرة صلبا في أحكامه مـحدثا مسنداً راوية ممتازا بين أئمـة التحرير، بالإتقان والنقـد بدون نكير، خطيب بليغ مصقـع، رحل إلى الحج وزيارة جده خير الأنام وكان مـتصدرا لخطة

الشهادة بسماط عدول هذه العاصمة العلوية، ثم رشح لخطة القضاء، وقفت على تحليته في رسم مسجل عليه بتاريخ أربعة عشر ومائتين وألف بما لفظه:

الفقيه الأجل، العلامة الأفضل، الحافظ الحجة الأكمل، المدرس القدوة البركة الأمثل، الشريف المنيف العلوي المبجل، قاضي الجماعة بالحضرة الهاشمية الإمامية مدينة مكناسة الزيتون وهو أحمد بن علي الحسني. انتهى.

وآخر مسجل عليه أيضا بتاريخ واحد ومائتين وألف وآخر بتاريخ ستة عشر ومائتين وألف، وآخر بتاريخ ثمانية عشر ذكره في «الشجرة الزكية» وغيرها.

شعره: من ذلك قوله مرتجزا:

يا ربنا مبلغ الآمال ... ودافع الكروب والأهوال

يا ذا العطا والجود والإحسان ... يا واسع الفضل والامتنان

إنا فقيرون إلى رحماك ... وأنت أولى من حبا بذاكا

ونحن في غم شديد وحزن ... مما أصابنا بهذه الفتن

قد عمنا جزع من قد نزلا ... من الطغاة فوقنا وأسفلا

وبلغت قلوبنا الحناجرا ... كما ترى يا ربنا كن ناصرا

كادت قلوب ضعفا النساء ... تذوب مما حل من بلاء

يرق من حالتهن الحجر ... ودمعهن لؤلؤ منتثر

وبلغ السبل الزبي والوادي طم ... على قَرِيِّه وذا الخطب أدلهم

وقد علمنا أن ما حل بنا ... فإنما أصابنا من كسبنا

لكن عفوك الجميل أوسع ... والرحمة العظمى لكل تسع

فلا تؤاخذنا بذنب إنّا ... عليك يا رب قد اعتمدنا

ليس لـنا مـــال ولا من نـلجـــأ إليـــه غـــيـــرك فـــأنت الملجـــأ

فـــبـــــدلن مـــا نخـــــاف أمنا وكـف كـــف الـظـالمين عـــنـا

وشـتـتن شـملهم تشـتـيـتـا ولتكـفناهم بما قـــد شـئـتـا

بجـــاه مـــولانا رســـول الله مـــحـمـــد كـــهف الوري الأواه

صـل علـيـــــــه ربنـا وسلـم وآله مـع الصـــحـــــاب الأنجم

والتـــابعين لهـم بإحـســـان ومن على نهـجـهم من إنسـان

وفاته: توفي ليلة الأربـعاء ثالث ربيع النبوي عـام أربعة وعشـرين ومائتين وألف بالحضرة، ودفن بضريح سيدي بو كتيب برد الله ثرى الجميع بفضله آمين.

٧٠ - أبو العباس أحمد بن مبارك.

وزير السلطان الأعدل مولانا سليـمان وأحد مواليه الذين نشئـوا في خدمته من نعومة الأظافر إلى زمن المشيب.

حاله: رجل صـالح، تقي نقي فالح، لا يعرف لهـواً ولا لعبا، كـان أوحد زمـانه صدقـا وأمانة ونصـحا وإخـلاصا لمخـدومه، مع مـتانة دين ولين جـانب، وتواضع للقوي والضعيف، ورفق وحنان على الضعاف والأيتام والأرامل، محافظ على الصلوات جمـاعة في أوقاتهـا لا تستفـزه الدنيا بزهرتها، ولا يكبـر في عينه شيء من زخرفها الفاني مقبل على شأنه قائم بأعباء مأموريته أحسن قيام، مواظب على قراءة دلائل الخـيرات في سائر أوقات فراغـه عالي المكانة تام النفوذ مـسموع الكلمة مطاعها في سائر المملكة المغربية.

ومع ذلك خرج من الدنيا كيوم ولدته أمـه قال في «الجيش العرمرم»: حدثنا السلطان العادل يعني المولى سليـمان وقد ذكره يعني المترجم يومـا وأكثر من الثناء

عليه حتى قال: والله لولا أنني كفنته وجـهزته ما وجد ما يكفن به فإننا وجدنا في صندوقه الذي وجدنا مفتاحه معلقا عليه سـتمائة مثقال، ووجدنا زماما بخطه عليه من الدين ستمـائة مثقال فقـضينا ذلك الدين بتلك الدراهم فخرج من الدنيـا كيوم وضعته أمه مع ما ظفر به من الشهادة. انتهى.

قال فمن سمع هذا وتحققه فليـعلم أن من سبقت له السعادة لا يضره شيء، فهذا رجل قد خـاض في غمرات الدنيا وقام في مقام مجـموع الفتن وقرعة المظالم والسيئات التي تستفز الرجـال، وتهد الجبال، ووقف مع الذين قيل إنهم دعاة على أبواب جهنم، فلم يتـعلق به من تلك الأدناس شيء وأدرك الفوز الذي وقف دونه أطماع السابقين فسبحان المتفضل الكريم، الواسع العليم، ومن تشوق إلى البرهان، على ما ذكـرناه يقال له طلبك البرهـان على مثل هذا مما لا تقول به أولو العـقول والأذهان، فهل رأيت هذا الرجل شيد القصور أو غرس البساتين أو تأصل الأصول أو ادخر الذخائر أو استعد للنوائب كما يفعله من عمر دنياه.

ولم يبال بما تخرب من أخراه، عافانا الله بفضله آمين. انتهى.

وقال: ما نقلت عنه قط مظلمـة ارتكبها ولا موبقة تعمـدها ولا مسألة خان فيها مخدومه أو لـبس عليه فيها أو مضرة كتمها عنه اتباعـا لهواه أو موبقة لغيره، كان سلطانه العادل يذكـر ذلك عنه ويمدحه به في كثير من المقـامات وكانت وزارته ممتدة بطول ولاية سيده نحوا من ثلاثين سنة ولا أظنه فاتته صلاة في جماعة حضراً وسفراً ولا يفارقة دلائل الخيرات في قبه كلما وجد فسحة من الأشغال أخرجه وقرأ ما تيسر منه مع ملازمة أوراده وإقامة الرواتب المشروعة هكذا رأيناه.

وأما مـباشرته للناس ومـلاقاة الضعـفاء وذوي الحاجـات والضرورات فكان أرحم وأرفق بهم من الوالدة بولدها ولا يخاطبـهم إلا بالسيادة والتبـجيل، وأما أن يقهر أحدا أو يسبه فإنه في البعد الأبعد عن ذلك.

وكان هو ووالده وإخوته مماليك لمولانا السلطان العادل رحمه الله أعطاهم له والده سيدنا محمد رحمه الله فنشأ الوزير المترجم في كفالته، وتخلق بأخلاقه من زمن الصبا إلى مماته، وكانت حياته مقرونة بسعادة السلطان العادل، فإنه من يوم قتل رحمه الله انتثر نظام مملكته واختلت أسبابها فلم تزل في اضمحلال حتى انطفأ سراجها.

وكان قتله عبيد البخاري ظلما وعدوانا بعد رجوع السلطان من وقعة زيان. وكان السلطان بعد قتله يقول في كثير من الأمور: لو كان أحمد حيا ما وقع هذا ولكان هذا. انتهى الغرض. وبالجملة فترجمة الرجل طويلة الذيل، ومحامده بعيده النيل.

وفاته: توفي سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف ضربه عبيد البخاري برصاصة بغابة حمرية ودفن يمين الخارج على باب أبي العمائر، ولا زال على قبره إلى الآن بناء كان أحدثه بعض حفدته رحمه الله.

٧١ - أبو العباس أحمد بن الطاهر بادو.

المكناسي النشأة والدار والوفاة.

حاله: صالح فاضل صوفي سني ناسك ذاكر متبتل منحاش لأهل الله محب في الصالحين، معتقد في أهل الفضل والدين، لا تأخذه في الله لومة لائم، كانت له وجاهة ومكانة قعساء عند سيدنا الجد السلطان أبي زيد بن هشام محمول لديه على الصدق والأمانة، يرشحه للمهمات ويفوض له في الأمور ذات البال وبالأخص فيما يرجع للأحباس.

وقفت في الحوالة الحبسية على عدة ظهائر من السلطان المذكور بالموافقة على ما وافق عليه المترجم وإمضاء ما أمضاه، وإيجاب العمل بمقتضاه، من ذلك ظهير

مثبت أصله بصحيفتي ٧٦ و٧٧ من حوالة الزاوية العلمية بتاريخ ٢٢ حجة عام ١٢٨٦.

ولي ببلده خطة الحسبة وقام بوظيفها فوق ما يطلب منه جهده وطاقته، وقفت على جواب عن مكتوب له لقاضي مكناس أبي عيسى المهدي ابن سودة بخطه حلاه فيه: بالفقيه الفاضل الصوفي بتاريخ فاتح جمادى الأولى عام سبعة وسبعين ومائتين وألف، وقد كان له جاه واحترام عند الخاصة والعامة من أهل بلده وغيرهم وينتمي نسب قبيلهم للعارف بالله أبي عبد الله محمد بن مبارك التستاوتي على ما في بعض العقود الحبسية القديمة.

٧٢ - أبو العباس أحمد بن عمر بن العربي بن عمر.

أصله من أولاد غدو، فرقة من صنهاجة، قدم جده الأعلى عمر المذكور من الجبل واستوطن قصبة هدراش وتولى إمامه وخطبة مسجدها، وكان معتقدا عند أهلها معظما ملحوظا بعين الإجلال والاعتبار.

حاله: كان فقيها زاهدا ناسكا ذا جد واجتهاد، وكانت فيه دعابة، وله مكاشفات، وأحوال خارقات، ظهرت على يديه كرامات، حدثني بها غير واحد من مشايخي الجلة الذين وقعت لهم معه وشاهدوها منه المرة بعد المرة، وكان حسن الصوت مجوداً لكتاب الله حلو التلاوة. أخبرني صاحبنا الفقيه أبو العباس الناصري قاضي الأحواز المكناسية أنه حدثه أن من جملة أوراده اللازمة كل يوم ذكر ثلاثين ألفا من اسمه تعالى الحي القيوم، واسمه تعالى اللطيف أربعة آلاف وأربعمائة وأربعة وأربعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم خمسمائة مرة وعلى رأس كل مائة يقرأ سورة الإخلاص والمعوذتين وربما كرر الاسم اللطيف العدد المذكور سبع أو ثمانى مرات في بعض الأيام.

ولادته: ولد بمكناسة ولازم ضريح الشيخ محمد بن عيسى شيخ الطريقة العيساوية حتى أُسند إليه التقديم عليه وقام بخدمته أتم قيام وأحسنه، ثم لما تفاحشت البدع من أهل النسبة العيساوية وتكرر نهيه لهم وهم يستعيرون له أُذناه صماء، وعينا عمياء، وبالأخص في تماديهم على اللحن الفاحش في حزبهم المعروف لديهم بـ «سبحان الدايم» تنازل عن ذلك التقديم ولازم داره وصار لا يخرج إلا للجمعة، وأقبل على عبادة ربه حتى أتاه اليقين، وكان يشار إليه بالمهارة الكاملة في علم الأسماء والأوفاق واستخدام الجان تقصده الزوار من الجهات القريبة والبعيدة.

مشيخته: أخذ الكتاب العزيز عن الفقيه البوسدراوي، والشريف سيدي محمد ابن إدريس البوعناني، والفقه عن العلامة الشيخ الحاج مبارك الفيلالي، وحصل ما قسم له من المعلومات وأخذ الطريقة العيساوية عمن تصدر لتلقينها إذ ذاك من مشاهير مقدميها.

الآخذون عنه: أخذ عنه ابن عمنا العلامة النقاد، المتأني الذي له كل صعب انقاد، سيدي محمد بن أحمد العلوي قاضي زَرْهُون سابقا قراءة آية الكرسي عند النوم إحدى عشرة مرة حسبما أخبرني بذلك مشافهة ومكاتبة، وشيخنا العلامة المشارك المطلع أبو العباس أحمد بن المأمون البلغيثي قاضي مكناسة الحالي أخذ عنه الصلاة المشهورة وهي: اللهم صل على سيدنا محمد طب القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفائها، ونور الأبصار وضيائها، وعلى آله وصحبه وسلم حسبما شافهني بذلك وبما وقع له معه من المكاشفات مرارا، وحدثني عنه أنه نعي له نفسه وذلك أنه ودعه ذات يوم عام ١٣٠٩ فأنشده المترجم:

يا مزمعا بالرحيل عنا ... كان لك الله خير واق

أسعدك الله في ارتحالك ... أَمنك الله في المهالك

فائدة: من خط بعض العلماء ما صورته: وحكي عن بعض التابعين أنه كان إذا ودع مسافرا أنشده هذين البيتين. انتهى.

وقال بعض العلماء هذان البيتان ما أُنشدا قط على أحد يريد سفرًا إلا رأى في سفره نجاحا. انتهى.

وحدثني شيخنا البلغيثي أيضا أنه زار هو وشريف من سكان فاس المترجم يوما من الأيام، وكان ذلك الشريف من خاصة أصحاب البركة الأشهر سيدي محمد الغياثي وبمجرد ما وقع بصر المترجم عليه سأله عن حال شيخه الغياثي قائلا في سؤاله له هل لازال سيدي محمد الغياثي منفردا في داره لا يقبل دخول أحد عليه فيها؟ فأجابه بنعم ولَوْ هِرَّة، فقال المترجم: الله الله يهديه أنا والله لا أحب إلا أن تكون الخودات معي واحدة تعضني وواحدة تنشدني وقلبي مع الله، ثم اتفق اجتماع شيخنا البلغيثي بعد ذلك بمدة مع الغياثي فجرى ذكر المترجم فأثنى الغياثي خيرا، ثم سأله شيخنا المذكور هل له به معرفة ؟ فقال: أعرفه في عالم الأرواح.

وفاته: توفي في الساعة الحادية عشرة من صبيحة يوم الاثنين فاتح جمادى الثانية عام أحد عشر وثلاثمائة وألف ودفن بزاوية المولى التهامي بالبيت المقابل للداخل بإزاء قبر الشريف المتبرك به حيا وميتا سيدي محمد العربي الوزاني رضي الله عنه.

٧٣ - الوزير الأعظم أحمد بن موسى بن أحمد بن مبارك.

الوزير ابن الوزير ابن الوزير.

ولادته: ولد سنة سبع وخمسين ومائتين وألف.

مشيخته: أخذ عن السيد فضول السوسي، والحاج محمد جنون وغيرهما

من فحـول أهل العلم بفاس ومكناس وغيـرهما من البلاد، وكـان جل أخذه على طريق المذاكرة والمباحثة.

حاله: كـان شعلة ذكاء ونبـاهة فقيـها حازمـا ضابطا عـفيف الأزار، طاهر الذيل، سياسيـا آية في الدهاء وحسن التدبير كثير الصـمت، محافظا على الطهارة والصلاة في أوقـاتها مع الجـماعة، صلبـا في دينه، كثيـر الأذكار، حـريصا على التعـرف بالأخيار، طلق الوجه ظاهر الـبشر متـواضعا بشوشـا، ذا مكايد وحيل، مستـبدا بالأمور، لا يشاور إلا فيـما تتوقف الأنظار فيه على الأخـذ برأْي غيره ذا حزم وعزم وثبات، مَجَالِسُه لا تخلو من العلماء ومذاكرتهم.

حجـابته: تولي الحجـابة عن الخليفة السـلطاني بفاس المولى إسمـاعيل أخ السلطان المولى الحسن، ثم الحجابة لدى الجلالة الملوكية الحسنية، وفيها تدرب على الخدمة الملوكية وحنكته التجاريب وعلم من أين تُؤكل الكتف.

إسقاطه وزارة الجامعيين وسبب ذلك:

ثم صار وزيراً صـدرًا في الدولة العزيزية وفيـها علا كـعبه وارتفع صيـته، وأوقع بأعدائه أولاد الجامعي واسْتَنْزَلهم من وظائفهم، وذلك بعد أن قاسى أهو الا وشدائد قيـد حياة مخـدومه الأعظم السلطان مولانا الحسن، كـان اتهمهمـا بأنهما اللذان سعيا في إفساد ذات البين بينه وبين السلطان المذكور حتى انحرف عنه، وهمّ بالإيقاع به لولا أن المنية حالت بينه وبين ذلك والواقع خلاف ذلك كله.

وحقيقة الأمر أن السلطان مولاي الحسن لما ولى الحاج المعطي منصب الوزارة العظمى أَنف المتـرجم من ذلك، إذ كـان يرى أنه ليس بكفء لذلك المنصب وقـد تحقق السلطان باستياء المترجم و إطلاقه لسانه بالطعن والتنقيص، وأنه قال: إن هذا الرجل فقد عقله يعني السلطان فأَسرها في نفسه ولم يبدها له، وصار يحض الحاج

المعطي ويوصيه بمخالفة المترجم والغض منه والتضييق به وعدم المبالاة فأظهر له من الغلظة والجفاء امتثالا لما أُمر به ما زاده حنقا، وأخذ لنفسه بالأحوط، فكان كلما ازداد الوزير غلظة وجفاء للمترجم زاد في إظهار اللين وخفض الجناح والخضوع والانحياش له ولأخيه السيد محمد الصغير وزير الحربية وهو يتربص بهم الدوائر وهم لا يشعرون، بل يعتقدون أن زمام الأمر بيدهما وأن الجو خلا لهما حتى صمم السيد محمد الصغير المذكور على القبض عليه بالرياط فمنعه من ذلك أخوه الصدر الحاج المعطي، وقال لا يسمع علينا أننا عقب موت السلطان فتحنا باب الشهوات والتوصل إلى الاغراض الشخصية، على أنه لا شيء بيننا وبين هذا الرجل والسلطان الذي كان يأمرنا بمضادته وعدم اعتباره قد لبى داعي مولاه.

هذا والمترجم يدبر لهما الحيل ونصب شبك المكايد القاضية عليهما بالقاضية، فنسب لهما الخوض فيما لا تحمده عقباه.

من ذلك أنه لما لبي السلطان مولانا الحسن داعي مولاه وبويع لولده المولى عبد العزيز بالمحل المعروف بالبروج من قبيلة بني مسكين استبد بالرأي دونهم، وصار يتداخل فيما هو خارج عن خطته اعتمادا على ما يعلمه من اختصاصه بالسلطان المولى عبد العزيز وتيقّنه بعدم خروجه عن أمره، وأنه لا يركن لأحد سواه، وكان يعلم ذلك كل من له أدنى مسكة من بقية الوزراء، ولذلك تسارعوا لمحالفته، وتعاهدوا على تعزيزه ونصرته، والتزم هو لهم ببقاء كل واحد منهم بمحله وعلى وظيفه ما عدا الحاج المعطي الصدر و محمد الصغير وزير الحربية، فإنهما كانا على خط مستقيم في مخالفته ومضادته، فأشاع عليهما أنهما يرغبان الناس في نقض بيعة السلطان المولى عبد العزيز المذكور وهما في سكرتهم يعمهون، لا يعلمان أن المترجم لهما بالمرصاد يترقب انتهاز الفرصة في المكر بهما ولا يصدّه عن ذلك إذ ذاك إلا خوف انتشار الفتنة لقوة حزبهما من جيش شراكة وأولاد جامع والقوة الحربية كلها تحت سيطرتهما.

ولما فشا ما رماهما به من خلع السلطان استفتى العلماء في شأنهما وقرر لهم أن مرادهما شق العصار وافتراق كلمة الجماعة، فأفتى البعض بالقتل والبعض بالتخليد في السجن وأسر ذلك في نفسه ولم يبده لهما ورأى أنه لا يتم له مراده فيهما إلا بعد حلول السلطان عاصمة سلفه المكناسية.

ولما نهض السلطان من الرباط صمم أولاد الجامعي على التوجه لفاس وقالا: إنها قاعدة المغرب، وصمم المترجم على التوجه لمكناس، وقال: إن العادة قاضية بالمرور بها لكونها دار الملك ومقر الجيوش ووسيلة لزيارة مولانا إدريس الأكبر، فجنح السلطان لما صمم عليه صاحب الترجمة وزيف قول غيره.

ثم لما حل السلطان بعاصمة سلفه المكناسية، دخل عليه وهو على أريكة ملكه الوزير الصدر الحاج المعطي المذكور بصكوك الأوامر السلطانية على عادة الوزراء في تقديم المكاتب للتوقيع عليها، فأمره السلطان بدفعها للمترجم فامتنع وأبى، وطلب الأمير بالتمشي معه على العرف المألوف الذي كان يتمشى معه عليه والده السلطان المقدس، فقال السلطان مجيبا له: افعل ما آمرك به فغضب وترك الصكوك مطروحة بإزائه وخرج، فعند ذلك تم للمترجم ما أَراد فأمر الأمير قائد مشوره وهو إذ ذاك إدريس بن العلام البخاري بأن يأمر الوزير الجامعي بالانسلاخ عن كل ما يرجع لوظيفه ولزوم داره هو وأخوه، وذلك أمر دُبِّر بلَيْلٍ.

وكان من جملة ما خاطبهم به رئيس المشور المذكور، على لسان السلطان المنصور، قوله: لقد طغيتم في البلاد وكَفَرْتم نِعَمَ ما أَسْدَاه لكم مولانا المقدس من النعم، وارتكبتم بدل المجازاة بالإحسان العقوق، وقد بلغ سيدنا أيده الله ما صممتم عليه من شق عصا الطاعة وإيقاد نار الفتن، ولولا رعاية محبة سيدنا المقدس فيكم وقرابتكم منه لأذاقكم سيدنا شديد النكال وأليم العذاب، قوما اذهبا لحال سبيلكما، فلم يسعهما إلا الانصراف ولزوم محلهما، واتفق أن كان يوم طردهما عن شريف الأعتاب يوم الثلاثاء.

السلطان السابق مولانا عبد العزيز

بيعة أهل فاس للسلطان مولاي عبد العزيز

ثم بعد ذلك أَمر باشا مكناس حم بن الجيلاني بن حم البخاري بإلقاء القبض عليهما، وذلك صبيحة يوم الجمعة ثم على صهرهما العربي الزبدي واستئصال أموالهما وأثاثهما، وبيعت تركتهما في العواصم المغربية، وبعد إلقاء القبض عليهم بذل المترجم العطاء للوفود وأسدى للضعفاء والمساكين بكل ناحية ولاسيما مكناسة وفاس ووجه بالمقبوضين مقيدين لسجن ثغر تطاوين، إلاّ الأخير فنقل لآسفي سجينا.

وبسجن تطاوين مات الحاج المعطي وكانت مدة اعتقاله ثلاثة وثلاثين شهرا، ومن عجيب الاتفاق أن مدة وزارته كانت كذلك ثلاثة وثلاثين شهرا.

وبقي به أخوه محمد الصغير إلى أن سرح أواخر الدولة العزيزية، ونقل لطنجة وبقي في حكم الثقاف بها في أتعس عيش، إلى أن اخترمته المنية.

وأما الزبدي فقد سرح بعد وفاة المترجم بأيام قلائل ولحق بالسلطان المولي عبد العزيز بمراكش، فأكرم وفادته ورده لوظيفه السابق، وأنزله بعرصة مولايعلي الشهيرة بحومة الكتبية ولم يزل على وظيفه إلى أن بارح السلطان مراكش ووجهته محروسة فاس، وذلك في شعبان عام تسعة عشر وثلاثمائة وألف فكلف بإتمام حساب ما بيع من متخلف المترجم وحساب بناءاته التي كان السيد محمد بن عبد الهادي زنيبر مكلفا بها وتصفية ذلك أمر كله، فلم يزل في مأموريته هذه إلى متم عام ١٣٢٠، فأصدر له الأمر السلطاني بالقدوم لفاس، ولما لحق بالجلالة طلب الخدمة بوطنه رباط الفتح فأُسعفت رغبته وعين أمينا على الديوانة والمستفاد وخليفة مستقلا عن عامل الثغر الرباطي، وبقي على وظائفه المذكورة إلى أن حل الركاب السلطاني بالثغر المذكور عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف، فأُمر عندئذ بالطلوع لمحل خدمته بالبساط الملوكي، وأُقر زيادة على ذلك علي أمانة المستفاد وأُذن له في جعل ولده نائبا عنه.

ولما جاءت الدولة الحفيظية عينته لوظيف الحسبة ببلده الرباط والخلافة الباشوية وأمانة الديوانة بها، ثم أُعفي في عام ١٣٣١، ثم عين للأمانة بديوانة آسفي عام ١٣٣٢.

ثم طلب الانتقال فنقل لديوانة القنيطرة إلى سنة ١٣٤٢، ولم يزل على وظيفه هذا إلى أن لقي ربه عام ستة وأربعين.

وزارته وصدارته العظمى:

هذا وبالقبض على أولاد الجامعي استقام أمر الملك لصاحب الترجمة وصفا له الجو وطأطأت له الرءوس ولم يبق له منازع في الوزارة العظمى، واستبد بأمر الملك كله وجعل أخاه السعيد وزيرا للحربية وأخاه إدريس حاجبا، ولم يترك معه وزيرا أجنبيا إلا الفقيه السيد محمد المفضل غريط كان أبقاه على وزارة الخارجية، وأبا الحسن على المسفيوي أبقاه على وظيفه وزارة المظالم، وقد كان يجامله ويحترمه.

ولم يزل على وظيفه إلى أن لبى داعي مولاه، وإلا صديقه الحميم المخلص السيد عبد السلام بن محمد التازي الرباطي فإنه بقي في وظيفه أمانة الأمناء (وزارة المالية) كما كان قلده مولاي الحسن إياه بفاس في رمضان عام ١٣٠٧ إثر وفاة أخيه السيد محمد التازي الرباطي الشهير المترجم في الاستقصا [٤: ٢٥٦]، وقد كان المترجم يركن له ركونا خاصا مشهورا سيما في الخارجية إلى وفاة المترجم التي صادفته مريضا بمراكش فاستعفى بعده.

وذهب للحج وأكرمه السلطان وأعانه على رحلته الحجازية، ثم أَلقى عصا تسياره بالرباط إلى أن استدعاه السلطان مولاي عبد العزيز إلى فاس في العشرة الأخيرة من جمادى الأولى سنة ١٣٢٢ وقلده أمر النيابة بطنجة عوض النائب

وزير خارجية الدولة الحسنية والصدر الأعظم سابقا

السيد محمد المفضل بن محمد غريط

الحاج محمد الطريس، على أن خليفته قائد سلا الشهير السيد عبد الله بن سعيد ورجع للرباط لتهيئة الأسباب ومعه المكاتب السلطانية لعمال المغرب وولاته باعتماد أوامره في مأموريته، فدخله يوم الأحد ٢٧ شعبان عامه في يوم مشهود، وجمع محشود، حيته فيه أبراج العدوتين وحُصُونهما بالمدافع الرسمية.

ثم توالت الأحداث التي اقتضت تأخير ذاك وتتابعت تترى، فاستدعي السيد عبد الله ابن سعيد المذكور إلى طنجة آخر رمضان منه، وصعدت السفارة الافرنسية لفاس في شوال منه ثم استدعيت وفود مدن المغرب ومراسيه إلى فاس أواخر القعدة منه للمذاكرة في مطالب السفارة، ثم قدم غليوم إمبراطور الألمان إلى طنجة يوم الجمعة ٢٤ محرم ١٣٢٣ لمعاضدة السلطان ومعارضة السفارة الفرنسية، فقابله ابن سعيد المذكور إذ كان الطريس بفاس، ثم عقد المؤتمر الدولي بالجزيرة الخضراء في شوال منه ورئيس الوفد المغربي الطريس، وما يتبع ذلك من الحوادث فبقي التازي المذكور بالرباط إلى أن لقي ربه ليلة الخميس ٢٧ صفر عام ١٣٢٥ محمود المساعي مشكور الأعمال «والذكر للإنسان عمر ثاني».

ولما نهض السلطان من مكناس لفاس أعفى الوزير غريط وولى مكانه عبد الكريم بن سليمان وكان كغيره لا يقطع أمرًا دونه قلّ أو جل، وأضاف عمالة فاس لإدريس بن العلام قائد المشور السلطاني، حيث إنه كان عونا له على الإيقاع بأولاد الجامعي زيادة على وظيفة.

بعثة السفارة لأسبانيا وما حصل لها:

وفي تاسع عشري رجب عام ١٣١٢ موافق ٢٦ يناير سنة ١٨٩٥ وجه الوجيه الحاج عبد الكريم بن محمد المدعور بريشة التطواني سفيرًا لدولة الإسبان لإدخال إصلاحات وتعديلات على الوفق الممضي بمراكش بين جلالة السلطان المقدس مولانا الحسن والجنرال (مرطنيس كبو) النائب عن دولته المذكورة فيما يتعلق

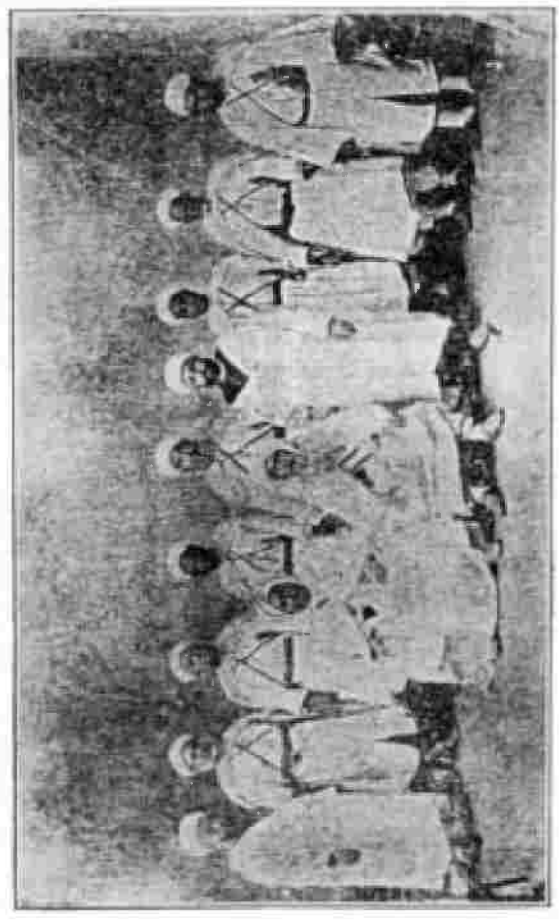

سفارة الحاج عبد الكريم بريشة وابن سليمان لدى دولة اصبانيا

بحرب مليلية، وعززه بالسيد عبد الكريم بن سليمان، ولما وصلا لمدريد اقتبلتهما الدوائر الرسمية أحسن مقابلة وأكرمت وفادتهما واعتنت بشأنهما غاية الاعتناء رغما عن كون الشعب ينظر لهم شزرا، وأفكاره لا ترضى بمطالبهم.

ولما حل وقت الملاقاة الرسمية مع الملكة وخرج السفير من محل نزوله للركوب في العربة المعدة له بقصد ما ذكر، اعترضه رجل إسباني بلباس مدني ولطمه على جيده على حين غفلة لطمة كادت تذهب ببصره فرجع السفير من طريقه وامتنع من الملاقاة مع الملكة التي كانت في انتظاره، ووقع القبض على المتعدي وبعد البحث عنه أُلفي جنرالاً متقاعدًا مختل العقل اسمه (يكل فونتينس) وفي الحين حكم عليه من المحكمة ببقائه طول حياته محجرا في المارستان.

ثم قدم على السفير كثير من المستعطفين ما بين وزراء وكبراء وألح عليه في الاستعطاف غاية طبيب السلطان المقدس مولانا الحسن (روبيلو) والترجمان بسفارة إسبانيا بطنجة (منويل سيبدرا) واعتذروا له وأظهروا تحسرهم على ذلك الواقع الفظيع، ولم يزالوا معه حتى لان وتوجه معهم للقصر الملوكي.

ولما وصله أبي أن يدخل لملاقاة الملكة حالة كون شرفه ممسوسا فخرج إليه صديق وداده رئيس الوزارة الصنيور (ساقاسطا) والجنرال (مارتينس) وأقنعوه بما يرضي دولته ويحفظ شرفه فساعدهم إذ ذاك على ذلك، وتقدم لغرفة استقبال الملكة ولما دخلها أجملت الملكة استقباله فوق العادة جبرًا لخاطره، ومن غريب ما يذكر في ملاقاته هذه أن الملكة نزلت عن كرسيها وصافحته وهي قائلة: (يا سعادة السفير أتأسف من صميم فؤادي على التعدي الذي وقع عليك وإني أشعر بألم تلك اللطمة داخل قلبي).

ولما تم الاقتبال على أحسن حال ورجع السفير لمحل نزوله تواردت عليه الوفود من المجامع وإدارات الجرائد وزاره كل الوزراء مطيبين لخاطره ورجع الذين

كانوا ينـظرونه شزرًا من أخص المتـأسفين، وقامت جـملة الجرائد وأنديـة الشعب والأحزاب الساسية ومجلس الأمة ضـد ما وقع من التعدي الشنيع فلم يسع السفير المذكور إلا أن أَبْرَقَ إلى جلالة السلطان مرسله بواسطة النائب أبي عـبد الله محمد الطريس بما لفظه: إن ما يـصلكم من التعدي علي هو شيء لا أهمـية له ولا يمس عاطفة الوداد الإسباني المغربي، ولا يرى جنابكم العـالي إلا ما يسره فتقرر بمجلس النواب وشُورَى الوزراء أنه من شـرف إسبانيا واللائق بنخوتهـا جبر خاطر السـفير والاحتفـال به كما يجب، وهكذا انقلبت لهـجة الأمة كلها فكان لهـذه الحادثة أثر عظيم في تعـديل العقـد المراكشي المـمضي من الدولتين في ٢٤ أفـريل ومن أهم تعـديلاته إسـقـــاط ٠٠٠، ٤٠٠، ١ ريال (دوروس) من ٠٠٠، ٣٠٠، ٢ التي كانت مقررة به، وبعد أن كان سيدفع بكيفية خاصة تعدل دفع المقدار في ستة أشهر الموالية للتعديل وعلى ما قرره مؤرخو الإسبان وصرحوا به في عدة مواضع أَن دولة المغرب نجحت في هذه السفارة نجاحا لم يتقدم له مثيل.

ثم بعـد هذا عينت له بأَخَـرَةٍ خصـوصيـة تحـمله لطنجة زيادة في إرضـائه وتكرمته، ولما وصل طنجة ورجعت الباخرة غرقت بما فيها على مقربة من طنجة.

ولما رجع من مدريد رفع نتـائج أعماله للمتـرجم فاستحـسنها واستعظـمها وأَجازه باسم السلطان بخمـسين ألف ريال (خمسمائة ألف فرنك) وسـماه نائبا في جمعـية السفراء بطنجـة لسن قوانين إدخال الإصلاحـات للمملكة، ولم يزل على وظيفه هذا إلى أن ختمت أنفاسه يوم الجمـعة عاشر محرم عام ١٣١٥ موافق يوليو سنة ١٨٧٨.

استخلاصه طرفاية من الإنجليز: وفي ثاني وعشري قعدة العام أوفد عن إذن السلطان لطرفاية صاحبنا الفقيه الميقاتي الحيسوبي السيد العلمي بن أحمد بن رحال بصفة كـونه ميقاتيـا والحسين بن خلوق الأودي بصفة كونه مـهندسا، وإدريس بن

عبد الجليل خليفة باشا فاس إذ ذاك بصفة كونه أمينا، والعدل السيد العباس التطواني آل أبي عبد الله ابن مرزوق دفين أصيلا، والنجار الطالب الحسين المباركي، والبناء الحاج موسى مارسيل الرباطي، والحاج محمد زنيبر السلوي الطبجي، والرئيس البحري وخمسة وعشرين عسكريا بقصد حيازة المرسى التي كان أحدثها الإنجليز بطرفاية افتياتا وتمكينه مما كان صرفه على بناء ذلك المحل.

وذلك دار بوسط البحر محمولة على الأزهرية وهي على هيئة فندق بالفوقي والسفلي وبها هريان عظيمان لخزن البارود والقرطوس، وبسطح الدارستة مدافع وقصبة مربعة بها دور ثلاث إحداها كبيرة شبيهة بالمرسى المذكورة معدة لسكني رئيس تلك المرسى، والثانية صغيرة كان يسكنها البشير بن بيروك الودنوني، والثالثة يعمرها العسكر على هيئة قشلة إلا أنها بدون فوقي وبوسط القصبة خيام بعض العرب يدعون الأفيكات.

والسبب الوحيد في مد أعناق الأجانب للبناء بذلك الشاطئ هو بيروك الودنوني التكني والد البشير المذكور، وكان ذلك في دولة سيدنا الجد السلطان أبي زيد عبد الرحمن بن هشام حسبما وقفت على التصريح بذلك في ظهير أصدره السلطان سيدي محمد لصنوه المولى العباس ودونك لفظه:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ثم الطابع الفخم بداخله محمد بن عبد الرحمن الله وليه.

«أخانا الأعز الأرضى مولاي العباس حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فإن بيروك التكني كان على عهد سيدنا ومولانا قدسه الله تواطأ مع بعض النصارى على البناء بشاطئ أرضهم، فبلغ خبره لمولانا فوجه له نور الله ضريحه من ذكره وحلفه في المصحف الكريم على أن لا يعود لذلك. ولا يسلك مع الكفار تلك المسالك، وظهر منه من التوبة ما أوجب اعتباره ومراعاته

عند سيدنا ونفـذ له دارا بالصويرة، وكان محـررا من الإعطاء على سلعه التي ترد على الثغر الصويري تأليفا له، وبقي على ذلك إلى أن لقي الله تعالى.

ثم خلفه من أولاده خلف أضـاعوا تلك الوصايا، وأرادوا أن يعـرضوا بلاد المسلمين للرزايا، ويبيـعوا دينهم بدنياهم، فـتواطئوا مع النصارى جنس الصـبليون على البناء هنالك، فسمـعت تلك القبائل المجاورة لهم بذلك واتفـقت على قتالهم إن لم يرجعوا عن غيهم.

ولا يخـفى ما يتـرتب على ذلك من الفتن والأهوال واتسـاع دائرة القتـال، وعليه فيتعين الكلام مع الصبليول في هذا الأمر الذي يجر إلى ما لا يليق ليرجعوا عنه إن بدءوك بالكلام فـيـه وإلا فلا، ومن المعلوم أن أهل تـلك البلاد من جـملة رعيتنا وإيالتنا، فليس لأحـد منهم أن يفعل في شبر منها ما شـاء ولا تسلمها تلك القبـائل ولو أفناهم القتال عـن آخرهم، ومرادنا أن تبـقي هذا الأمر مكتومـا حتى يبدأك به الصبليول، فإن بدءوك به فتجد عندك ما تقول لهم وتردهم به، وها كتاب المرابط السيد الحـسين الأليغي يصلك فطالعه لتعلم ما ذكـر فيه، وإن ذكروا لك أن أهل تلك الجهة هم الطالبـون لذلك والراغبون فيه فأجبـهم بأن الأمر بخلاف ذلك وبأن قبائل تلك النواحي رمت ولد بيروك عن قوس واحدة، ولـيس معه أحد فيما رام فعله، واذكر لهم في ذلك ما يليق أن يذكر، وإن لم يذكروا لك شيئا فلا تذكر لهم شيـئا، ونسأل الله أن يرد كـيده في نحره وقد أخـبر خديمنا الطالب عـبد الله أبهي بمثل ما أخبر به المرابط المذكور، ونسأل الله أن يعجل بهلاكه آمين والسلام في ١١ من ربيع الأول عام ١٢٧٨» هـ. من أصله بلفظه.

وأدى السلطان في استـرجاع ذلك ابرات ٥٠٠٠٠ خمسين ألف حـيزت من طنجة بعـد أن كانوا طلبوا ريال ١٠٠٠٠ عشـرة آلاف وقديما قيل إن للتأخـير آفة ووقع الاتفاق على ذلك بشروط نصها:

«الحمد لله وقع الاتفاق بين الواضعين اسمهما عقب تاريخه وهما الفقيه الوزير الأعظم الأجل المبجل السيد أحمد بن الفقيه الوزير المنعم السيد موسى بن أحمد والكبلير المنيسطر (ارنيط ماسن ساطوا) على الشروط الخمسة التي ستذكر أسفله في شأن شراء المخزن لزينة البناء الذي للكبانية النجلزية المسماه (نرف وست افرك) بالمحل المعروف بالطرفايا الكائن ببلاد قبيلة تكنة.

(الشرط الأول) إذا اشترى المخزن زينة المحل المذكور من الكبانية المذكورة لا يبقى كلام لأحد في الأراضي التي من وادي درعة إلى رأس بوخادورا المعروف بالطرفايا المذكورة، وكذلك فيما فوق هذا المحل من الأراضي لكون ذلك كله من حساب أرض المغرب.

(الشرط الثاني) المخزن يعطي الكلمة لمخزن النجليز أنه لا يعطي شيئا من الأراضي المذكورة أعلاه لأجنبي إلا بموافقة مخزن النجليز.

(الشرط الثالث) إذا اشترى المخزن زينة البناء الذي بالمحل المذكور أعلاه من الكبانية المذكورة أعلاه يكون شراؤه لذلك عاما شاملا لزينة البناء حجراً أو خشبا الذي بالبحر والذي بالبر، كما يكون شاملا أيضا شراء المخزن لذلك لجميع ما اشتمل عليه جميع البناء المذكور الذي في البر والذي في البحر من مدافع وغيرها، ولا يبقى كلام لأحد في ذلك ولا في تلك الأراضي، والثمن الذي يعطيه المخزن في ذلك للكبانية المذكورة قدره خمسون ألف ابره نصفها معجلا عند عقد هذه الشروط، والنصف الآخر مؤجلا عند حيازة المخزن للمحل المذكور من الكبانية المذكورة.

(الشرط الرابع) مخزن المغرب إذا حاز المحل المذكور من الكبانية المذكورة بالشراء يبقيه مفتوحا للبيع والشراء والمخزن لا يبني فيه من بيت ماله دورا ولا خزائن للتجار لسكناهم ولوضع سلعهم، ولا يجعل فيه فلائك للوسق والوضع إلا

إذا اقتضى نظره الشريف جعل ذلك وقت ما شاء، وتكون أعشار السلع الداخلة له والخارجة منه مثل أعشارها بمراسي الكوشطة.

(الشرط الخامس) من أراد من التجار الإتيان بسلعته للمحل المذكور وأتي بكتاب من باشدور جنسه يعطيه المخزن طرفا من الأرض بذلك المحل بالكراء عن مدة من عشرين عاما وحيث تنصرم يصير للمخزن».

وكتب وزير الخارجية قبل ذلك لباشدور النجليز بما لفظه:

«الحمد لله: لمحل العاقل الناصح الساعي في الخير بين الدولتين المحبتين منيسطر دولة (كريت ابريطن وانبريز) الهند الفخيمة الكبلير فلان، بعد مزيد السلام فقد انهينا لحضرة سيدنا العالية بالله ما تطلبه الكبانية الإنجليزية من أداء خمسين ألف ابرة في الخسارة الواقعة لها في تعاطيها التجارة بالطرفايا بسبب تعرض ولاة المخزن لها في تجارتها، ووقوع التعطيل لها فأمرتني الحضرة الشريفة أن نجيبك بأنها قبلت أداء الخمسين ألف ابرة المذكورة للكبانية من قبل ذلك مقسطة على خمس سنين، بحيث تدفع للكبانية خمس العدد المذكور كل سنة وهو عشرة آلاف ابرة وتبقى قصبة نزول الكبانية بالطرفايا موقوفة كما كانت قبل وختم في ١٠ رجب عام ١٣٠٨ محمد بن محمد غريط لطف الله به.

ثم كتب تحت الشروط المذكورة يطلب من الباشدور المذكور ما لفظه:

«وبعد فقد أطلعت شريف علم مولانا نصره الله بالشروط الخمسة المرقومة أعلاه الواقع الاتفاق بيننا وبينك عليها في شأن حضرته الشريفة زينة المحل المذكور أعلاه، فسلمها أيده الله وأمضاها كما سلم أيضا شراء تلك الزينة لحضرته العالية بالله من الكبانية المذكورة أعلاه، بالخمسين ألف ابرة نصفها معجلا ونصفها عند حيازة المخزن للمحل المذكور، وذلك بعد مضي ستة أشهر أولها شهر شوال

وآخرها شهر ربيع الأول الآتيان، وأمـرني نصره الله بالكتابة لك بهذا وبأن المخزن له أن يوجه لـلمحل المذكور مـن الآن قبل أن يحوزه أناسـا من قبله وحـيث يريد توجيههـم يعلمك لتمكنهم من كتابك لمن هناك من النجليزيين بقـبولهم وختم في ١٦ من رمضان عام ١٣١٢».

وكان ذهاب هذا الوفد المذكورة أفـراده في البابور المسمى بـ «التريكي» الذي كان اشتراه السلطان مولاي عبد العزيز ونفذت للوفد الكساوي بالصويرة.

وكان وصـولهم لطرفاية زوال يوم ١٠ محـرم فاتح ١٣١٣ فوجدوا البـاخرة الإنجليزية في انتظارهم حاملة سائر ما كان لهم من القوة بتلك المرسى، وبمجرد ما أرسى البابور في المرسـى جاءتهم الساندة حـاملة كبراء تلك المرسـى الذين بيدهم الحل والربط من الدولة الانجليـزية فيـما يرجع لـذلك ثم توجهـوا بالمكلفين الذين جاءوا من قبل السلطان للمرسى المذكورة بقصـد تسليم البناء المحدث جميعه ودفع مفـاتيحه، ولم يـتركوا لهم من الشـئون الحربيـة عدا المدافع والبـارود والقرطوس ومركبا دقاوء، أي كبيرا وبعض المؤن وسافروا حينا لبلادهم.

وبقي الوفد المخـزني بتلك المرسى ومكثـوا هنالك نحو السنة وكـانت المئونة تأتيهم من الصويرة على رأس كل ثلاثة أشهر.

ولما استقر بـهم النوى وجه لهم الشيخ ماء العينين ولده أبا عبـد الله السيادة وهو أكبر أولاده إذ ذاك وفي معيـته صهره على ابنته الشيخ الأمجد وحـفيده السيد المحفوظ في لفيف من الأتبـاع يهنيهم بسلامة القدوم ويستقـدمهم عليه ووجه إبلا تحملهم إليه.

وكان وصـول هذا الوفد إليهم صـبيحـة الاثنين ٢٢ محرم وأقـام مع الوفد السلطاني أيامـا خمسـة ثم لبوا دعـوته، وكان نهوضـهم يوم السبت ٢٧ مـحرم، ووصلوا لخيام الشيخ المذكور يوم الجمعة ثالث صفر وكانت المسافة التي قطعوها في

الوصول إليه ستة أيام كاملة، ومحل نزوله يسمى ذي النبط من ناحية الساقية الحمراء، فأكرم وفادتهم ونحر لهم ناقة هائلة على عادة الكرام، وكان جل ما يقدمه إليهم من الطعام النوع المعروف بالشعرية، وحضروا صلاة العصر مع الشيخ، ولما فرغوا من الصلاة قام بعض تلامذة الشيخ وهو العلامة الأديب السيد إبراهيم بن محمد البواري حول زرب المسجد وأنشد:

أهلا بهم من خمسة أعلام ... بل خمسة كقواعد الإسلام

رسل الأمير ابن الأمير إمامنا ... عبد العزيز ابن العزيز الإمام

من خصه المولى بأعلى رتبة ... تلك الخلافة رحمة الأنام

لازال مخصوصا بكل فضيلة ... إذ خصنا بأئمة الأقوام

هم خنصر مع بنصر وسطاهم ... سبابة كبراهم الإبهام

يده إلينا مدها مبسوطة ... بمواهب مشكورة الإنعام

لا تنس أن تذكرهم وسراتهم ... أعني ثلاثة سادة خدام

ولأنتم من عند شيخ فاضل ... ماء العيون المصطفى بمقام

ساقي الورى ساقية الحمرا متى ... عز الوري أسقاء ضيف ظام

وكانت مبارحتهم لمحل الشيخ يوم الثلاثاء سابع عشر الشهر المذكور على غير الطريق الذي ذهبوا عليها، حيث إن الشيخ أخبرهم أنه مأذون من قبل الأمير بذلك والبلاد كلها رمال تجد اليوم جبالا منها فإذا هبت الريح نسفتها نسفا ونقلتها لموضع آخر.

وطرفاية هذه هي آخر حجرة المغرب، وسميت طرفاية بذلك لوجود أشجار ثلاثة من الطرفاء بها وهي بلسان الروم (دكاب جوبي) عرضها ٢٨ وطولها ١٢

ودقائق ٥٢ على ما حـرره رئيس تلك المرسى، وطرفاية معتدلة في سـائر الفصول ومهما بعد الإنسان عنها بنحو نصف ساعة يجد حرارة عظيمة.

أخبرني صاحبنا ابن رحال أنه كان مسافرا في بعض الأيام وهو راكب جملا فصارت تنزل عـليه نقط في غاية الحر فإذا هـي دموع الإبل تحملها الرياح وتلقـيها عليهم.

وليس بها ماء عَدَا بِئر ملح تأتي للسقي منه القوافـل ليلا وتسافر به لخيامها، أما الوفد السلطاني فإنه كان يأتيـه الماء الكافي من الصويرة، وأهل طرفاية يتخذون أحجارا مثل القصع يملأونها من ذلك الماء الملح فوق آنية أُخرى فينزل الماء من تلك الأحجار للآنية فيستحيل عذبا.

وكان في نية السلطان أن تبقي تلك المرسى مفتوحـة يعمرها التجار وغيرهم وفق ما قـترح الإنجليز، ولـذلك وجه النجار والبناء والمهنـدس ولكن أمر ذلك لم يتم.

ثورة الرحمانة بزعامة مبارك ابن سليمان:

وفي أواخر ربيع الأول من السنة المذكـورة، نهض من فاس لتمهـيد نواحي مراكش الذي أضرم نيرانها فساد تلك القبائل على ما يأتي بيانه، ورتب قواد قبائل الحوز بعد أن نظم جيشا عرمرما رأس عليه الشريف سيدي محمد الأمراني المترجم فيما يأتي بحول الله، ومعه عمال دكالة وباقي عمال الحوز، وخيموا على الرحامنة وندبوهم للصلح وحذروهم وأنذروهم عـقوبة المخزن واشتـداد شوكته وخـوفوهم سطوته، فلم تنفع تلك المسـاعي ولم يرفعوا لمقامـهم رأْسا واستعظمـوا عصبيـتهم وتمادوا على عيثهم وتمردهم، ولما قـربت الجنود المولوية من مراكش اختل أمر تلك الجموع الزائغة وانهـزمت، وقد كان السلطان حشد الجيوش والقـبائل المغربية برابر وأعرابًا بخيلهم ورجلهم وأصحبهم معه.

ولما خـيم على الرحامنة بوادي أم الربـيع وأحاطت بهم الجـيوش السلطانيـة المشار لها، بعد أن قسمها سبعة ملاحم، عقد عليها للشرفاء وكبراء الجيش كأعمام والد الجلالة العزيزية المولى الأمين، والمولى عبد القادر، والمولى عبد المالك فأوقعوا بالخارجين وقعة شنيـعة وجاسوا خلال ديارهم ولم يسعهم غـير الرضوخ للطاعة، والدخول فيما دخـلت فيه الجماعة، وأدوا المغارم ذات البال، وأَسلمـوا عددا كثيرا من رؤسائهم أسرى وجـه بهم في السلاسل والأغلال للحضـرة المكناسية، ورجع عليهم العمال الذين نزعتهم الغوغاء عصبية مبارك بن الطاهر بن سليمان الرحماني ـ وكان عاملا للسلطان مولاي الحسن علي درعة وأعمالها ـ الذي سعي في الأرض الفساد وخرب مـدينة دمنات وغيرها، وشن الغارات على مدينة مـراكش وهم غير مرة باقتحامها عنوة، ولولا قيام عاملها القائد (ودة) قيام الأبطال المخلصين ومبالغته في الدفاع عنها جهده وطاقته لخربت وديست سراتها وذوو الحيثيات فيها بالأقدام.

وأُتي بركن الفسـاد الزعيم المذكـور من زاوية سيدي علي بـن إبراهيم بتادلا وذلك في رمضان عام ١٣١٣ ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف وفي معيته ولده الفاطمي وأخوه سليمان فـجعل في قفص من حديد وأُحدق به مع حزبه وكاهنهم مَـهِيمَر ـ بفتح الميم وكـسر الهاء مشـبعة بعـدها ميم مفتـوحة فراء ساكنة ـ الحـرس المخزني المسمى بالمسخريـن، وبسبب ذلك انطفأت نيران البغي والفسـاد، وانكسرت شوكة أهل العتو والإلحاد، ووظفت عليهم أمـوال طائلة وعدد عديد من الخيل والسلاح، ودفـعوا ذلك عن يد وهم صـاغرون، وكـان الرجل منهم يأتي بفـرسه ومكحلتـه ويسلم كلا للمكلف بحوزه من قبل المخزن، ويأتي الرجل بنفسه ويسلمها للسجان فيدخله السجن إلى أن ضاق بهم، ففرقوا في سائر السجون المغربية وأكثر ما كانوا بسجن الصويرة.

وقد كـتب المترجم بنبأ هذا الفتـح الباهر لسائر الأمصـار والأقطار وكان من

الخليفة مولاي الأمين في قضية غوغاء الرحامنة

جملة من كتب له بذلك ابن عمنا النقيب قبلي مولاي زيدان ودونك لفظ الكتاب بعد الحمدلة والصلاة:

محبنا الأعز الأرضي نقيب الشرقاء ،مولاي زيدان، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وبعد: فموجبه إعلامكم بأن سيدنا المنصور بالله لما نهض من الرباط، في عز وظفر وانبساط، مر بمحلته المنصورة السعيدة في جيوشه وعساكره الموفرة ذات الأعداد العديدة، على قبيلة الشاوية فوجدهم بفضل الله على غاية من الاستقامة مبتهجين بطلعته السعيدة ومن ببلادهم في عز كامل، وحفظ شامل، إلى أن خيم بعين كيسر من بلاد أولاد ابن داود وأقام هنالك مدة في استنشاق أخبار فساد الرحامنة ورئيسهم النحيس بن النجس، فلم تكن إلا مدة يسيرة حتى صار قوادهم القدماء يأتون للحضرة الشريفة ويتلاحق بهم أهل الصلاح الباطني منهم متبرئين من سعيهم في الفساد ومصرحين بأنهم كانوا مجبورين عليه من الفاسد الكبير وشيعته، ومعلنين بالتوبة والإنابة.

وهنالك كانت الأخبار تتوارد بأن المرجفين لا زالوا يستحيلون قدوم الجناب الشريف للحوز وينكرون ذلك ويحسبونه عظيما وهو عند الله هين، وبإثر ذلك نهض أعزه الله في جيوشه السعيدة ونزل بمحلته المنصورة على ضفة وادي أُم الربيع، في زي بديع، ومكث هنالك أياما قلائل وأذن للمحلة في العبور وبقي هو دام علاه في الساقة إلى أن تكامل العبور، وعبر هو بعدهم في جنده الداخلي وخيم على الضفة الأخرى بتراب الرحامنة، فغشيهم من اليم ما غشيهم، وسقط في يدهم ما كانوا يدبرونه، ولم يسعهم إلا إعطاء يد الانقياد والقدوم للمحلة السعيدة خاضعين متذللين تائبين مصحوبين بالمشايخ والمتجالات والذبائح والعارات، ملتزمين بكل ما يؤمرون به ويشترط عليهم، ولا غرض لهم إلا في الإبقاء على أنفسهم، فوظف عليهم نصره الله أربعمائة ألف ريال وعشرين ألف

ريال وألفا من الخيل بسروجها وعدتهـا وألفين من العسكر، فالتزموا ذلك وشرعوا حينا في الدفع، ولم تكن إلا مـدة يسيرة حتى أكملوا الخـيل والعسكر وجل المال، ولم يبق منه إلا البعض ولا زالـوا يدفعون، وفي أثناء هذه الإقـامة أمكن الله من الفاسـد الغوات الدمناتي الذي كان حـامل راية فساد النحـيس بن النجس وأُتي به فطيف به في المحلة السعيدة على حمار وصفد وسجن.

وبعـده أُتي بسالم الـرحمـاني كاتـب الفاسـد المذكـور فألحق بالغـوات في السجن، وكانا كالبشيرين بحصول رفيقهما الفاسد الكبير، فلم تكن إلا مدة يسيرة حتى أمكن الله منه كذلك، وأتي به للمحـلة السعيدة مصفدا ذليلا حقـيرا، فعاينه سيدنا المنصور بالله، وجمع عليه كبراء الجيوش والعـساكر السعيدة وأعيان الحضرة وقواد القبائل، فعاينوه على هذه الحالة المقررة، ثم أُركب على جمل أعرج وطيف به في المحلة السعيدة عاري الرأس والصـفع في قفاه وسخط الله ينزل عليه من كل ناحية حـتى كاد أن يموت من العذاب، ثم صفد من يده ورجـله وعنقه وسجن في قفص من حديد كالخنزير أو الكلب العقور.

ولا زال أيده الله ينظر في أمـره بعد أن جمع القـضاة والعلمـاء على نازلته وحكموا عليه بما حكم به الشرع في المحـاربين، وسجلوا الحكم ولم يبق من فضل الله وسعـادة مولانا المنصور بالله من يشار إليـه بفساد في الحوز أصـلا فقطع دابر القـوم الذين ظلموا والحـمد لله رب العـالمين، وحتى رفـيقـهم دحان الصنهـاجي السرغيني الذي كان معهم على الضلال ساقـته العناية قبلهم في خفارة ولد سيدي ابن داود تائبا خاضعـا متذللا، فاقتضت المصلحة تأمـينه لظهور أدلة صدق توبته، وولاه سـيـدنا نصـره الله على إخـوانه، وهو الآن على غـاية من الاسـتقـامـة، وأعلمناكم بهذا على سبيل الإجمال والتعجيل، ريثما ترد المكاتب الشريفة بتفصيله لما نعلمه من تشوفكم لأخبار ذلك، ولتسـروا بحقيقة الواقع، ولم يبق إن شاء الله

إلا دخول سيدنا أعـزه الله لحضرته الشريفة المراكشية رافـلا في حلل العز والسعادة والإقبـال، بمنة الله الكبيـر المتعـال، وهو المسئـول سبـحانه أن يحسن فـي الباقي كالمـاضي ويجزي الأحـوال على ما يراد ويرضى، وعلي المحـبة والسـلام في ١٨ شعبان الأبرك عام ١٣١٣ أحمد بن موسى بن أحمد لطف الله به.

ثم بعد استئصال شأفه العـتاة المفسدين دخل المترجم بالمحلة المظفرة للحضرة المراكشية منتصف العشر الأواخر من رمضان عام ١٣١٣.

ثورة الأعشاش:

ثم في فاتح ربيع الثاني عام أربعة عشر نهض لناحية الشاوية لفرقة الأعشاش منها فنزل بسـاحتهم إلى أن قـضى وطره منهم، وألقي القبض على أركان بغـيهم واستصفى أمـوالهم واستولى على ذخائرهم وحز منهم نحـو ثلاثمائة رأس وقبض على خمس عـشرة مائة رجل منهم وأودعـهم السجون، وبقـيت شرذمة متـحصنة بالكهوف من أولاد مـحمد فتحـا إلى أن هلك أكثرهم جوعـا، ثم ارتحلت المحال عنهم فـرجع أهل الغرب لبـلادهم يرأسهم سيـدي محـمد الأمـراني وأهل الحوز رجعوا في معـية المولى الأمين بن عبد الرحمن بن هشام، وصـاحب الترجمة إلى مراكش، وكـان نزول هذه المحال بالمحل المعـروف بصخـرة الدجاجـة وأودع الثائر الفتان المذكور سجن مصباح، ولم يزل به إلى أن لقي ربه.

قصوره وجنّاته:

ثم لما خـلا الجو للمتـرجم وطأطأت له الرءوس العـتاة وتمهدت لـه البلاد، واستبعد سراة العباد، وجبـيت له الأموال الطائلة وامتص العمال دام الرعية صرف همته لتشييد القصور وغرس الجنات بفاس ومكناس ومراكش، وأنشأ بمراكش جنانا متـسع الأكناف سمـاه (أجدال) وغرسـه بأنواع الأشجار والأزهار، وأنبـع له عينا

خاصة به وعمل صهريجا يجتمع فيه الماء للسقي منه، ولازال قائم العين إلى الحين الحالي، ومن قصوره المدهشة بمراكش (قصر البـاهية) المعد اليوم لسكني المقيم العام بالديار المغربية.

عبقريته السياسية:

وبالجملة فـقد كان المتـرجم في الدهاء آية، وفي السياسـة بحراً ليس له من غـاية، علم الخاص والعـام رسوخ قـدمه في التـثـبت والمهارة في تدبيـر الشئـون الملوكيـة، ولا غرابة في ذلك إذ ليس لغيـره من معاصـريه ما له من الاطلاع على النواميس الملوكية والخبرة بسرائرهها وسرها تغذي بلبان ذلك من ثدي أبويه وجده، وشب في ذلك وشـاب، وقد ساعـده السعـد فاشـرأبت له الأعناق، وطأطأت له الرءوس، وخضع لسطوته المشروف والشريف، وامـتلأت قلوب الحواضر والبوادي مهـابة منه ورعبا، ولـم يبق ناه ولا آمر سواه، واسـتولى بسبب ذلـك على نفيس الذخائر الملوكية ولكنه صانها أي صون.

أمانته: أخبرني صديقنا العدل الرضي السيد العلمي بن أحمد بن رحال وقد كان من جملة خاصـة الملازمين لبابه المطلعين على حركاته وسكناته البيـتية العالمين بتفاصيل خزائنه وذخائره أن المترجم لما حانت وفاته أمر صاحبه الخصوصي الطالب حمـان بن عبد العـزيز المكناسي أحد أصحـاب الفراش السلطاني، أن يحـمل بعد موته جمـيع ما بداره من الأموال السلطانيـة والذخائر الملوكية ويذهب به لـلقصور المولوية، ويحـضر مـعه الوصـيف ابن يدر أحـد أصحـاب الوضوء، إذ كـان هو الواسطة في نقل تلك الأموال والذخائر من القصور السلطانية إلى القصور الوزيرية وأن مفـاتيح الصناديق الحاوية لتلك الذخـائر النفيسـة الغاليـة كان المترجم سلمـها للسلطان مولاي عبد العزيز لما أحس بعضال دائه وأيقن بمبارحة دار الفناء.

كمـا أَخبـرني بعض العدول بأن الطالب حـمان المذكور أَطلعـه على كناش إحصاء الأموال السلطانية التي كـانت مصونة بدار المترجم وطلعت للدار السلطانية مختـوم ذلك الكناش بخط صاحب الترجمة وأَن ذلـك القدر هو الذي دخل عليه للجناب السلطاني العالي من العمال وغيرهم.

وقد تـفرقت تلك الأمـوال شذر مـذر، ولم ينفع حذر من قـدر، انتهـبهـا الخائنون وبذروها في شهواتهم وحرم منها المستحقون، وكان ما كان مما لست أذكره وما مكث السلطان بفـاس، حتى أُصيبت المالية بـداء الإفلاس، وقضت الظروف، بالافتـراض من الدول للوازم المصروف، وما قـدر على الجبين، يستـوفى ولو بعد حين.

وابن عبد العـزيز المذكور هو الذي صار خليفة لحـاجب الدولة العزيزية أبي العباس أحمد الركينة ثم صار فـي الدولة الحفيظية أمين الصائر على الدار السلطانية بالحضـرة المكناسية وأمين مسـتفادات أسواقـها، ثم انفرد بأمانة الصـائر فقط أوائل المخزنية الدولة اليوسفية.

ثم إن المترجم لما صفا له الجو وتم له الاسـتبداد رشح سائر إخوته للوظائف المحزنـية الهـامة كـالحجـابة لإدريس، ووزارة الحرب لسـعيـد، واستـأثر بالسلطة الاستبدادية التي كانت عاقبتها خراب بيته وبيوت عائلته والمغرب أجمع.

وفاته: توفي بمراكش سابع عشـر المحرم عام ثمانية عـشر وثلاثمائة وألف، وحضـر السلطان فمن دونه جنازته، ودفن داخل قـبة ضريح جـد العائلة الملوكـية المولى علي الشريف حـذاء ضريح القاضي عياض رحم الله الجـميع ورضي عنهم وعنا بهم آمين.

وقد رمز لتاريخ وفاته الأديب الشهير أبو العباس أحمد بن المواز رئيس الاستئناف العالي أخيرا بقوله:

قضى ابن موسى وزير الملك أحمد من تبقي مآثره في السن الزمن

وسط المحرم من عام يؤرخه فالخير زف له من واهب المنن

متخلفه وما وقع فيه:

ولما لبي داعي مولاه أَمر السلطان بحيازة جميع متخلفه عقارا وغيره لبيت مال المسلمين، وقفت على عدة ظهائر سلطانية أُصدرت لأمناء الصائر بكل مدينة من مدن الإيالة ببيع أصوله، منها ظهيران لأمناء دار عديل بفاس دونك نص أولهما بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف:

خدامنا الأرضين أُمناء الصائر السعيد بدار عديل المعفيين والجدد والمكلفين معهم ببيع الأملاك المتخلفة عن كاتبنا الطالب أحمد بن موسى وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فقد وصل كتابكم صحبة تقييد بيان أملاك المذكور التي بخارج المدينة وعلى من وقفت عليه بالسمسرة والثمن الذي وقفت به وصار بالبال، فنأمركم ببيع جميعها لمن وقفت عليه على الضابط في ذلك بعد حيازة جميع الثمن ممن نزلت عليه من غير تأخير شيء منه، ومن عجز عن أداء شيء منها حالا أُمضوها لغيره الذي يعجل جميعه، وأشهدوا البيع للمشترين لها نيابة عن جنابنا العالي بالله والسلام، في ٧ محرم الحرام فاتح عام ١٣٢٠.

ونص الثاني بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

نأمر خدامنا الأرضين أُمناء صائرنا السعيد بدار عديل أَن يمضوا البيع في أملاك كاتبنا الطالب أحمد بن موسى لمن وقفت عليه في السمسرة بالثمن الذي بينتم، كما نأمركم أَن تشهدوا البيع في كل منها لمشتريه على الوجه الشرعي بعد

حيازتكم ثمنه منه نيابة عن جانبنا العالي بالله والسلام في ١٦ صفر الخير عام ١٣٢٠ هـ.

ومع الأسف فقد مدت في ذلك أيدي الخائنين، وتفرق شَذَرَ مَذَرَ، ولم يصل للمخزن من أمتعته المبيعة بأسواق المدن بعد سمسرتها إلا النزر اليسير، كما مدت أيدي النهب والاختلاس في أموال وأمتعة غيره ممن صدر الأمر بحيازة أموالهم لبيت المال كابن العلام قائد المشور السابق الذكر والفشار، ولم يقع الاقتصار على أخذ أموال من ذكر من المستخدمين وضمها لبيت المال، بل مدت اليد العادية في كل من له أدنى علقة واتصال بهما من الأقارب والأباعد، وكل من لباشا ذلك الوقت فيه شهوة وغرض بدعوى أن المذكورين أمنا عندهم من أموالهما وامتعتهما فأخفوها، وبسبب ذلك توصل لغصب أموال كثير من الناس، ولم يقدر أحد من المنهوبين على النطق ببنت شفة فيما أصابه خوفا على نفسه من بطش ذلك الباشا المستبد الظلوم.

ولما تفاحش ذلك وبلغ للجلالة العزيزية أمر الأمين السيد الحاج محمد بن عبد السلام المقري الذي هو الصدر الأعظم الآن بالبحث عنه والإعلام بحقيقة الواقع فيه، فأجاب بعد البحث بأن جميع ما بلغ لشريف العلم صحيح، وأن دخوله على تلك الدور يكون أولا من غير الأمناء المكلفين معه ليستبد بما شاء من مال ومتمول، ثم يدخل ثانيا مع الأمناء والعدول أو يوجه من ينوب عنه وأن ضرره قد عم أهل البلَد ولم يقدر أحد منهم على رفع الشكاية به للحضرة السلطانية، وأن الفشار له الاطلاع التام على ما كان بدار ابن العلام وبسؤاله يظهر ما استبد به ذلك المستبد لنفسه وخان فيه السلطان، ثم تبرع المسئول المذكور بطلب إراحة أهل البلد من جوره وتفاحش ضرره بعزله عنهم حسبما ذلك مبسوط في جوابه بخط يده وهو بتاريخ ١٢ ربيع الثاني عام ١٣١٩.

اختلال الأحوال بعده:

وبموت صاحب الترجمة حدثت حوادث وفظائع يشيب لها الرضيع ووقع الدخيل في الدولة واختل النظام وفسدت الأحوال، وتراكمت الأهوال، وتنمرت الذئاب، وفرزنت البيادق، واتسع الخرق على الراتق.

ولما استحكمت الفوضى وأشرفت الأمور على الانحلال وانتشرت الحمايات بالإيالة المغربية أي انتشار، وكثر تشكي الدولة الفرنسية من مسألة الحدود الجزائرية، وجدت الدول ذات المصالح بالمغرب السبيل للإلحاح في طلب الإصلاح، واقترحت على الدولة المغربية بفارغ صبر النظام ونصب ميزان العدل وفتح الطرقات بين العواصم لتسهيل المواصلات، وكانت الحكومة بينة العجز عن تنفيذ ذلك كله مع عدم امكان تأجيله لوقت آخر.

فعند ذلك ظهر للسلطان أن دعا لفاس جماعة من أعيان مدن المغرب الكبرى كمكناس ومراكش ورباط الفتح وسلا وطنجة وتطوان فأقاموا بحضرته بفاس كنواب الأمة يترددون كل صباح ومساء على أبواب القصور السلطانية حيث مجلس الوزراء، لأجل المفاوضة في الشئون الكبرى التي أحاطت بالبلاد، فكانت هذه الجماعة لا يحسن أعضاؤها سؤالا ولا يفقهون جوابا وإذا استشيروا أجابوا بقولهم الخير فيما اختاره سيدنا السلطان، فكان وجودهم وعدمهم على حد السواء، وقد أُنفقت عليهم الخزينة أموالا طائلة.

بعث السفارات لأوروبا ونتائج ذلك:

ولما وقف تداخل الدول عند هذا الحد، وكانت قضية الاستيلاء على قصور توات قريبة العهد قرر رجال الدولة توجيه سفراء مندوبين لعواصم أُوروبا لطلب النصير من الدول العظام مثل فرنسا وإنجلترا وألمانيا عن كيفية بث النظام.

سفارة وزير الحربية سابقا السيد المهدي المنبهي لإنجلترا - الجلوس من اليمين المنبهي المذكور وعن يمينه قائد بعثة الحرابة الإنجليز القائد مكلين الواق من اليمين مستشار السفارة باشا الرباط الحالي السيد عبد الرحمن بركاش

فانتدب زعيم الدولة إذ ذاك ووزير حربيتها المهدي بن العربي المنبهي للذهاب إلى إنكلترا، وعين خليفة له ومستشارا لديه السيد عبد الرحمن بركاش باشا الرباط الآن، والسيد الزبير سكيرج ترجمانا، والسيد محمد بوستة كاتبا.

ولما وصلت هذه السفارة للوندرة أقامت بها نحو شهر وفي تلك المدة عقدت شروطا رسمية تحتوي على أربعة فصول:

الأول: بناء القناطر وإصلاح ما تلاشى منها بسائر الإيالة المغربية.

الثاني: تشييد المنارات بالمراسي المغربية لعموم النفع بها.

الثالث: تسريح وسق الحبوب بحرًا من مرسى إلى مرسى.

الرابع: وسق البطاطا والخضر بأسرها من مرسى طنجة إلى مراسي الأجانب من حيث هي.

وهذه هي الشروط الرسمية، وهناك شروط ومعاهدات سرية التزم رئيس السفارة للدولة البريطانية بالوفاء بها على ما قيل.

وانتدب السيد عبد الكريم بن سليمان وزير الخارجية سفيرا لفرنسا وروسيا وألمانيا وبمعيته أبو عبد الله محمد فتحا الجباص الوزير الصدر سابقا، والأمين بناصر غنام كاهية النائب السلطاني بطنجة الحاج محمد الطريس التطواني.

ولما اجتمع السفير بأعيان الدولة الفرنسية وعرض رغائب الدولة المغربية أُجيب عن ذلك بما حقق لديه أن ما ألصقه بعض الدول بجانبها وقرره في شأنها محض افتراء وزور، وأنه لا داعي إليه سوى إرادة إيقاد نار الفتن بين الدولتين وتحقق لديه أنه لا تعلق لقضية قصور توات بالسياسة الفرنسية وإنما سبب الاستيلاء عليها ما عولوا عليه من اتصال قطر الإيالة الجزائرية بوطن السودان بالسكك الحديدية، وبعد استيفاء الغرض المقصود من الدولة الفرنسية توجهت السفارة للدولتين المذكورتين.

ثم بعد قضاء الوطر وفق المراد انقلب السفراء بما لديهم من المعلومات وقرروا للسلطان ورجال الدولة ما كان من سفارتهم وما رجعوا به من المقاصد المطلوبة.

ثم بإثر ذلك زار إمبراطور ألمانيا (غليوم الثاني) مدينة طنجة فأوفد السلطان لمقابلته وتهنئته نيابة عنه سمو عم والده مولاي عبد المالك بن عبد الرحمن بن هشام وبعض الأعيان فاستاء لذلك الإمبراطور المذكور إذ كان اعتقاده أن السلطان يقابله بنفسه، وذلك ما كانت تقتضيه المجاملات السياسية وتوجبه مصلحة المغرب الوطنية، وكان نزوله بطنجة يوم الجمعة الرابع والعشرين من محرم ١٣٢٣.

كما زار قبله ملك الإنجليز (ادوارد السابع) جبل طارق وذلك بعد زوال يوم الأربعاء تاسع محرم فاتح عام ١٣٢١، فأوفد السلطان لمقابلته وتهنئته نيابة عنه باشا فاس القائد عبد الرحمن بن عبد الصادق الريفي، وكانت مقابلة النائب الريفي الملك في عشية اليوم نفسه بدار حاكم مدينة جبل طارق، حيث كان نزول الملك.

ومن نتائج سفارة ابن سليمان لفرنسا تعديل مسألة الحدود الجزائرية المغربية، وكان الذي رشح للوقوف على تصفيتها الجباص المذكور بصفة كونه رئيسا والسيد أحمد السعيدي باشا مكناس الحالي معينا أول والسيد محمد نجل الجباص المذكور معينا ثانيا، والسيد محمد بن عبد الواحد المندوب المخزني بوجدة وباشا الدار البيضاء سابقا كاتبا أول والفقيه السيد محمد الهواري قاضي طنجة والعضو الأول بالاستئناف الأعلى سابقا كاتبا ثانيا، والسيد لزبير سكيرج مهندسا واستمر مكثهم في هذه المأمورية من آخر سنة ١٣١٨ إلى آخر سنة ١٣٢١.

وفي الوقت نفسه تخلت الحكومة المغربية عن القبائل الثلاثة: أولاد جرير، وذوي منيع، والقنادسة لعمالة الجزائر لما كانوا يحدثونه ويتسببون فيه من القلاقل والمشاكل مع الرعايا الجزائريين.

استقبال الإمبراطور غليوم الثانى بطنجة

(١) الخليفة السلطان مولاى عبد المالك بن عبد الرحمن، (٢) السيد أحمد بن المواز خليفة الوزير الصدر، (٣) مولاى إدريس البوكيلى خليفة وزير الخارجية، (٤) باشا طنجة حمزة بن هيمة الآسفي، (٥) السيد عبد الله بن سعيد السلاوي، (٦) السيد الحاج أحمد الطريس خليفتا النائب بطنجة، (٧) الباشا عبد الكريم الشركي، (٨) سيدي العربي الناصري، (٩) السيد الطالب معنين، (١٠) سيدي محمد القادري، (١١) السيد أحمد جفالف، (١٢) الحاج عبد السلام بن عبد الصادق، (١٣) السيد محمد غنام، (١٤) السيد اللبادي، (١٥) السيد العربي ملين، (١٦) السيد المهدي التازي ووراءه مولاي أحمد الصابونجي أعضاء دار النيابة وأمناء الديوانه وعدولها.

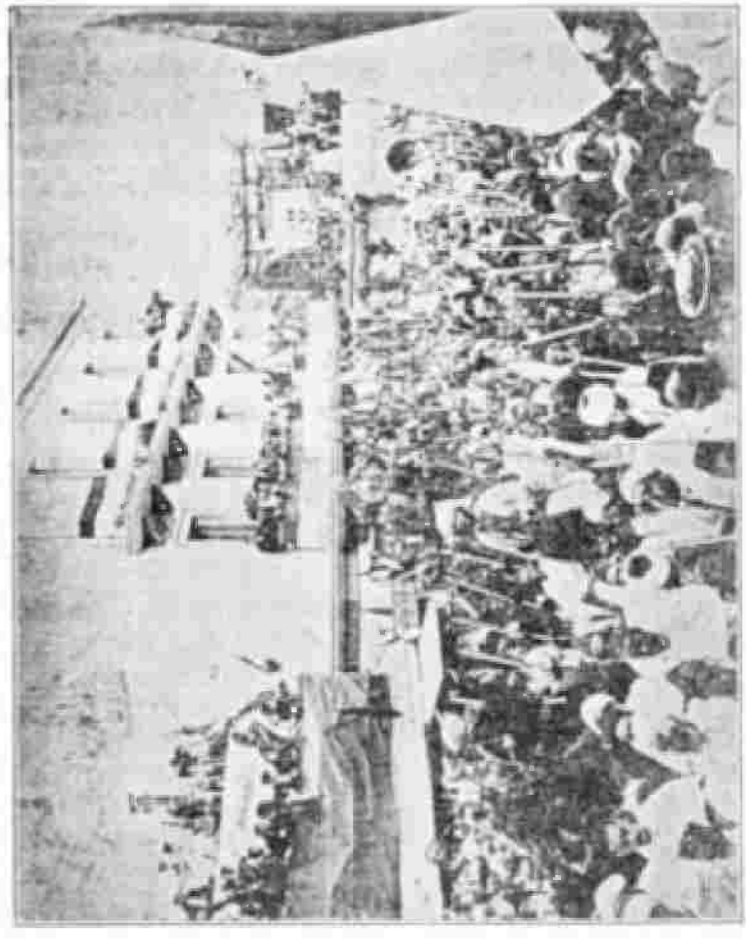

زيارة الإمبراطور غليوم الثاني لطنجة

الفتان أبو حمارة الجيلاني الزرهوني

ثم بإثر هذا وقع اتفاق الوزراء على أنه لا يختص واحد منهم بإبرام شيء أو نقضه من كل ما يتعلق بالأمور السياسية والأحكام المخزنية إلا بعد اجتماعهم على ذلك واتفاقهم عليه، وكل من وقع منه استبداد بنقض أو إبرام تجري عليه العقوبة الصارمة ويطرد من البساط الملوكي، وتعاهدوا على ذلك وتحالفوا، وكل من تولى أمر شيء يحلف يمينا مغلظة بالمصحف الكريم أنه لا يخون فيما أُسند إليه، ومن كان متوليا كذلك يحلف هذه اليمين حتى حلف سائر الموظفين.

كما اتفق رأْيهم على إنشاء الترتيب الجاري به العمل الآن فلم يتم أمر ذلك، إذ لم يكن وقع عليه اتفاق جميع الدول الأجنبية.

وظهر في قبيلة بني مسارة اختلال وانحراف عن الطاعة، وكذلك قبيلة بني عروس وغيرهما من القبائل الجبلية التي أفضى بها الحال والاشتغال بالمحال إلى أخذ صبي وصبية من أبناء الإسبان بنواحي أصيلا على وجه التعدي، فجهز السلطان جيشا لإرغامهم على الرجوع إلى الطاعة، ورأس عليه الشريف المولى عبد السلام الأمراني وعززه بالآغا[1] الحاج علي السوسي بمن معه من العساكر، وما بلغوا أُمنيتهم من الانتقام من جميعهم حتى طلع طالع نحس الفتان أبي حمارة بتازا.

ثورة أبي حمارة:

ومن الأحداث العظيمة بعد وفاة المترجم الوزير أحمد بن موسى حادثة قيام الجيلاني الزرهوني المدعو أبا حمارة التي كانت أعظم حادث وأقوى سبب في فاس الدولة ووهن قوتها المادية والأدبية بل فشل ووهن المغرب كله.

أصل هذا الفتان المارق من مدشر أولاد يوسف أحد المداشر الشهيرة بجبل زَرْهُون، قدم في أول أمره فاسا وانتظم في سلك أعوان القائد عبد الكريم ولد أب

(١) الآغا: كلمة تركية الأصل، تعنى: الأخ الأكبر، وفى اللغة التركية العثمانية تعنى: سيد ورئيس وقد منح هذا اللقب لكثير من الموظفين وبخاصة العسكريين.

محمد الشـركي، ثم انتقل للخدمة مع الخليفة اللسلطاني بفـاس رفيقنا في الطلب أبي حفص عمـر بن السلطان مولانا الحسن، وكـان أيا خدمته مع الخليـفة المذكور يرافق السيد المهدي بن العربي المنبهي.

ولما تولى المنبهي المذكور الخدمة مع صاحب الترجمة لم يزل يتقرب إليه حتى صار من أخص الناس به وأقـرب أعوانه إليه لنباهته وحـزمه وشدة ملازمـته حتى حصل بعـد وفاة المترجـم على رتبة الوزارة، جاء الفـتان المذكور إلـى المنبهي زمن وزارته يمت إليه بسابقيـة التعرف والصحبة فلم يصادف منه قبـولا حسنا، فأقسم إذ ذاك الجيلاني الثائر يمينا ليرجعن أميرا، حيث صار رفيقه المنبهي وزيرا.

وخرج من حينه يجوب البلاد في صفة ناسك متقشف يدعو إلى الله ودخل الجزائر وجاب أكنافها وأكثر التردد بين وهران ومـعسكر ولقي أبا محمد عبد القادر ابن عدة أحد شيوخ الطريق ثَمَّةَ، وذلك بمدينة غيلـزان قرب مستغانم، ولازمه مدة فبث له هذا الشيخ من التعاليم ما صيّـره متأهلا لإيقاد نيران الفتن بالأرض المغربية وذلك عام تسعة عشر وثلاثمائة وألف.

وفي عام عشـرين دخل وجدة على الصفة المذكـورة، وتردد بين قبائل آنكاد وقرر لمن اتبعه ودخل في شبكة تدجيله مقاصـده، ثم حل بثغر طنجة متخذا حلية المتصوفـة شعارا، والتصنيع بزيهم دثارا، فتظاهر بين بعـض بسطاء العقول بالنسك والخشـوع، وربما قطع أمامهم ليلـه بالسجود والركـوع، ومتى قام للرقص مـعهم اعتـراه ذبول وتوله، واصفـرار وتدله، وأسمـعهم من رقـيق الأزجال، مـا يطرب سامعه في الحال، وربما نطق بعبارات، كأنه من ذوي الإشارات.

ولما عزم على مـبارحة طنجة راود من كان يـجالس فيها من الخـياطين على مصاحبـته، ليكون من أعوانه وبطانته، فلم ينخدع الخيـاط لدعوته، ولم يتابعه في غوايته، فغادرها إلى الموضع الذي اختاره لنشر دعوته، وأظهر التأفف من الحكومة

المخزنية، وأنها ذات خضوع للتمدن الأوربي، واختلق أشياء من هذا القبيل توجب النفرة من الحكومة ورؤسائها فوجد من أولئك الرعاع الساذج آذانا صاغية وقلوبا قابلة لما يبذر فيها من البغض والعداوة للسلطان ورجال دولته.

وفي عام واحد وعشرين دخل مدينة فاس يتجسس الأخبار ويتطلع على الأحوال، ولقي بعض من له به معرفة وصداقة فعرفه بأن الملأ يأتمرون به وأن في ظهوره بالمدينة خطرًا، فخرج لقبيلة الحياينة حاملا على أتان كتبا وأوراقا متلاشية، فصادف بالقبيلة المذكورة موسم أبي عبد الله محمد ـ فتحا ـ ابن الحسن الجاناتي معمورا بجموع أعيان القبائل الزناتية من غياثة والتسول والبرانيس وغيرهم، فأخذ ينشر بينهم معايب الدولة ورؤسائها ويحبب لهم الخروج عليها، ورفض طاعة المخزن والسلطان ويرمي الجميع بالعار والشنار ويلصق بهم ما هم برآء منه.

فوجد من بسطائهم من اتبعه ونقل أقواله الكاذبة، ونشرها في الآفاق الشاسعة، فصادفت قلوبا خاوية، فتمكنت فيها العداوة والبغضاء للمخزن ورجاله وأصبحوا يسعون جهدهم وطاقتهم في الانتقام من السلطان وأرباب دولته، ويرون أن الخروج عليه وخلع ربقة طاعته من أعناقهم قربة وطاعة لله تعالى وخدمة للدين والوطن، ثم بعد الموسم انتقل لجبل غياثة ونزل على أهل الطاهر منهم.

وكان لهذا المعتدي الأثيم معرفة بفنون من السحر أضل بها كثيرا من الغوغاء، وصار يدعي أنه هو المولى محمد نجل السلطان المقدس مولانا الحسن وصنو السلطان المولى عبد العزيز، وأنه إنما يتستر باسم غيره خوفا على نفسه ممن استولى على ملك والده واستبد به واستعبد الرعية التي أمر الله السلطان بحمايتها ورعايتها والذب عنها والسعي وراء مصالحها، واشتغل ببيع دينه بدنياه، ومال كل الميل لشهواته ولذاته وتتبع أغراضه الشخصية، وفتح باب كنز زوره وبهتانه، وزعم

أَن قسطاس العـدل لا يقوم إلا على يده، وأنه قام يطلـب ملك أبيه إذ هو أحق به من غيره.

وبذلك ازداد مكانة في قلوب الرعـاع والذين لا يعلمون، وقـوي استـيلاؤه على بعض سخفة العقول ومن في قلبه مرض من طاعة المخزن، فالتفت عليه أولا سفهـاء تلك القبيلة وبايعـوه على نصرة الدين، ولما فشا أمـره أَهداه بعض أشراف تلك القبائل فـرسا من عتاق الخيل وخـباء وصار يكثر في كل مجـتمع الثناء عليه فاعتز الأعيان بذلك، وتهافتوا عليه، وإذا أراد الله أمرًا هيأ أسبابه.

ولما رأى الزنيم إقـبال الناس عليه وحـصولهم في شـبكة تدجيله وشـعوذته وتيقن أن أفئدتهم هواء، أَخذ عليهم المواثيق والعـهود على تعزيزه ونصره وحمايته من كل من يرومـه بسوء، فـحـالفوه على أن لا يخـالفـوه وأن يضحـوا أنفسـهم وأموالهم وأولادهم دونه شأْن ضعفاء الأحلام سـخفة العقول المتمسكين بأذيال كل دجال أفاك.

ولما حصل على ضالته المنشودة من الاستيلاء على عقولهم وتيقن بصلاح ما بذر في قلوب أولئك الأغـبيـاء الأغمـار من التـمرد عن طاعـة المخزن والعـداوة والبغضاء له ولسائر أتباعه والمنتمين إليه، وكان من جملة من ركن إليه وقام بدعوته وتسابق إلى الإعلان بنصرته قبيلة غياثة، ولما تمت له البـيعة بها تهافت عليه زعماء تلك النواحي من التسول والبرانيس وصنهـاجة ومن جاورهم، فطير الإعلام بذلك عاملها وهو إذ ذاك الحـاج عبد السلام الزمراني للحضـرة السلطانية، وطلب إمداده بقوة عـسكرية يبـادره بها قبل اضـطرام نار فتنتـه وتفاحش ضـرره، فقوبل طـلبه بالرفض ولم يرفع لمقـاله رأْس، وأُهمل الثـائر حتى اسـتفـحل أمره ونسلت إليـه سماسرة الفتن والمتمردون من كل حدب وصوب.

مولاي الكبير نجل السلطان مولانا الحسن رحمه الله

فعند ذلك جهز له السلطان جيشا عـرمرما يرأسه صنوه مولاي الكبير ووجه له به، فنزلت المحلة بإزاء عين القـدح من بلاد الهبـارجة، وما اسـتقـر بهم الثوى حتى هجمت عليـهم محال الزنيم الفتـان صبيحة يوم الثـلاثاء وكان من دعاته في سائر حـروبه استـقبال المحلة التي يروم قـتالهـا يوم الاثنين وابتداءها بالقـتال يوم الثلاثاء، كذا أَخبرني من حضر جميع معاركه فانهزمت جيوشه أمام الجنود المخزنية هزيمة شنيعة، وأسر منه خـمسة أنفار وقطعت سبعـة رءوس ووجه بالكل للحضرة السلطانية بفاس.

ولما اتصل الخبر بذلك لفاس فرح الناس واستبشروا، وظنوا أن الأمر قد تم، فأصدرت الأوامر لمـولاي عبد السلام الأمراني الذي كان نازلا بجـيش كثيف ببني مسارة بالإتيان بما مـعه من الجيوش والتخييم بها مع مـولاي الكبير المذكور باوطى بوعبان ونهض السلطان لمراكش.

ثم في يوم السبت من رمضان ساقت المحلة لهم مقتفية إثر الفتان بجبل غياثة من ناحية قصـبة بني مطير فانهزمت المحال المخزنيـة هزيمة لم تعهد قبل، ولما علم السلطان بذلك رجع من وجهـته ودخل فاسا وعقـد لسيدي محـمد الأمراني على جيش جـرار من العساكر الأبـطال، وأمره باللحوق بالمحلة التي هزمت، ثم عـقد لعامله عـيسى بن عمـر العبدي على جـيش من المحال الحوزية له بال وألحـقه بهم أيضا، ولما لحـقت المحلتان الأخيرتان بالمحلة الأولـى اتفق رأيهم على النهوض من أوطى بوعبان والـتخييم على قبـيلة التسول، حيث لـم يتمحض للمحـال المخزنية منهم صداقة ولا عداوة قالوا: إذا نزلنا عليهم نقـدمهم أمامنا لقتال الفتان، وبذلك يظهر ما تكن صدورهم فإن قاتلوه ضممناهم إلينا، وإِلاّ ابتدأناهم بالقتال، فنهضوا ونزلوا بمحـل يسـمي قـعـدة الأرانيب علي رأس وادي اللبن، وكـان ذالك يوم الأربعاء، ثم وجـهوا للتسول يـأتون إليهم مرارا فلم تقع منهم إجـابة، فعند ذلك

صمـمت المحال المخـزنية على محـاربتهم، ونهـضت إليهم يوم السـبت، وكانت الحرب بينهم سجالا في ذلك اليوم ثم رجعت المحال لمحل نزولها.

وفي عشـية يوم الأحـد ورد الفتان علي التـسول وقابل الجـند المخزني، ثم أصدر أوامره لقـبية الحايينة بمناوشتهـا القتال مع المحال السلطانية، فـإذا ساقت إليه يأتون هم من خلفـهم ويحولون بينها وبين الأخـبية والأمـتعة فـيهجـم عليهم هو وجنودة، فإذا انهـزموا يجدون الحياينـة من خلفهم فلا يجدون خـلاصا، وإذا كان العكس وتقدمـوا يقع الطعن والضرب فيـهم من ورائهم فيفـشلوا وتذهب ريحهم على كلا الأمرين.

وفي يوم الاثنين مر المارق الفـتان أمام المحـال المخزنية كـالمتفرج تقـاد خلفه تسعـة من عتاق الخـيل مسرجـة فرمتـة المحال المخزنيـة ببعض قنابلهـا فلم يلتفت لذلك.

وفي يوم الثلاثاء بدأت المـناوشة بين الجيـشين مع الزوال، ثم اشتبك القـتال وارتبك ودام إلى غروب الشمس، وكانت الكرة على المحال المخزنية وتشتتت شذر مذر، ودخلت فـاسا مهزومـة شر هزيمة، جلها حـفاة عراة، واستـولى الثائر على الأسلحة و الخـيام والمئونة والدواب، وكـان هذا الحادث المحزن في رمـضان، ولما دخلوا فـاسا علـى الصفـة المذكـورة عظم المصاب ووقـع أهل الديوان الملوكي في حيص بيص، ثم جـهزوا محلة أخرى وأمـروها بالتخيـيم بالمحل المعروف بالمطافي قرب وادي سبو، من قـبيلة أولاد جامع، وخيمت أحزاب الفـتان على ضفة وادي ايناون بثـلاثاء النخيلة، وفي يوم الخـميس ساقت إليـه المحال المخـزنية فـانكسرت جموعه وترك جل مـا كان أخذ من الحال المخزنية في الهـزيمة قبل، وفر نحو عين مـديونة، وهجم على المحلة المخـزنية التـي كانت منتظمـة من الشـراردة وشراكـة فأوقعت به فهرب وترك موتى أحزابه صرعى فريسة للذئاب والغربان

ومن الغد اقتفت المحال أثره بعين مديونة فمـزقت جموعه الباغية كل ممزق، وبعد ثلاثة أيام أعادت المحلة السلطانية السوقة لهوارة الحجر فأوقعت بهم وأزاقتهم أليم النكال والنكاد.

ثم بعد هذا حشد وزير الحربية المهـدى المنبهى جنوداً جرارة تنتظم من القبائ المغربيـة من أقصى بلاد السـوس وتافيلات إلي حـضرة فاس وترأسـها هو ورئيس المشور القـائد إدريس بن يعيش، وتوجها بهـا لمدينة تازا التي اتخذها الفتـان محل كرسي إمـارتة، وخطب به علي منابرها باسم مولاي محـمد الحسن، ولما خـيمت تلك الجنود المجندة التي تربو علي السبعين ألف مقاتل بوادي الحضر هجمت عليها التسول والبرانيس شـيعة الفتان ليلا فردتهم المحال الخزنيـة ناكصين علي الأعقاب، ولما أصبح الـصباح اقـتفت آثارهم وأخـذت منهم المساجين وطردتهم طـرد الرعاء للذئاب.

ودخل الجنود المخزنيـة مدينة تازا عنوة وفعـلت بالمستضـعفين من أهل البلد الأفعـال التي تخجل منهـا المروءة ولا ترضاها الإنسـانية، فـقد افتـضت الأبكار. وهدمت الديار، وذلك في شهر صفر الخير سنة ١٣٢١.

وكان دخـول المنبهـي المذكور بجنودة تازا بمسـاعدة الشـيخ أبي هاشم المدني الوركيني السملالي الحسني المعتمد عند أولئـك القبائل النافذ الكلمة فيها ولكنه لم يتخذ الاحتـياطات اللازمة للخروج بعد الدخول، وفاته أن يسلك مع المسـتضعفين من أهل تازا مسلك اللين والمجاملة فكان ما سيمر بك بعضه.

ثم بعد دخـول تازا رجع المنبهي الذي كان يرأس هذه المحـال مع ابن يعيش لفاس والفتان إذ ذاك بوجـدة كان قد احتلها بدون قتـال في ربيع النبوي عام واحد وعشرين وثلاثمائة وألف حيث إن عاملها كان ملتجئا بمغنية.

وذلك أنه لما ظهر أمـر أبي حصيرة عـبد القادر العتـيكي اليزناسني الذي ثار بالمقام - مـحل بالظهراء - وزعم أنه الولي عبد الـعزيز السلطان هرب من لوندرة

وحج وجاء يعين أخاه مولاي محمد (أبا حمارة) عقد السلطان المزكور لعمه مولاي عرفة علي شرذمة وأعطاه مالا ووجهـه لتجهيز جيش من العرب وبربر بني يزنانس محافظة علي وجدة من أبي حصيرة المذكور.

ولما اجتمع الجـيش توجه عامل وجدة أحمد بن كـروم المكناسي الجبوري به إلى برديل قرب دار البشير ومسعود، وبمجرد ما أقبل عليه أبو حصيرة انهزم ورجع إلى وجدة فحمل منهـا ما يعز عليه والتجأ إلى مغنية هو ومـولاي عرفة فاقبل أبو حمـارة من الريف بعد طرده لسـيدي محـمد الأمراني من جـنادة وسلوان واحتل وجدة وبويع لـه بها وخطب به على منابرها باسم مـولاي محـمد وهيـأ بها لوازم الإمارة من صيوان ومظلة وأتباع وأرباب الخدمات الخصوصية، وبينما هو يهيئ هذه التراتيب إذ بلغه خبر دخول عسكر المخزن مدينة تازا فسقط في يده.

وبينما هو يهيـئي أسباب الانقلاب إلى المغـرب اذ وصلت لحدود وجدة من طريق الجزائر هيئة من حكومة المخزن مؤلفـة من الحاجب أحمد الركينة بصفة كونة رئيسا علي تلك المحال المخزنية والقائد عبـد الرحمن بن عبد الصادق الريفي بصفة كونة مـعينا ومسـتشارا، فـنزلوا بمغنية وجعلوا يخـابرون رؤساء القـبائل وأعيـانها ويحبذون إليـهم الرجوع عن غيهم، وبسب مـا نثروه من الدرهم والدينار أمكنهم استجلاب رؤسـاء قبائل آنكاد وترجيعهم لطاعـة السلطان والبراءة من الدعي الثائر واسترجعوا مدينة وجدة وطردوا عنها حمية الثائر وجعلوها مركز أعمالهم.

ثم إن ابن عبدالله الصادق المزكور دس للركينة عند السلطان ما أوجب عزله عن رياسة الحال واسترجاعه لفاس وإسناد الأمر في ذلك للداس.

ولما بقي الثـائر مع من بقي معـضدا له مـن اللقطاء السقطاء بين ناريـن أكد العزم إلى الجهـة الغربية وقصد تازا، فبيـنما هو في الطريق إذ وافاه الطيب بن أبى عمامة في جمـاعة من ذويه وفي معيته عبد المالك بن عـبد القادر بن محيي الدين

الذي جاء لتلك النواحي من فجيج يقصد ترويض النفس والسياحة ونزل على أبي عمامة.

فلما ظهر هذا الثائر اشتاقت نفسه أن يطلع على كهنه على عادة رجال الحرب فتقوي بهم ونزل ماوية ولما قرب من قصبة مسون من أرض هوارة لقيته مقدمة جيش تازا التي كان يرأسها القائد المدني ابن محمد الأجلاوي، وكان قد أنزل بالقصبة المزكورة حامية من الجيش تحت رياسة القائد عبد الملك المتوكي فوقع بين الفريقين معارك أصيب فيها الزنيم برصاصة أعجزته عن القيام والقعود ففرَّ به أنصاره جريحا لقبيلة البرانيس، وعسكروا بوادي الأربعاء من بني فراسن من التسول في أوعار وحصن حصين، ودام القتال بين أشياعه والمحلة المخزنية بتازا وانقطع خط الرجعة بين من بتازا وأوطي بو عبان إلى أن دخلت سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وألف واندمل جرح المارق الفتان ودخل تازا من غير مقاوم ولا معارض.

ثم إنه لما كان خرج الفتان من وجدة عمرها الجيش السلطاني الذي كان بمغنية مع فرقة عسكرية وجهت مددا من فاس على طريق طنجة ومنها نزلت بالغزوات ثم سعيدة عجرد ثم وجدة من غير قتال أيضا وذلك في ربيع الثاني عام ١٣٢١واحد وعشرين.

ولما ضاق المتسع بمن بتازا من الجنود المخزنية وذاقوا بسبب ذلك من العذاب ألوانا وكابدوا من الأهوال والخصاصة، وعدم القوت ما تحدثت به الركبان، وتيقنوا أن الفئة الباغية أجمعوا أمرهم وصمموا علي الأخذ بثأرهم منهم فيما فعلوه بتازا من الأعمال الوحشبة، طيروا الإعلام للسلطان بما وقعوا فيه وطلبوا منه أن يمدهم بمدد يخلصهم من الورطة التي ورطوا أنفسهم فيها، فرأى أنه لا بد له من التوجه لإنقاذهم بنفسه فحشد الجنود من الأغوار والنجود، وأفاض فيها العدة والمال، وعزز تلك الجنود بعساكره الوافرة وسار إلى أن خيم ببلاد الحياينة وهناك انضم إليه الجيش السابق الذي كان بأوطى بوعبان.

ثم نهض إلى قبيلة التسول فتفرقت أتباع المتمرد الزنيم فى وعر تلك الجبال ورموا بالقنابل المحرقة وشدد عليهم فى الحصار، ولكن لم يمكن اجتثاث أصل عيثهم بالكلية حيث حان إبان[1] البرد والمطر، ورأى الأمير أن تمادى جيوشه على الحصار فيه أعظم خطر، انقلب إلى فاس وكتب لإيالته بشرح أسباب أوبته. ودونك لفظ ما كتب به بعد الحمدلة والصلاة.

وبعد، فقد كان الغرض من نهوض ركابنا الشريف هو القيام بما أوجبه الله من إخماد فتنة المفسدين، وتربية قبيلة التسول وأشكالهم المعتدين، وقد خيمت جيوشنا السعيدة على أوديتهم وهضابهم، وخفقت بنودنا المنصورة على جبالهم وشعابهم، ونحن نحاول استرجاعهم من الغى إلى الرشاد، ونسترعى عليهم قبل أن يعمهم من الهلاك ما لا يمكنهم معه استنجاد، وكررنا عليهم زحف الصوكات من جهات متعددة، وأشهدناهم أثر سطوة الله المتجددة، وضيقنا عليهم المذاهب، حتى أوهنهم الحصار فى كهوف الشواهق ومغارات المسارب، وفى كل صوكة يقع فيهم عدد من الجرحى والقتلى، وتبلغ فيهم العقوبة مبلغا يزيدهم محنة وهولا ولما كان سبب تماديهم على ما هم فيه من الضيق والمحنة هو استعظامهم لما فرط منهم من الشقاق والفتنة، حتى عدوا ذلك من الذنوب التى لا تسلم من عاقبتها عواقبهم، ولم يعتبروا أن المقصود عندنا هو استرشادهم لما تصلح به أحوالهم، وتتطهر به عقائدهم.

ورأينا استمرار الحرب عليهم يفضى بهم إلى عموم الهلاك والتدمير، مع أن المراد هو إنقاذهم من مصارع الضلال بتربية واسترشاد وتحذير، وتحققنا ببقاء الفاسد الفتان فى حكم العدم، من الجرح الذى لم يطق معه من تحريك يد ولا قدم.

وحل مع هذا إبان الشتاء الذى أشفقنا منه على المسلمين لاضطرارهم إلى

(١) إبان الشيء: أوانه.

حراثة أقواتـهم واقتناء معيـشتهم وضروریاتهم، أمـرنا محلتنا السعيـدة التی كانت مخـيمة بتـازا للتوجه إلى نواحی وجـدة وآنكاد، وتكميل الغـرض بها هنالك فی حسم مواد، ورددنا وجهتنا السعيدة لمحروسة فاس، مصحوبين بعناية الله التی هی عمدة التدبير وجنة الاحـترس. ريثما نجدد تقويم الحركة والاسـتعداد، ونترقب ما يظهر من أحوال هؤلاء الأوغاد، فـإن أراد الله بهم خيرا وتابوا وأنابوا فذاك، وإلا فننهض لهم فی الإبان الذی يقتضيه بما لا قـبل لهم بحول الله، وأعلمناكم لتعرفوا حقـيقـة الواقع وتأخذوا حظكم مـن فرح الأوبة فی عناية الله التی ليس لـها من دافع، ونسأله سبحانه أن يحتسب اجتهادنا فی حياطة دائرة النظام والدين، إنه ولی التدبير والمستعـين والمعين، والسلام فی فاتح شعبان عام واحـد وعشرين وثلاثمائة وألف.

أما المحال التی كانت بتازا فقد أصدر السـلطان أمره إليها بعد رجوعه لفاس بالذهاب لوجدة، وبعد رجوع السلطان لفاس ردت أحزاب الفتـان وجهتها للمحال الحالة بوجدة وذلك عام اثنين وعشرين.

ولما وصلها نزل بلاد بنی بوزكـو فرقة من زناتة، وبعث إليه رئيسـهم حمادة البوزكاوی بالطاعة، فطلب منه مصاهرتة علی ابنتـه، فأجابه لذلك واقترح عليه أن يوجه أعيان القواد والوزراء لمصاحبة العـروس، فوجه الثائر من أعيان حزبه الخاسر نحو السبعين.

ولما دخلوا دار الرئيس المـذكور هش وبـش وبالغ فی الإكـرام وبسط الموائد وعدد الأطعمة فأكلوا وشربوا وانبسطوا، ثم عرض عليهم دخول الحمام وأنه أحماه وهيأه لهم فتجـردوا من سلاحهم ودخلوا الحمام زرافات فاستحـال حماما، فكانوا طعمـه لحد سيفـه، ثم لحق الرئيس حمادة من ليلتـه فی أهله وأولاده بمدينة وجدة ودخل فی عموم المحلة المخزنية بها.

ثم فارق الطيب البوشيخى أبا حمارة واستأذن معتمد الدولة بوجدة ابن الصادق المذكور فى اللحوق به، فأذن له، وتوجه إليه وفى معيته رفيقه الأمير عبد المالك فى طائفة من فرسانه، وكان منهم فى خدمة السلطان وحاربه طائفة الفتان، ما سارت به الركبان، رغما عن كون أبى عمامة والد الطيب لم يرض عن صنع ولده وظل مواليا للفتان بسائر قبيله وأتباعه فكان عمدته فى حروبه، ومساعده فيما ظهر بعد ذلك من الخطوب وقسيمه فى ذنوبه، ثم وقع الخلاف والنكران، بين أبى عمامة والفتان، ففارقه أبو عمامة وأبعد النجعة بقومه ونزل بأطرف الظهرة.

هذا ولما اتصل خبر مذبحة دار البوزكاوى باثائر قصد محل وقوعها وضربه وعاث فيه، ثم نزل على وجدة وشب القتال بينه وبين المحلة التى بها، وكان الحرب سجالا ودام متواصلا بقية السنة وجزءا من سنة ثلاث وعشرين، ثم رجع الثائر لقصبة سلوان وخرجت المحال من وجدة وذهبت للمحل المعروف بالجزيرة قرب مليلة.

ثم رجع ركن الفساد أبو حمارة لبلاد الريف مكسور الجناح، فى عناء وجناح، ثم رجع لنواحى فاس وتازا تارة فى انطفاء واخرى فى انضرام والأموال الباهظة تصرفها الدولة فى سبيله، حتى نضب ما فى خزائن الدولة وفرغت أفئدة بيوت أموالها واضطرت للاستقراض من دول أوروبا بعد ثرواتها الضافية، واقترضت منهم فعلا مرات متعددة والرؤساء النهاب يملئون جيوبهم وأوعيتهم من الآلاف المؤلفة من الدراهم والدنانير إلى زمن الدولة الحفيظية.

ثم أفاق من نومته، وتوهم أنه آن زمان بلوغ أمنيته، فنهض إلى بلاد الحياينة، وصار يشن الغارة المرة بعد الأخرى على القبائل المجاورة لفاس إلى أن بلغ لأولاد الحاج، فنظم السلطان المولى عبد الحفيظ جنودا مجندة من أبطال ذوى حزم وعزم ووجهها إليه، فلما التقى الجمعان كانت النتيجة بتبديد جموعه

الفتان أبو حمارة الجيلاني الزرهوني في قفصه

والاستيلاء على أمـواله وذخائرة وغنيمة عياله وعبيـده ثم القبض عليه و الإتيان به حقيراً مهانا.

وكان الظفر به بمدشر أولاد كنون من قبيلة بنى مسارة فى زريبة السيد عمران عشيـة يوم الأحد خامس من شعبان عـام سبعة وعشـرين وثلاثمائة وألف، موافق ثانى عشرى غـشت سنة تسع وتسعمائة وألف،ودخل لفـاس فى قفص من حديد على جمل ضحى يوم الثلاثاء المتصل الولاء بيوم القبض عليه.

وكان الذى تولى القبـض عليه عسكرى من قبيلة الشـاوية من طابور بوعودة يسمى الـعشى، ولما ظفر بـه نزع له المفاتيح التى كـانت بطوقه والخـاتم الذى كان بإصبعه ثم تسلط عليه النهاب والأوباش وسلبوه من كل ما يطلق عليه شئ وتركوه مكشـوف العورة وأذاقوه ألـيم النكال، ولولا أن القائد الناجم كـفهم عنه لأتـلفوا مهجته، هكذا أخبرنى من حضر الواقعة وعاين ما ذكر من الثقات الأثبات.

ولما مثل بين يدى السلطان مولاى عبد الحفيظ أظهر من التجلد و الوقاحة ما لا مزيد عليـه، ثم بنيت له دكة بمشور باب البوجـات، ووضع عليه قفصـه وشُهِرَ أيامًا حتى رآه الحاضر والباد، وأقيمت عليه الفرجات والأفراح فى سائر البلاد، ثم بعد ذلك أدخل للقـصور السلطانيـة بفاس، وكان ذلك آخـر العهد به، وبهـا قتل تنفيذا للحكم الشرعى المتعين فى شأنه الذى كان التخـيير فى كيفيته للإمام، فأعدم رمـيا بالرصـاص فى أصح الروايات خـلافا لما يشـيـعه بعض ذوى الأغـراض من الأوروبيين وغـيرهم، من أنه طرح للأسود التى كـانت بالقصر السلطانى فـمزقت شلوه.

ولما لم يشهـر قتله أمام الجمـهور صار بعض الحمـقى يعتقدون عـدم موته، ولاسيما خاصته كصهره محمد بن شلال الريفى القلعى، فإنه كان يجزم بعدم موته ورجوعه يوما مـا لسطوته، فحمله اعتقاده الفاسـد على منع أخته التى كانت تحت

الثائر المذكور من التـزوج بغيره لئلا يرجع ويجدها متزوجـة فنعوذ بالله من الجهل والغباوة.

ثورة الريسولى:

ومن ذلك ثورة أبى العـباس أحـمد الريسـولى الذى كان فى أول أمـره من اللصوص النهاب قطاع الطريق بالعقبة الحمراء وما والاها.

وقـد اتفق أن كـان بين النائب السلطانـى بطنجـة الحاج مـحـمـد الطريس التطوانى، وبين عامل طنجة الحاج عبد الرحـمن بن عبد الصادق منافسة وشحناء، فوشى الطريس بالعامل الذكور للسلطان زاعما أنه المغرى للريسولى على العيث فى الطرقات وأنه يشاطره جـميع ما سلب ونهب، وذلك محض زور وافتـراء فأصدر السلطان عند ذلك بالعامل أمرا باتا بالقبض على اللص المذكور وإلا فيكون مسئولا ولما بلغه هذا الكتاب ضاق به المتسع وصـار يضرب أخماسا فى أسداس، ولما رأى أن لا ملجأ ولا منجى له إلا بنصب حبال المكر والخديعة، أوعز لبعض الخاصة من أصحاب الريـسولى بأنه يريد أن يرشح المذكور شيـخا ولكن لابد من أن يدفع عن تسنم ذلك المنصب مبلغا من الدراهم لا يقل عن ثلاثين ألف بسيطة حسنية، فنشط الخدن لتولية صاحبه واسـتعظم العدة وصار يطلب من العامل الحط من ذلك القدر وهو يشدد ويظـهر الإباية من أن يضع ولو شـيئا مـا، ثم ذهب الصديق لصـديقه وأخـبره بما راج بينه وبيـن العامل فى شـأنه فـارتاح لذلك، وأجاب لأداء العـدة المذكورة، وإنما يطلب دفـعها مقسطة، ثم تأبط ثلاثة آلاف بسـيطة حسنية ليقـدمها بين يدى نجواه للعامل، وتوجه مع الواسطة.

فلما أخبر العامل بما ذكر أمر بإنزال الريسولى بمحل معدل الضيوف الأعيان، وكلف من يذهب إليه بالطعام والشـراب وأظهر الاعتناء الزائد ودخل هو لداره مع الواسطة.

ثم نادى بعد الأبطال من خاصة أنواعه يسمى عبد السلام الأشخر وقال له: إنى أريد القبض على الريسولى، وأنه لا يقوم بهذه المأمورية غيرك، وإننى لم أفضى بهذا السر لبشر من خلق الله سواك، ولا يقبل منك عذر فيه بحال، فإن فهت بهذا أو توانيت فيه فإنك تقبض مكانه وتذوق ألم طويل المحن، فأجاب الشرطى بالسمع والطاعة، واختار من أصحابه من يعتمد على إخلاصه وشجاعته وأفضى إليه بما شافهه به العامل، وقال له: إنى إذا حضر الطعام وناولته الطست ومد يده للغسل أسقط عليه وأضمه إلى فإذا رأيتنى فعلت ذلك أدركنى وأعنى فيه فتوافقا على ذلك.

ولما مد الشرطى يده فى المسجون قال له: إنه مسجون السلطان فمد يده لجنبه يريد سل سكين كان متأبطا له فنزعه العون الآخر منه وأوثقوا يديه خلف ظهره، وذهبوا به للسجن، وجعلوا عليه السلاسل والأغلال ثم أعلموا العامل بالواقع، فارتاح بذلك وسر به، ثم وجه به سجينا لثغر الصويرة.

وبعد مدة جاء أقاربه وبنو عمه وتطارحوا على الطريس فى الشفاعة فيه فأسعف رغبتهم وتشفع فيه للسطان فسرح، ولما رجع لمحله ضاق المتسع بالعامل وشيعته فطلب الانتقال فنقل لعمالة فاس.

وعاث الريسولى وزاد عتوا وفسادا وصار لا يرقب فى إنسان إلا ولا ذمة، كم أباد من عائلات وأراق من دماء فى سبيل شهواته وأغراضه الشخصية! وأوقد من فتن حبا فى الرياسة حتى أهلك البلاد والعباد وأسر (القرونيل مكليل) الحراب الشهير فى الدولتين الحسينة والعزيزية ودعا بالملك لنفسه وخطب به على منابر تازروت وما والاها، والتفت حوله الصعاليك وسخفاء العقول وسماسرة الفتن اللذين حبب إليهم تقدير الراحة والسلم العام وصار آونة يجنح للإسبان وأخرى يكون عليهم، وقد تفننت الجرائد والمجلات فى نشر تفاصيل أخباره داخل الإيالة المغربية وخارجها فلا حاجة بنا لجلب ذلك وتتبع وقائعه.

ولم يزل على طيشه وتمرد إلى أن ابتلى بداء الاسستقاء واستفحل فيه، وأعيا الأطباء علاجه وصار كالزق يمج منه الماء المنتن مجا حتى كان يضطر إلى تغيير ثيابه وفراسة فى اليوم مرات، ولا يمكن تحويله من محل إلى آخر إلا بجعله فى إزار يحمل فيه ودام على ذلك ستة عشر شهرا وهو مع ذلك مسموع الكلمة نافذ الأمر صحيح اللسان بذاء، لا يقيم لأحد وزنا.

ثم فى أوائل رجب عام ١٣٤٢ أحدق لفيف من الريفيين أشباه محمد بن عبد الكريم الريفى بداره بتازروت، ودخل عليه قوادهم وأشياخهم بعد أن دام البارود بينهم يوما وليلة، هلك فيه عدد عديد من الأنفس واتخذوا له محملا حملوه فيهم على عواتقهم إلى مرسى وادى (لو) ببنى سعيد على حد غمارة وركبوا به البحر وذهبوا به إلى آجدير، ثم أخرجوا عائلته وسائر نسائه من تازروت بكل احترام ووقار ووجهوا بهن لشفشاون.

وفى تاسع رمضان العام لبى داعى مولاه، وبعد ذلك نقلت عائلته من شفشاون إلى (سنادة) وبقيت هنالك إلى أن قامت قيامة ابن عبد الكريم فنقلت لتطوان، ولاذت به إلى الآن ولله فى خلقه شئون.

مقتل الدكتور موشان واحتلال وجدة:

ومن ذلك أيضا ثورة قتل الدكتور موشان الفرنسى بمراكش، وذلك كما قدمنا أن بموت المترجم وتسنم المناصب العليا غير مستحقيها ظهرت الأوابد واختلفت العقائد، وتطلعت رءوس كأنها رءوس الشياطين، وتغير نظام الحكومة بالمرة، ووقع الانقلاب الفجائى فى هيئتها، ولم يجد السلطان فى دائرته رجلا يعتمد عليه ولا بطلا يكل الأمر إليه، فجرت الأمور على غير المراد، وإذا أبرمت الأقدار الإلهية أمرا فليس له من راد، وعادت الفتنة الحوزية لشبابها، وكثر القتل والنهب والسلب بالطرقات، واذداد ذلك فشوا ونموا بمبارحة سلطان المولى عبد

العزيز للديار المراكشية ومقامه بالعاصمة الفاسية وذلك عام تسع عشر وثلاثمائة وألف ١٣١٩.

وتعدد رفع الشكايات للحضرة السلطانية بما لحق الناس من الأضرار وتورطوا فيه من الأخطار، بسبب سلب الأمن وتكاثف العيث فى الطرقات، وقتل القوى للضعيف، فألقيت شكايتهم فى زوايا الإهمال وكتمها أولو الأمر من الديوان المخزنى عن السلطان واشتغلوا بلذاتهم وشهواتهم ولم يرفعوا لما يرفع إليهم ويقرر لديهم رأسا، ولا قرأوا لعاقبته الوخيمة حسبانا فكانت النتيجة فراغ الأفئدة من خوف سطوة السلطان وشديد بأسه ومهابة صولته وبطشه وتلاشى نفوذ ولاة أمره من قواد وعمال وخصوصا بمراكش، وبقى الناس كالفوضى لا سراة لهم.

فاتفق أن ركب الطبيب المذكور علم دولته بباب محله بعرصة موسى، وذلك يوم السبت رابع صفر عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف على ما حقق لى بعض الأعلام من عدول مراكش، والذى قرأته فى بعض التقاييد أن ذلك يوم الثلاثاء خامس صفر المذكور فى الساعة الواحدة بعد الزوال، وفى الحين تسارع إليه همج الرعاع وقتلوه بالضرب والحجارة والعصى وتركوا جثته ملقاة على الأرض بباب داره، وانتشروا فى أزقة المدينة يسرقون ويخطفون، واغتنم اللصوص النهابون تلك الفرصة لما علموا من أن من فرص اللص ضجة السوق والمجانين من الأوباش، وكثيرا ما هم يضحكون ويمرحون، ومن علم أن الفتنة أشد من القتل وتيقن المثال وذلك أول شرر لا ينطفىء وقع فى المغرب بكى واستبكى وتكلم وتألم.

ثم لما اتصل بالعامل هذا الخبر المحزن والحادث الجلل وهو إذ ذاك الحاج عبد السلام الورزازى قام من حينه يبكى بكاء الثكلى، ووجه قوة كافية من أعوانه لتسكين روعة البلد، وذهب هو بنفسه فى لفيف من أعوانه لمحل القتيل، ووقف

عليه حتى جهز ووضع فى تابوته وحمل لمضجعه، وحضر فى معية العامل المذكور من كان بمراكش من الأوروبيين .

ثم فى يوم الجمعة الرابع عشر من صفـر المذكور بقى احتلال وجدة من غير مقابلة ولا مشاغبة أخذا بثأر اقتيل وطلبا للإنصاف من الفعلة والفصال فيما لها من الحقوق والدعاوى غـير ما ذكر مما هو مسطور فى ظهيـر سلطانى خوطب به القائد عبد الرحمن بركاش وأعيان الصويرة ودونك لفظه:

الحمـد لله وحـده وصلى الله على سيـدنا ومولانا مـحمـد وآله ثم الطابع الشريف بداخله عبد العزيز بن الحسن الله وليه وبدائرته:

ومن تكن بـرسـول الله نصـرته إن تلقـه الاسـد فـى آجـامـهـا تجم

من يعتصم بك يا خير الورى شرفا اللـه حـافظـه من كـل منتـقم

«خديمنا الأرضى القائد عبد الرحمن بركاش وأعيان أهل الصويرة المحروسة بالله وفقكم الله وسلام عليـكم ورحمة الله ،وبعد فإن طبيـبا فرنسويا كان مقـيما بمراكش فركب علما بالمحل الذى هو به فتسـارع الرعاع إليه وقتلوه، ومن قبله كان جرح فرنسويا آخـر ببلاد تكنة، وكذلك فى طنجة كان قتل آخر من كـبراء فرنسا، وكذلك بفاس جرح آخر».

ولما بلغ ذلك الدولة الفرنسوية حصل لها انزعاج واغتاظت لذلك وها لها ما وقع من هذه الحوادث التى يؤدى إليـها طيش الرعاع الذين لا يعرفـون مزية الهدنة والسكينة، ولا يتـدبرون عواقب النزاع، ولا يـنظرون لما نكابده من حسن المهـادنة وسيـاسة الدفاع، مع أن ذلك لا حق له فيـه من جهة الشروط، وأن المخـزن قادر على رفع ما تشوشوا مـنه من غير ضرر منهم لصاحبة بطـريق الإنصاف، وحملها الغيظ على احتلال عسكرها بوجدة طـالبة الإنصاف، وقبض الحق فى هذه القضايا

و الفصال فيـما لها من الحقوق و الدعاوى وعلقت خروجـها من وجدة على إيقاع الفصال فى ذلك.

إذ حلولها مؤقت لأجل ما تطلبه من المعوضات لأجل ذلك وها نحن جادون فى مباشـرة وجوه الفصائل مـعها بما يقتضـيه الحق لها فى ذلك، ومجـتهدون فى ارتكاب العـلاج المخلص من ذلك، حتى يـخرج عـسكرها من وجدة بحـول الله ولأجل هذا كنا نحذركم ونحـذر غيركم من رعيتنا السـعيدة ونبالغ فى الاسـترعاء والإنذار خشية التورط فى مثل هذا، ونؤكـد عليهم فى إعلام جانبنا الشريف بكل ما تشوشـوا منه، ورفع أمره إلينا ليتـدارك على الوجه الأسلم من غير افـتيات ولا مديـد فى أحد، وعلى كل حـال فلا يأخـذكم هول ولا يروعكم تشويش، فـإننا بحول الله مهتمون بهذا الأمر، ومبالغـون فى معالجتة حتى يخرج بسلام، فليسكن جأشكم ويطمـئن بالكم، لأننا لا نألو جهـدا فى صيانتكم والدفـاع عنكم بأموالنا ورجالنا بحـول الله حالا واسـتقبـالا، كمل الله المراد، ربنا وآتنا مـا وعدتنا على رسلك ولا تخذنا يوم القـيامة إنك لا تخلف الميـعاد، والسلام فى ١٨ صفـر عام ١٣٢٥». انتهى. من أصله.

ثم بعـد مدة قـدمت على مراكش لجنة أوروبيـة بقصـد البحث فى السـبب الداعى لقتل ذلـك الطبيب ومن تولى قتلـه والحامل عليه، فـهيأ لهم عـامل البلد المذكور مـأدبة فاخرة، ولما أحضـر لهم الطعام امتنعـوا من الأكل، وقالوا إنما أتينا للمباحثة لا للمواكلة، فلم يزل يلين لهم القـول ويلاطفهم ويستعطفهم حتى أكلوا وزال ما بهم، ثم بعد الفراغ من الأكل بحثوا العامل عمـا ذكر بحثا مدققا، فحقق لهم أنه لا علم له بشيء ما أصلا حتى وقعت الواقعة.

وقد كـشف الغيب بعد ذلك أن الذى أغـرى على قتله هو رجل من الألمان كان قـاطنا بمراكش، له إلمام ببعض العلوم الإسلامـية، وكان كـثيرا ما يتـذاكر فى

تفسير القرآن ويتردد على العلماء ويحبب للمغفلين سيرة دولته، أوعز هذا الألمانى لبعض الأغبياء الساقطين أن الطبيب المذكور عازم على نصب الراية الفرنسية بمحله، وتلك دسيسة يدسها لهم، وحضهم على منعه من ذلك والتعرض له والقيام فى وجهه ولو أدى الحال إلى قتله فإنه لا ينتطح عليه عنزان.

ثم بعد مدة أمر السلطان بتوجيه ولد العامل المذكور صديقنا الفقيه البركة السيد محمد للمحاكمة بطنجة، ثم بعد أخذ ورد وبحث وتنقير اتضحت براءة العامل من كل تهمة ألصقت بجنبه فى قضية القتل، وأنه لا مسئولية عليه ولا على أحد من أولاده وعشيرته.

وبعد ذلك صدر الأمر بإلقاء القبض على المتهمين بالقتل فوقع القبض على خمسة عشر رجلا، وأودعوا سجن مراكش، ثم نقلوا لسجن الصويرة وذلك فى يوم السبت الخامس عشر من ربيع الثانى ثم نقلوا لسجن طنجة، ثم ردوا لسجن الصويرة بطلب من النائب الفرنسى بها حسبما وقع التصريح بذلك فى ظهير سلطانى، ودونك لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم:

«خديمنا الأرضى القائد عبد الرحمن بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فبعدما كان ورد لطنجة على يديك مساجين أهل مراكش المقبوضون فى قضية الطبيب موشان القتيل بمراكش، جاء نائب الفرنسيس فى ردهم للصويرة ليكون بحثهم بها على يد القنصل المكلف بالقضية، وقد اقتضت المصلحة المساعدة على ما ذكر، وأمرنا خديمنا النائب الحاج محمد الطريس بتوجيه المساجين المذكورين بحرا إليك صحبة من يعينهم لمصاحبتهم، ونأمرك أن تقبلهم وتختلى بهم بنفسك حتى تستوعب كلامهم وتستخرج ما فى بواطنهم لتكون على بصيرة ثم تدعهم السجن، وإذا كتب لك خديمنا المذكور بالتنبيه على ما تسلكه فى شأنهم بما يثبت أقدامهم عند مباحثاتهم، فنأمرك أن تجرى فى ذلك على ما تقتضيه المصلحة

مع الأخذ بالحزم والاحتياط ، وإذا طلب القنصل المذكور إحضارهم للبحث، فإن أمكن أن يكون بحثهم بمحضرك فهو أولى، وإلا فيكون بمحضر من يمكن حضوره من نوابك النبهاء ولا تحتاج لزيادة إيضاح فى بيان المقصود مما ذكر، والسلام فى ٨ رجب عام ١٣٢٥».

احتلال الدار البيضاء:

ومن ذلك واقعة الدار البيضاء التى هى من أعظم الوقائع الشنيعة المفتتة للكبد القاضية على قوى المغرب المادية والأدبية بالوهن والانقضاء، تلك الواقعة التى تنفس بها صبح الخطوب فى أعماق القلوب، قام بحمل أعباء طامتها الكبرى جهال رعاع الرعية وأخلاط الأوباش وسفهاء الأحلام، من سخفاء عقول قبيلة الشاوية الذين لا يتدبرون العواقب، ولا يعلمون أن الإنسان لا يحصد إلا ما بذر.

وذلك أن الدولة المخزنية المغربية لما انهد ركن سياستها المتين بموت صاحب الترجمة، فرزنت فيها البيادق ووسد الأمر لغير أهله، وصارت الرءوس أذنابا والأذناب رءوسا، وانفجرت براكين الاستبداد التى هى ثمرة الإفراط فى الضغط، وفشا ذلك فى الحواضر والبوادى وعم جميع البلاد، ونامت الصقور، وصرخت الديكة، وادعى الصعلوك أنه ابن جلا، وأينعت أغصان التشاجر والتنافس فى أفخاذ من قبيلة الشاوية المذكورة، وارتأت أن الخروج عن طاعة السلطان متجر ربيح، وتمكن فى قلبها حب البغى والعدوان، وجار القوى على الضعيف، وغدا الفساد فى كل آونة يزداد، ورؤساء الدولة لا يستطيعون لرتق ذلك الفتق حيلة ولا يهتدون سبيلا بل هم فى غمرة ساهون، وعن الأخذ الأحوط لاهون، إلى أن مدّ يد العداء بعض الرعاع من سماسرة الفتن الموقدين لنارها من جوار الدار البيضاء وبالأخص مديونة وأولاد زيان، كما عينهم ظهير سلطانى شريف دونك لفظه:

«خدامنا الأرضين أمناء الوضع بمرسى الدار البيضاء المحروسة بالله، وفقكم الله وسلاما عليكم ورحمة الله وبعد وصل كتابكم بشرح الواقع هنا كم من رعاع مديونة وأولاد زيان وأنكم قائمون على ساق فى ترتيب العسة لحراسة الديونات وخزائنها وصار بالبال، فقد بلغ ذلك لشريف علمنا وأمرنا فيه بالمتعين، ولتردوا البال لصيانة الديوانات والخزائن، والسلام فى ٢٧ جمادى الثانية عام ١٣٢٥».

وقد عاث المذكورون بأطرافها وقتلوا عددا من النصارى خارجها بسبب جلوس مراقب فرنسى مع أمناء مرسى الثغر المذكور للمراقبة على المداخيل المعينة لهم التى هى ستون فى المائة من مَدْخول المراسى كما ينبئ عن ذلك ظهير شريف عزيزى دونك نصه بعد الافتتاح.

«خدامنا الأرضين أمناء الموضوع بمرسى الدار البيضاء، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فنأمركم أن تكونوا تدفعون للأمين الطالب العربى بن كيران ما يتحصل لجلب المخزن فى مدخول الأربعين فى المائة السالمة له كل يوم بيومه، وأن تكونوا تعلمون جنابنا العالى بالله فى كل أسبوع بقدر ما حازه فيه وأن يكون ابتداء إجرائكم هذا العمل من يوم التاريخ الذى هو الثامن والعشرون من رمضان هذا، والسلام فى ٢٨رمضان عام ١٣٢٦».

وهذا القدر عليه كانت وقعت المصادقة من الجناب العزيزى والدولة المقرضة له دولة فرنسا، ولم يزل عتو أولئك الغوغاء يتفاحش حتى أوجس القنصل الفرنسى بالثغر المذكور فى نفسه خيفة اضطر بسببها إلى إنزال بعض عسكرهم من مركب حربى كان لهم هناك، فلما نزلوا تعرض لهم بعض أهل الطيش بالضرب، وجرحوا منهم كبيرا وخمسة أنفار من العسكر، على ما سيمر بك إيضاحه.

وكانت المدة التى وقع الاتفاق بين السلطان مولاى عبد العزيز وبين الدولة الفرنسية على جلوس أحد الفرنسيين مع أمناء الديوانة بصفة كونه مراقبا خمسة أعوام حسبما وقع التصريح بذلك فى ظهير عزيزى شريف دونك لفظه:

بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم:

«خـديمنا الأرضى القائد عـبد الرحـمن بركـاش وفقك الله وسـلام عليك ورحمة الله، وبعد فلأجل مصلحة تحـسين خدمة المرسى وزيادة الضبط فى عملها اقتضى نظرنا الشريف على وجه الاختيار تنـفيذ إجراء عمل المراقبة بالفعل على يد أرباب القرض الفرنسوى الجارى بجلوس أحد الأعـضاء منهم بالديوانة السعيدة مع أمنائها لمدة خمس سنين من تاريخ الشروع فى العـمل، وقد أصدرت شريف أمرنا للأمناء المذكورين بقبـوله للجلوس معهم وتمكينه من التصرف على مـقتضى ضابط خدمتـه وعليه فنأمرك بقبوله لذلك والـكون منه على بال وشد عضه فيـما يتوقف عليه من أمـور تكليفه الراجعـة لخدمة المرسى، وضبط جـميع أعمالهـا، والسلام فى ١٠ جمادى الأولى عام ١٣٢٥».

ثم ثار كمين الفتن ولم يزل شرر شره يتطاير إلى أن عمد ذات يوم لفيف من تلك القبيلة الباغية المتمردة لشاطئ البحر ،حيث يبنى المرفأ لمرسى ثغر الدار البيضاء الذى كـان وقع الاتفاق على بنـائه بين السلطان أبى فـارس عبـد العزيز وإحـدى الشركـات الفرنسـية، وذلك لما رأى الـسلطان أن من المصلحة العـائدة على بلاده وتوسيع نطاق تجارة رعيته وغيرها ممن يتجر بها من الدول الأجنبية الأوربية النازلين بإيالته، بناء المرفأ لتلك المرسى بناء نظاميـا على الطراز العصرى، وبكل أسف فإن القابض على زمـام إدارة الحكومة لم يتخـذ فيما رامـته الاحتيـاطات اللازمة لردع المفسدين وكسر شوكتهم بترشـيح رجال حنكتهم التجارب للوقوف على تنفيذ ذلك الأمر المهم كمـا يجب، بل عزلت باشا ذلك الثغـر الذى كان يعرف من أين تؤكل الكتف، وعينت خلفـا عنه أبا بكر بن بوزيد السلوى، فحقـد المنزوع وتجرد لإغراء إخوانه على إيقاد نيـران الفتن وتشويش راحة البلد فأجابوه لذلك، والبـاشا الجديد أخلد إلى العجز، وأظهر غاية الجبن، وأبان عن عدم لياقته وكفاءته لما رشح له.

ولما تم الاتفاق على الوجـه المذكور شرعت الشركة المذكـورة فى مد السكك الحديدية لسـير القطار المعـد لحمل الأنقاض اللازمـة للبناء رفقا بـالعملة وتسهـيلا عليهم فاتخذ أولئك الرعاع الأخساء مكايد توصلهم لتكسير ذلك القطار شأن العتاة الأغبـياء الذين يفـسدون فى الأرض ولا يصلحـون ،المقرون تدبيـرهم بتدمـيرهم وأعانهم على سوء فعلهم قرينهم اللعين.

ولما وقع القطار فى شبكـة مكرهم بجعلهم أحجـارا وأعوادا فى ممره انقلب وتكسر ومات بسبب ذلك تسـعة من العملة الفرنسيين وأسبـانيين وإيطاليين، فمن الفرنسيين سائق القطار وهو المسمى (ربات) ورئيس الخـدمة بمعدن الحجر ثم ذهبوا للمعدن وقتلوا من وجدوا به من العملة وذلك يوم الثلاثاء التاسع عشر من جمادى الثانية عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف موافق ٣٠من يوليو سنة ١٩٠٧.

ثم إن أولئك الهمج لم يقفوا بخبـثهم عند ذلك الحد بل دخلوا البلد ومدوا يد النهب والقتل وجاسوا خلال الديار والأسواق ،وعـززهم من استهوته الشياطين ممن هو على شاكلتـهم من العسكر المخزنى المنظم الذى كـان هنالك وأخلاط أهل البلد، فلم يتركوا بابا من أبواب الفحش إلا وطرقوه، ولا نهجا من مناهج الفسوق إلا سلكوه، نهبـوا الديار والدكاكين والأبناك والملاح وأوقدوا النار فى جـميع تلك الأمكنة، وبالأخص جهة باب الرخى، وذلك بعد نهب ما بها من أموال ومتمول، ودام القتل والهرج والمرج بالبلد ثلاثة أيام بلياليـها فعظم الخطب، واشتد الكرب، والولاة الذين بيـدهم السلطة المخزنيـة أغلقوا عليـهم أبواب بيوتهم ونامـوا وتركوا عيون العدا ساهرة.

ولما تلاطمت أمواج الفساد، واضطرمت نيران الفتن وماج الناس بعضهم فى بعض وبلغت القلوب الحناجـر، واختلط الحابل بالنابـل، وجهت الدولة الفرنسـية إحدى بوارجهـا المعدة للمياه المغربية المسـماة (كليلى عدد٦٦) حاملة لفرقـة حربية

لحراسة قنصليتها طبق ما أشرنا إليه تنتظم تلك الفرقة من ستة وستين جنديا، فأخبر القنصل الذى كان تم عامل البلد إذ ذاك وهو بوبكر بن زيد السلاوى المذكور بنزول الفرقة المذكورة للصدد الذكور وحذره من التعرض لها بسوء وأعلمه أنها إذا مست بسوء، فإن البارجة الفرنسية لابد من أن تضرب البلد فتكون العاقبة وخيمة.

فاستشار العامل المذكور فى ذلك مولاى الأمين بن الأمير مولانا عبد الرحمن بن هشام الخليفة السلطانى فى ذلك الحين هنالك، فأجابه بأنه لا دخل له فى صعود ولا هبوط، وإنما هو مكلف بحماية البلد من عيث فساد الشاوية، ثم جمع العامل المذكور بعض أعيان البلد وفاوضهم فى الأمر فأشاروا عليه بغض الطرف عنهم تحرزا من وقوعه فى ورطة المسئولية النى لا تحمد عقباها مع السلطان.

فاستحسن رأيهم الفاسد، ونظرهم الكليل الكاسد، فأمر أحد أعوانه المدعو البدوى بأن يأذن للمكلف بفتح باب مرسى الثغر قبل الوقت المعتاد لفتحه، والمكلف إذ ذاك المدعو محمد ـ فتحا ـ ابن القلوبى، فامتثل ما أمر به، ولما فتح الباب وجد القارب الحامل لتلك الفرقة على الشاطئ والعسكر شاكى السلاح فرام سد الباب فى وجهه ثم التفت أحد البوابين الذين كانوا هناك قيل لم يعرف وقيل هو محمد الحيانى المسفيوى لمن حوله من حرس وقال قوموا اضربوا على أنفسكم وأولادكم يا كلاب، فإن النصارى جاءت لأخذ بلادكم فقام بعض من لا يبصر رشده من الحمقى وأطلق بندقة، فى وجهه تلك الفرقة. ثم عزز فعلة المشئوم أحد المكلفين بحراسة الصقالة من رماة المدافع وهن محمد وشت - بفتح الواو وسكون الشين المعجمة والتاء المثناة - الحداد حرفة بكورة إذ كان العامل المذكور أوعز لهم ضرب تلك الدارعة، إذا هى ابتدأت الضرب.

فعند ذلك تراصت تلك الفرقة على صف واحد وأطلقت بنادقها على من

رام مقاومتها واقتحمت باب المرسى ودخلت البلد عنوة بعد أن تركت المبتدئين لها بالضرب صرعى، وجرح بعض الضباط منهم وهو الفسيان (بلاند) السمى باسمه الشارع الممتد من ضريح أبى الليوث إلى الباب المجاور للسقالة القديمة المقابل الآن للبستان العمومى الكائن بحومة أبى الحسن علال القروانى صاحب المزارة الشهيرة إلى الآن بذلك الثغر، واثنان من البحارة، ثم إن الفرقة المذكورة توجهت لدار قنصليتها شاهرة سلاحها تطلق بنادقها على كل من صادفته فى طريقها.

ولما وصلت دار القنصلية وجدت الحرس المخزنى المعد لحراستها على الباب فقام وأدى التحية العسكرية، فأطلقت فيه تلك الفرقة مكاحلها وارتقت على سطوح الدار وصارت تتابع طلقاتها النارية على سائر المارة من جميع الجهات حيث كانت تعتقد عداء الكل، كما أن الدارعة المذكورة صات تمطر البلاد بوابل كور مدافعها المدمرة وذلك قبيل بزوغ شمس يوم الاثنين خامس عشرى جمادى الثانية من العام المذكور، موافق خامس غشت سنة سبع وتسعمائة وألف.

وفى زوال اليوم نفسه وردت على الثغر المذكور دارعة أخرى تسمى (دوشيلة) حاملة لفرقة عسكرية أخرى أنزلتها تعزيزا للأولى تنتظم من مائة وعشرين جندى يرأسها الكمندان (مانجان)، وشاركت الدارعة كليلى فى إطلاق القنابل على المدينة، وفرق الكمندان المذكور العس على دور القناصل الأجنبية كالسويد والإنجليز والبرتغال وأسندت إليه قيادة الجيش النازل ونظم البوليس فأحسن التنظيم والإدارة.

هذا والمخزن باذل جهده فى تطمين قلوب الرعية ونشر المكاتب لعمالة وولاة أمره بتحقيق الحقيقة وتقريرها لأولى العصبة من القبائل.

قرأت فى ظهير سلطانى عزيز بالتاريخ المذكور مخاطب به باشا الرباط فى وقتنا الحاضر، حبنا السيد عبد الرحمن بركاش باشا الصويرة إذ ذاك بعض ما يتعلق

بما شرحناه جلبنا نصه هنا تتميما للفائدة ودونك لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع المنيف:

«خديمنا الأرضى القائد عبد الرحمن بركاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد فإن بعض الرعاع من القبائل المجاورين لثغر الدار البيضاء مدوا يد العداء بخارجه بسبب جلوس المراقب الأجنبى مع أمناء الثغر المذكور، وصاروا يتحدثون فى ذلك بأقوال غير مقبولة ولا معقولة لجهلهم بحقيقة الأمر وعدم معرفتهم إياه، لأن جلوس هذا المراقب مع من ذكر تقدمت له نظائر عديدة فى عهد سيدنا الجد رحمه الله، وفى حياة سيدنا المقدس بالله للمراقبة على مال السلف الذى كان بحوزته من المراسى فى السلف الذى اقترض منهم وقتئذ، ولما توصلوا به انصرفوا لحالهم وهكذا هؤلاء المراقبون الذين جلسوا الآن بالمراسى فإنهم فإنما جلسوا للمراقبة على مال سلفهم الذى اقترضه منهم المخزن على القاعدة الجارية فى ذلك من قديم الأعصار، وبمجرد ما يتوصلون به ينهضون لشأنهم كذلك ولا ضرر على المسلمين.

ولو كنا نعلم حصول أدنى ضرر لهم من ذلك ونحوه لدفعناه عنهم بأى وجه أمكن، نعم إن حدث عندهم ما فهموا فيه ضررا فليرفعوه لحضرتنا الشريفة على يد عاملهم لننظر فيه، فإن ظهر وجه لكلامهم ينفذ الأمر فيه بما يتعين، وإلا يجابون بما يرفع عنهم الإيهام والإشكال، وعليه فنأمرك أن تكون على بال من القبائل الذين بناحية ذلك الثغر إن حركوا معك كلاما فى ذلك لتجيبهم بما قرر لك على الوجه الذى يفهمون منه المقصود ولا يبقى عندهم إشكال فى حقيقة الأمر بحول الله، وها نحن كتبنا لهم بذلك أيضا حسبما يصلك لتتركه تحت يدك احتياطا إن حدث ما يوجب دفعه لهم تجده تحت يديك، وإلا فاتركه عندك حتى تنكشف تلك العوارض ورده لحضرتنا الشريفة والسلام فى ٢٥جمادى الثانية عام ١٣٢٥».

ثم فى اليوم نفسه فى الثانية بعد الزوال وردت بارجة إصبانية صغيرة من جزر كنارية على الثغر المذكور حاملة لفرقة عسكرية لحماية قنصليتها أيضا، وعززت الدارعتين الفرنسيتين فى صب هاطل الكور على البلد، وكان الضرب بالغا حده فضج الناس وافتتنوا ولم يجدوا ملجأ ولا منجى وظل بعضهم يموج فى بعض كأنهم سكارى يعربدون ونار الفتن تتوقد وشرر زفيرها يتطاير فى قلوب العجزة من الرجال والنساء والصبيان.

ولما جل الخطب وطم أمرهم الخليفة المولى الأمين المذكور بعد الموافقة مع القنصلية الفرنسية بالخروج للمحل المعروف بالسور الجديد الذى كان محل تخييمه بالقوة التى كانت إلى نظره من عساكر وخيل ورماة، وصرح لهم بأن كل من حل به فهو آمن على نفسه وماله فانقسم الناس قسمين:

قسم ائتمر بما أمر به الخليفة المذكور فخرج مسرعا إلى السور الجديد حيث القوة المخزنية ومثوى الخليفة السلطانى الذى جاء لحياطة البلد وذويها.

وقد كان هو دخل المدينة يوم الجمعة بقصد إطفاء نار الفتن وإجلاء البادية عن البلد ونزل بدار المخزن هناك وأقام بها يوم السبت والأحد وفى صبيحة يوم الاثنين وقعت الواقعة.

ولما خرج من خرج للسور الجديد حيل بين مولاى الأمين الخليفة المذكور وبين ما أراد من اللحوق بعائلتة والقوة التى كانت معه لتفاحش عيث المفسدين فى الطريق ولم يبق معه بالمدينة غير وصيف وطباخ.

وفى عشية يوم الأربعاء سابع عشر موافق سابع عشرى جمادى المذكور أطلقت الدارعتان الفرنسيتان قنابلهما على الملتجئين بالسور الجديد حيث رأت أحزاب العتاة المسدين تجمهرت حوله ورامت الهجوم على من به وقصدهما تبديد

جموعـهم وتشتيتهم حـتى لا يلحق من بالسور منهم أدنى أذى وعززتهـما الدارعة الإصبانية فسار الكور ينزل على المفـسد والمصلح وعم البلاء واشتبك وارتبك لعدم إمكان التحـرز ولأن الخبث إذا كـثر هلك الصـالح والطالح فهلك عـدد عديد من أولئك البـؤساء المرعوبين الجـياع العطاش المسلوبين المـنهوبين الذين كانـوا بالسور الجديد، وولى الثوار ناكصين على الأعقاب ولم يبقى واحد منهم يروج بالمدينة ولا يحوم حول السور.

وفى عشية ذلك اليوم نزل بالبلدة المذكورة القائد الجنرال (درود) واحتل البلد بخيله ورجله، وتم الأمر على يده وانتشر الهدوء والسكون.

ثم بعد ذلك نزلـت فرقة من العـسكر الإصبانى لـلاحتلال أيضـا واتخذت المساجد أروية لربط بهائمها وألواح الصبيان الذين يقرءون القرآن حطبا وبالغت فى الإفساد والتدمير داخل المدينة وخارجها.

أما القسم الآخر فإنه انقسم إلى قسمـين: قسم خرج ناجيا بنفسه إلى البادية للاستيجار بمن لـه به صداقة وسابقية مودة عساه أن يؤمن روعـته، ويرحم لوعته، وقسم الـتجأ بدور بـعض القناصل فانقلب على الحـضرى الناجى بـنفسه الـبدوى الأجلف الذى كان صديقـا حميما عدوا مـبينا فكان الحضرى يلقى صفـيه البدوى فيحن له ويرتاح لرؤيته فيبادره بجفائه الغريزى المركوز فى طبعه الخشن ويقابله بكل شدة وقساوة ويـجرده من كل ما عسى أن يكون عليه من الثيـاب أو بيده من المتاع قل أو جل، ويتركـه مكشوف العورة صـفر اليدين ويقـول له أنا أولى بسلبك من غيرى بلغ بهم الإفراط فى الخبث والدناءة إلى أن شـقوا بطن امرأة حامل وأخرجوا جنينها منها ظنا منهم أنها ابـتلعت نقودا، ومخضوا شريفا مخضـا ذريعا لاتهامهم إياه ببلع نقود كذلك.

وكم افتـضوا من أبكار واسترقـوا من أحرار، فمن جملة من اسـترق وبيع:

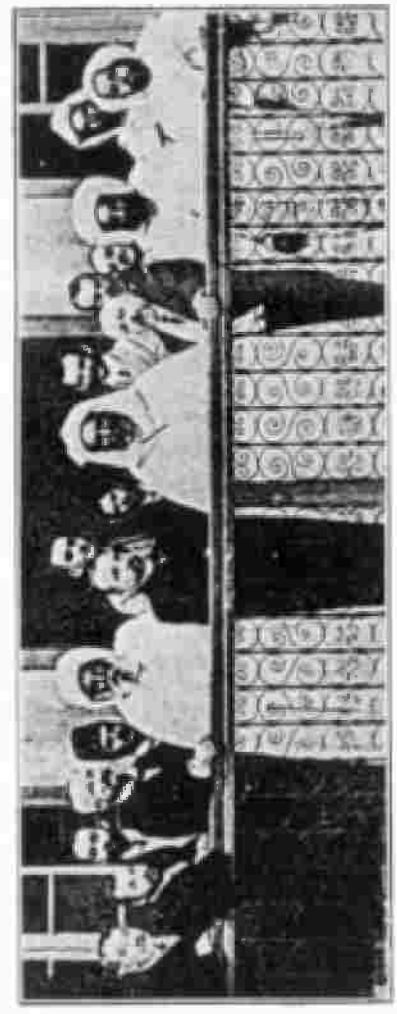

الخليفة مولاي الأمين رئيس لجنة التعويضات ببزته الرسمية بالوسط وعن يمينه الأمين الصديق احرضان الطنجي وعن يسره الأمين بناصر غنام الرباطي مع نواب الدول والتراجمة والكتاب.

عبد الكريم نجل صـديقنا ناظر الأحباس فى ذلك الحين بذلك الثغـر السيد إدريس الفيلالى، ثم بعد أخذ ورد أدى والده لمن كان اشتراه قبل مائة ريال سكة حسنية.

ثم بعد انجلاء غياهب هذا الحـادث المدلهم جمعت أكداس تلك الجثث المنتنة وذلك ثامن غـشت وألقـيت فى أخـدود وصب عليـها الـكاز وأطلقت النار وردم رمادها ورفاتها بالمحل الذى صار الآن جنانا عمومـيا مقاومة لتلك الروائح الكريهة المؤذية، وتحفظا عما ينشـأ عنها من الأضرار الفتاكة المعـدية المعدمة، وكان المكلف بجمع تلك الجـثث والأشلاء المعـين (بريط) الفرنسى الولوع بجـمع الآثار العتيـقة والنقود الثمينة الشهير إلى الوقت الحاضر بالدار البيضاء .

أخبرنى أنه مات من اليهود نيف وأربعون، وجرح منهم خمسون، واختطف من فتياتهم مائه وخمسون كما اختطف من المسلمات عدد عديد.

وبعد إطفاء نيـران الفتن بالدار البيضاء قام أهل الحمـايات بطلب تعويض ما ضـاع لهم فى الواقـعـة ومن نهـبت له عـشـرة ادعى بالآلاف وشـددوا فى ذلك وأفرطوا، فأصدر السـلطان ظهيرا بتشكيل لجنة تنظر فى الخسائـر وعين أعضاء من الوطنيين والأجانب وإليك نص الظهير.

بعد الحمدلة والصلاة.

«يعلم من كتـابنا هذا أعلى الله مقداره، وثبت على الهـدى مزاره، أننا أذنا بتشكيل جمعيـة بثغر الدار البيضاء للنظر فى الخسائر الحـاصلة بالثغر المذكور وقت حادثته لـلأهالى والأجانب وتحقيق الحق عنهـا وإبطال الباطل وتقدير التـعويضات اللازمة فى ذلك بموجـباتها، وعيّنا من قـبل جانبنا الشريف عـمنا الأرضى مولاى الأمين للرياسة عليـها وخديمنا الطالب بناصر غنام معتـمدا أولا والطالب الصديق احرضان معتـمدا ثانيا والطالب الحسن كاتبا ليقوموا بـالمتعين فى ذلك مع الأعضاء

المعينين من قبل الدول المحترمين ذوى العلاقة بالموضوع ويجروا فى تحريرهم كذلك على طريق العدل والإنصاف ويعينوا المختبرين والمفتشين المحليين لأعمال الأبحاث الابتدائية، وأضفنا لأعضاء المخزن المحامى والمستشار إبراهيم بمنت والترجمان كرم والسلام، صدر به أمرنا الشريف فى ٢٧ ربيع الثانى عام ١٣٢٦ .

والأعضاء الأجانب المشار إليهم فى الظهير هم: معتمدوا ألمانيا وإصبانيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا والبرتقال وهؤلاء مع نواب المخزن هم الذين لهم الحق فى النظر فى كل دعوى تعرض على بساط اللجنة، بخلاف النواب الخصوصيين، وهم نواب أميريكا والنمسا وبلجيكا والسويد والدانمرك وهولندا، فلم يكن لهم حق فى سن ضابط ولا إبداء رأى فى غير دعاوى تابعيهم، وقد ناب عن السويد معتمد دولة الألمان وعن الدانمرك المعتمد البريطانى.

أما الدولة العلية العثمانية فكان ابتدأ بمباشرة دعاوى تابعيها وهى أربعة دعاوى معتمد فرنسا بصفة نائب الرئيس ثم بعد أن أعلنت قنصلية إنجلترا بالثغر أنها كلفت رسميا بحماية رعايا تركيا رجع إلى مباشرة الدعاوى المذكورة معتمد إنجلترا (المستر تورون).

فكان عدد الدعاوى التى عرضت على البحث ٣٥٠٦، والقيمة المدعى بها فرنكات ١٧،٣٦٦،٤٧٨،٢٦ والقيمة التى حكمت بها اللجنة فرنكات ٥٧،٦٤٢،٠٦٩،١٣ .

ثم أضيف لذلك دعاوى تقدمت على المواضع والأملاك التى احتلتها الجنود الفرنسية الإصبانية وعدد دعاويها ٦١ والقيمة التى حكمت بها اللجنة الدولية فرنكات ٨٥،٧١٠،١٩٥ .

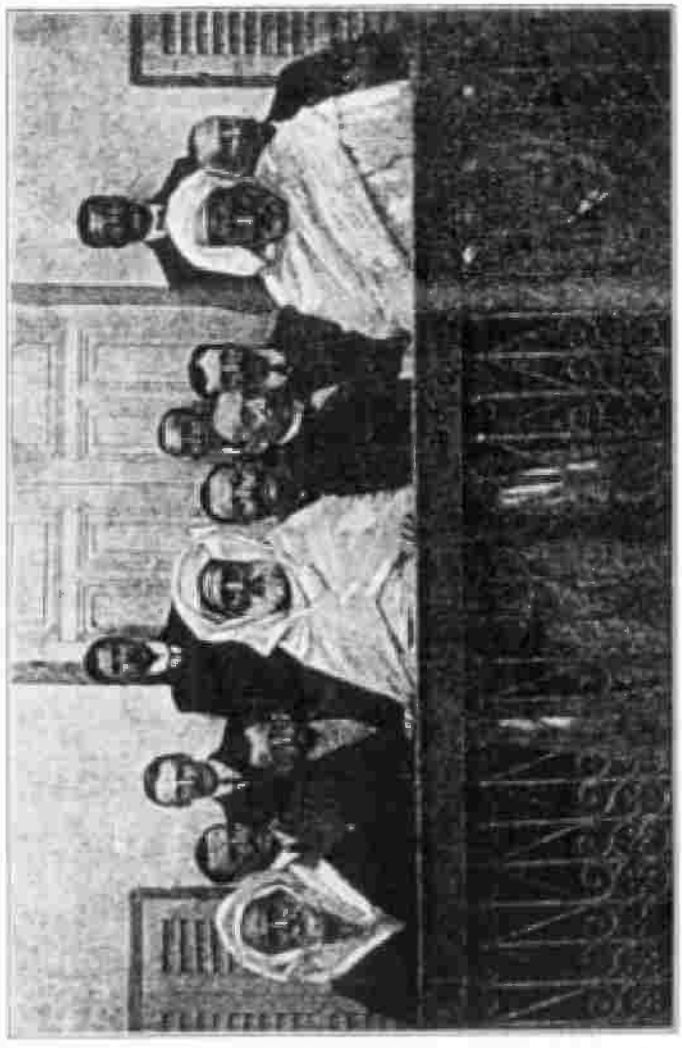

رئيس اللجنة التنجيزية لأداء غرامة الدار البيضاء الخليفة السلطاني سيدي محمد الأمراني عن يساره الحاج عبد الرحمن لحلو وعن يمينه الأمين السيد العربي بن كيران هؤلاء الثلاثة مغاربة وعن يسار الحاج عبد الرحمن لحلو طيطوتي نائب إيطاليا وبينه وبين الخليفة السلطاني ثورن الإنجليزي وربو الفرنسي ولابليخا الإصباني وبين الخليفة السلطاني وابن كيران شامبير ونفرو ومكري الفرنسي كاتب اللجنة.

ولم يتم أمر ذلك حتى جاءت الدولة الحفيظية، وتخلى الخليفة المولى الأمين عن وظيف الخلافة، وولى مكانه أبو عبد الله محـمد الأمرانى آتى الترجمة، وفى مدة توليتة تمت المسالة ووقع الأداء بطنجة.

هذا وأما أبو زيد عامل البلد المذكور فقد ألقى عليه القبض وثقف على ظهر الدارعة «كليلى» عقوبة له على ما أجرم ثم سرح بعد.

ووقع القبض على بعض النهـاب، وأعدم البعض منهم حـينا ودفن ما يزيد على ثلاثمائة من المسلمين، ووجد بين الأسـوار وتحت أطلال الهدم والردم والجهة التى خرقت عدد عديد من الجثث.

ثم بعد التطهير بالحريق ابتدئ فى تنظيم أمور الديوانة، وكان المتولى للأمر إذ ذاك (الكمندان منجان) وعلال بن عب الطنجى خليفة الخليفة السلطانى المذكور.

وأما السور الجديد - الذى ذكرنا أن الناس الـتجأوا إليه لما دهاهم من ضرب الدوار ع الحربيـة ما دهاهم - فهـو عبارة عن فسـيح يحتوى على عـدة هكتارات محاط بالسور من جهاته الأربع، بهـا أبراج محكمة البناء كان بناه السلطان المقدس مولاى الحسن وقصـده أن يتخذ قصبة تختط بهـا دور الأجانب الأوروبيين النازلين بذلك الثغر من قناصل وتجار وغيرهم سـعيا وراء جلب الراحة إليهم، وإبعادا لهم عمن يخالفهم فى العوائد ويباينهم فى الذوق، إذ لا تتم الراحة للإنسان إلا بجعله مع مجـانسه وملائمـه وتمكنه مما اعتاد علـى الطراز الذى ألف من غير منتـقد ولا مشـغب وكان بناؤه إياه على يد الأميـنين محمـد بن سعيـد المعروف بالكدر، ثم الحاج عبـد الخالق فرج محتـسب الرباط الشهير بالمواقف والمناقب والغـيرة الوطنية والصدق والإخلاص والأمانة، ثم لما مات السلطان البانى ولم يتم ما كان أراد بقى المحل معدا لتخييم الجيوش المخزنية وقتـما مرت بذلك الثغر، وقد تتفسح فيه أهل

البلد عند فـراغه من الجـيـوش وبالأخص فى زمن الربيع، وتقـام به نزهة سلطان الطلبة، ثم بعد الواقعة أحدث فيه شارع عمومى.

واتخذ بجانب منه مستشفى عسكرى لا زال قائم العين إلى الآن.

ولقد كـان لهذه الحادثة الحالـكة دوى ورنة فى العالم تناقلتهـا ألسنة الجرائد الرائجة فى ذلك العصر عربية وعجمـية وذهب الكتاب فى أسبابها كل مذهب كل على حسب أغـراضه الشخصيـة ومغامزه السـياسية والحـقيقة وراء جل مـا حبروا وخبروا.

ومدينة الدار البـيضاء هذه هى المعروفـة فى كتب التاريخ قديمـا باسم آنفا، وهى واسطة بلاد تامسنـا وإحدى عواصم برغـواطة، قد كان بعـد تقلص ظلمهم أنزل بها يعـقوب المنصور الموحـدى عرب جشم بن معـاوية وسليم وبنى هلال بن عامـر، وقد هلك أكـثر هؤلاء بالأنـدلس فى واقعـة الناصر الموحـدى فى قضـيه العقـاب، فقل عددهم ووقع الفـراغ المحسوس فى وطنهم، فلمـا كانت دولة بنى مرين عمد يعقوب ابن عـبد الخالق لنقل طوائف من أهل المغرب الأوسط لما غلب على بنى زيان واسـتولى على جنوب بلادهم إلـى جنوب الزاب، فكان ممن نقلهم لضواحى آنفـا قبيلة المذاكرة من عـرب سويد الهلاليين إخـوة رياح، ومن المذاكرة قبـيلة صبـيح كان منهم فى دولة بنى مـرين الوزراء وأرباب الدولة، ونقل مـعهم أوزاعا من توجين ومزاب من زناتة ومغـراوة من زناتة أيضا، وأشغلهم بالقيام على إبل الدولة وشائها، فـأطلق عليهم اسم الشاوية وذلك سنة ست وسبعيـن وستمائة وجعلوا مقر رياستهم مدينة آنفا ،فلم يلبسوا أن خالفوا على الدولة وقطعوا السابلة وأساءوا الجوار مع غيرهم، فزحف إليـهم أبو ثابت بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينى سنة سبع وسبعمائة فأرغمهم على الطاعة وقبض على ستين رجلا من شيـوخهم وأودعهم سجن قـصبة آنفا، وقطـع رءوس عشرين من عتـاتهم قاطمى السبيل وصلبهم على أسوار آنفا.

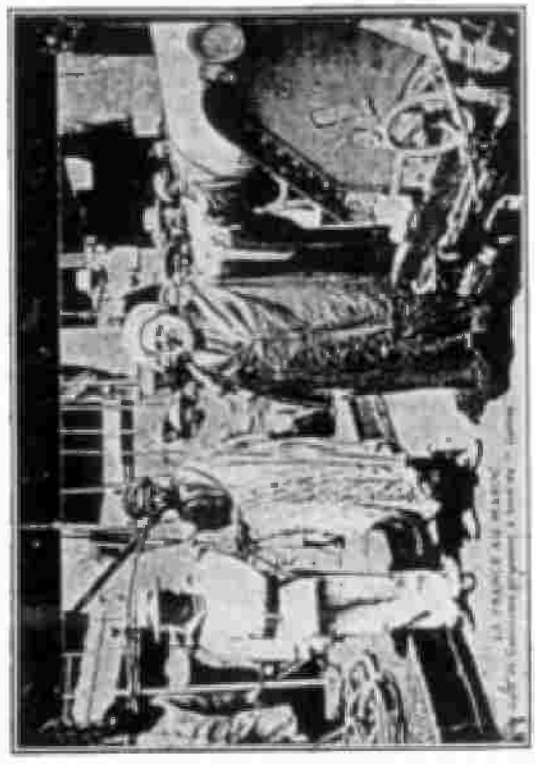

باشا الدار البيضاء بوبكر ابن بوزيد على ظهر الباخرة أسيرا

وفى سنة ست وسبعين وستمائة نزل عليها أسطول البرتغاليين فهد أسوارها وخرب أبنيتها وصيرها أثرًا بعد عين وذهب لحال سبيله، ثم نزل إليها سنة عشرين وتسعمائة فأسس بناءها وسماها بلغته الدار البيضاء، وكان اسمها فى القديم البيضاء كما ذكره أبو عبيد.

ولم يزالوا بها إلى أن أخرجهم منها السلطان سيدى محمد بن عبد الله سنة أربع وخمسين ومائة وألف، وعمرها بقبائل الشاوية أهل الناحية ،ولم يزل لملوك دولتنا من حفدته وبنيه اهتمام بها وبنظائرها من الثغور المغربية وحياطتها شرعا وسياسة إلى الدولة العزيزية.

ولنذكر لك جزيئات على سبيل التمثيل ليقاس عليها.

فمن اهتمامها أى الدولة العزيزية بحياطتها لو وجدت على ذلك أعوانا وأكفاء ما وقفت عليه فى ظهائر عديدة دونك لفظ أولها بعد الحمدلة والصلاة والطالع العزيزى الشريف.

«خدامنا الأرضين أمناء مرسى الدار البيضاء، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فقد أخبر الأمين الطالب عبد السلام والزهراء الرباطى بأن المهراسين الذين بالبرج اليزيدى أحدهما ملقى على الأرض والآخر بمحل الإشارة خارج البرج على سرير مكسر، وكانت له طبلتان تلاشى فراشهما واندثر بناؤهما بإهمالهما وتراكم الأزبال حولهما من النوائل والبناءات، وعليه فنأمركم بالوقوف على عين المحل الذى به مهراز الإشارة وتنظيفه وتصوينه ورده لحالته القديمة وتجديد سرير المهراسين كما كانا بما يحتاج إليه ورد البال لذلك فى المستقبل، وقد أمرنا العامل بالوقوف معكم وشد العضد فى ذلك والسلام فى١٧ جمادى الثانية عام ١٣٢٥».

ونص ثانيها:

«خدامنا الأرضيين أمناء مرسى الدار البيضاء حرسها الله، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فقد بلغ لعلمنا الشريف أن محل ترسية الفلائك بتلك المرسى مفتقر للتحسين و الإصلاح، وأن صائر حصول المقصود من ذلك قوم بنحو سبعة آلاف فرنك وعليه فنأمركم أن تشرعوا فى إصلاح ذلك بما تحسن به هيئته من الصفات المرادة والسلام فى ٣٢ شوال الأبرك عام ١٣٢٥».

وينضاف إلى ما ذكر من حياطتها اهتمامها بحياطة الطرق والأطراف، ويكفى فى التنبية فيه ظهيران شريفان وقفت عليهما دونك لفظهما بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف :

«خدامنا الأرضين أمناء مرسى الدار البيضاء المحروسة بالله، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فقد أخبر القائد قاسم الأودى أن المئونة مقطوعة عن إدالة إخوانه الذين بقصبة الصخيرات من وقوع الحادثة هناكم، وعليه فنأمركم أن تبينوا ما توفر لهم من المئونة فى المدة التى لم يتوصلوا بها وتكونوا تؤدونها لهم على العادة والسلام فى ٥ قعدة عام ١٣٢٥».

«خدامنا الأرضيين أمناء مرسى الدار البيضاء المحروسة بالله وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فقد أخبرنا القائد قاسم الأودى إدالة إخوانه الذين بقصبة الصخيرات يسألون للأمناء قبلكم من قبل مئونتهم واجب أربعة أشهر كما يسألون لكم واجب ستة أشهر دفعتم لهم منها واجب شهر واحد وعليه فنأمركم أن تدفعوا لهم ما يسألونه لكم وللأمناء قبلكم من قبل ذلك والسلام فى٢٢حجة الحرام عام ١٣٢٥».

ونص آخر بعد الحمدلة والصلاة:

«خدامنا الأرضين أمناء مرسى الدار البيضاء المحروسة بالله، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فقد أخبر القائد إدريس بن العربى الأودى أن إدالة إخوانه الذين بقصبة الصخيرات يسألون من قبل مئونتهم المنفذة لهم بالمرسى هنا كم واجب عشرة شهور وقد لحقهم الضرر من ذلك وعليه فنأمركم أن تبينوا الواقع فى ذلك وذمة من توفرت لهم هذه المدة وقدر ما توفر لهم فيها والسبب فى عدم تمكينهم منها لنرى فى ذلك السلام فى ٣٢ حمادى الأولى عام ١٣٢٦».

وكذا اهتمامها بضبط الصادر والوارد الذى يكفى فى التنبيه عليه ظهيرانِ شريفان وقفت عليهما ودونك لفظهما بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطانى:

«خدامنا الأرضين أمناء مرسى الدار البيضاء المحروسة، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فقد طلب من على جنابنا الفريلية الصبنيوليون إتمام الإنعام عليهم بعد بحث حوائجهم الخاصة بهم المسرح لهم دخولها بدون أعشار واستظهروا بظهائر شريفة لأسلافنا الكرام مصرحة بعدم فتح صناديقهم التى ترد لهم، وقد ساعدناهم على طلبهم ونأمركم أن تجروا حوائجهم مجرى حوائج القناصل فى دخولها من غير فتح ولا تفتيش والسلام فى ٢١حجة عام ١٣٢٥».

لفظ الثانى:

«خدامنا الأرضين أمناء مرسى الدار البيضاء المحروسة، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فالسلاح الذى تسرحون إدخاله للمرسى على مقتضى ضابطه نأمركم بأن تكونوا تقبضون من صاحبة ما يلزمه فى أعشاره بحسب عشرة فى المائة، لأن مضمن ما يأتى به إليكم من طنجة هو التسريح فقط لا إسقاط الأعشار، والسلام فى ٢٢ ربيع الثانى عام ١٣٢٦».

ومن اهتمامها بالملاجئ الخيرية فيها وأمر المسجونين ما وقفت عليه فى ظهائر شريفة عزيزة نص أولها:

نأمر خديمنا الأرضى ناظر أحباس الولى الصالح سيدى أبى الليوث بمحروس ثغر الدار البيضاء أن يكون يدفع الأجرة المتعارفة للمعلمين الذين يختانون الصبيان اليتامى وأولاد الضعفاء بالزاوية القادرية هنالك، وأن يكسوهم بما يناسب حالهم كل عام وقت الاختتان من فتوحات الولى المذكور والسلام فى ٨ ربيع الثانى عام ١٣١٦ .

ونص الثانى:

«خديمنا الأرضى ناظر الشيخ أبى الليوث بمحروسة ثغر الدار البيضاء، وفقك الله، وسلام عليك ورحة الله، وبعد: فقد بلغ علمنا الشريف أن المرضى من الأفاقيين وأهل البلد الذين لا مأوى لهم يمرضون فى الطرقات وينقلون لبيوت خارج المدينة ويبقون هنالك حتى يموتوا جوعا وعطشا، وقد اقتضى نظرنا الشريف جمعهم بالبيوت التى قرب ضريح الشيخ المذكور، فنأمرك أن تجمعهم فيها وتخص الرجال ببيوت منها والنساء ببيوت منها كذلك بعد أن تصلح ما لا بد من إصلاحه منها وتزيد ما يتوقفون عليه من البيوت وتكون تدفع لكل مريض خبزتين أو ثمنهما فى كل يوم، ومن توفى منهم يقوم بتجهيزه ناظر المواريث، ومن حصلت له العافية بتوجه لحاله وتسقط مئونته، ومن زاد تزاد له مئونة أمثاله، وهكذا وقد أمرنا الخديم أحمد المديونى بالوقوف فى ذلك وشد العضد فيه حتى ينفذ شريف أمرنا على مقتضاه، والسلام فى ٦ قعدة عام ١٣١٨».

ونص الثالث:

«خديمنا الأرضى ناظر أبى الليوث وأحباس الدار البيضاء الطالب إدريس

الفيلالى وفـقك الله، وسلام عليك ورحمـة الله، وبعد: فقد وصل جـوابك عما أمرت به من تنفـيذ الخبز لـلمرضى والأفاقيـين وجعل البيـوت لهم، بأنك نفذت ترتيب الخبز لهـم من مستفاد الضـريح المذكور غير أن العامل أطـلعك على كتاب شريف بأن الصائر يكون من ربيعة الشـيخ مع أن الربيعة تفتح على يد أمناء المرسى والقاضى ويفـرق ما يوجد فيـها، فالثلث على الضـعفاء القاطنين بجـوار الشيخ، والباقى يصير فى ختان اليتامى وأبناء الضعفاء، وتعين عليك أن تصير على المرضى مما تحت يدك من المستفاد مبادرة لامتثال ما أمرناك به والعمل على ما يصدر لك فى المستـقبل، وعليه فإن الذى يكون عليـه عملك هو أن الصائر يكون ثلثـاه من وفر الأحباس الكبرى، والثلث الواحد هو الذى يكمل من فتوحات الولى المذكور، وما عداه من بقيـة الفتوحات ينفـذ فى مصالحه ووظائفه المعـهودة فيه، فليـجر عملك عليـه، وقد كـتبنا للقـاضى والأمناء والعـامل بمثله، والسلام فى ١٥ قـعدة عـام ١٣١٩».

ونص الرابع:

الحمـد لله وحـده وصلى الله على سيـدنا ومولانا مـحمـد وآله ثم الطابع الشريف بداخله عبد الحفيظ بن الحسن وفقه الله.

«خديمـنا الأرضى ناظر أحبـاس الدار البيضـاء وفقك الله، وسـلام عليك ورحمة الله، وبعد: فنأمرك بتنفيذ عدد الخبز الذى كان يدفعه أمين المستفاد كل يوم للأفاقيـين الذين بسجن البلد بعد تسـرادهم مرتين فى كل شهر، وصـير ذلك من جملة صوائر الأحباس، وقد كـتب لعامل البلد بذلك، والسلام فى ٢٨ محرم عام ١٣٢٩ استقل».

ونص الخامس:

«خدامنا الأرضين أمناء مرسى الدار البيضاء المحروسة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد:

فقد أخبرنا باشادور الفرنسيس أن المقبرة المعدة لدفن الأجانب هنالك ضاقت عليهم وطلب زيادة بقعة أخرى بجوار المقبرة المذكورة وبمحل آخر يكون طولها خمسين مترا وعرضها كذلك ليجعلوه مقبرة لذلك، وقد ساعدنا ونأمركم أن تجتمعوا مع عمنا مولاى الأمين وأمين المستفاد والناظر وتتفاوضوا فى تعيين بقعة هنالك تصلح لما ذكر فى مجاورة المقبرة القديمة أو بمحل آخر وتبينوا قدرها وتوجهوا لشريف حضرتنا صورتها ليظهر، وقد كتبنا لعمنا المذكور والخدام المذكورين بمثله، والسلام فى ١١ قعدة ١٣٢٥».

ونص السادس:

«خديمنا الأرضى ناظر أحباس ثغر الدار البيضاء المحروسة، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فقد أخبر باشادور الفرنسيس أن المقبرة المعدة لدفن الأجانب هنالك ضاقت عليهم وطلب زيادة بقعة أخرى بجوار المقبرة المذكورة أو بمحل آخر، يكون طولها خمسين مترا وعرضها كذلك ليجعلوها مقبرة كذلك، وقد ساعدنا ونأمرك أن تجتمع مع عمنا الأرضى مولاى الأمين والخديم المديونى وأمناء المرسى وأمين المستفاد وتتفاوضوا فى تعيين بقعة هنالك تصلح لما ذكر فى مجاورة المقبرة القديمة أو بمحل آخر، وتبينوا قدرها وتوجهوا لشريف حضرتنا صورتها ليظهر، وقد كتبنا لعمنا المذكور والخدام المذكورين بمثله، والسلام فى ١١ قعدة عام ١٣٢٥».

ونص السابع:

«خدامنا الأرضين أمناء مـرسى الدار البيضاء المحروسـة بالله، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: وصل جـوابكم عن أمرنا الشريف الصادر لكم بالاجتماع مع عـمنا الأمين والخديم المديونى وأمين المستفـاد والناظر للمفاوضة فى تعيين البقعة التى طلب باشادور الفـرنسيس زيادتها لدفن موتى الأجانب بها بجوار مقبرتهم القديمة ثمة، بأنكم اجتمعتم لذلك وبعد المفاوضة خرجتم لتعيينها صحبة القبطان نائب الفرنسيس ثمة وترجمان قنصلهم، فاخـتاروا البقعة التى سميتم ونفذ لهم القدر المطلوب منها وميزوه وشرعوا فى الدفن فيه وصار بالبال والسلام فى ٢٦ صفر عام ١٣٢٦».

ومن اهتمامهـا بالتعليم ونشر العلم ما وقفت عليـه فى ظهائر تتعلق بنصب المدرسين وتنفيذ الرواتب لهم وللخطباء دونك نص أحدها:

«خديمنا الأرضى نـاظر أحباس الدار البـيضاء حـرسها الـله، وفقك الله، وسلام عليـك ورحمة الله، وبعـد: فنأمرك أن تنفـذ للطالبين المدرسـين الواردين لهناك من فـاس بقـصـد التدريس وبـث العلم دارا من دور الأحـباس لنزولـهـما وعشرين ريالا للواحد من مدخول الأحباس فى كل شهر حتى تكمل مدتهما وهى سنة واحدة ليعين بدلهما عند انقضائها بحول الله على يد قاضى فاس والسلام فى ١٦ جمادى الأولى عام ١٣٢٦».

ونص الثانى:

«خديمنا الأرضى ناظر أحباس الدار البـيضاء المحروسة بالله الطالب إدريس الفيلالى وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فقد أصدرنا أمرنا الشريف لقاضى فاس بتعيين فقيهين مدرسين وتوجيههما على يد خليفة العامل ثمة واصلين

للثغـر المذكور بقصـد بث العلم ونشره وتدريسه بـه والتمشى على الضـابط المبين بطرته، وأمرنا أمناء دار عديل لتـوجهه لهم من وفر الأحباس المذكـورة بعد بيانه، وعليه فنأمرك أن توجـه لهم ما يدفعونه لهما فى ذلك عند تبـيينهم ذلك لك بفور وصوله إليك على يد العـامل ثمة ليوجـهه لهم بواسطة خليـفة عامل فاس، فـقد أمرناهما به كما نأمـرك أن تعين لهما محلا مناسبا لهمـا للنزول وتنفذ لهما المئونة التى تحصل لهـما للكفاية بها من الأحبـاس بعد إعلام جانبنا العـالى بالله بقدرها والسلام فى ١٣ صفر عام ١٣١٦».

والضابط المشار له هو ما لفظه فى أول النهـار نصاب فى المختصر بما يناسب المبتدئين، ومن السـاعه العاشرة إلى الزوال نصاب فى التحفـة كذلك، ومن الظهر إلى العـصر نصـاب فى النحو بالألفـيـة، وبين العشـاءين نصاب فى الرسـالة أو المرشد، وفى بكرة الخميس أو الجمعة نصاب بالجرومية لصغار المتعلمين. انتهى.

ونص الثالث:

«نأمر ناظر الأحباس بالدار البيضاء حـرسها الله أن يكون يدفع من مستفادها آخر كل شـهر لكل واحد من الفـقيهـين السيد مـحمد بن الطاهر بنانى، والسـيد محمد بن مـحمد الصنهاجى ثلاثين ريالا فى مرتبه الشـهرى إعانة له على تدريس العلم الشـريف بها والسـلام، صدر به أمرنـا المعتز بالـله فى عشرى رجـب الفرد الحرام عام ١٣١٦».

ونص الرابع:

«خديمنا الأرضى ناظر الأحـباس بمحروس ثغر الدار البيـضاء، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فقد أمرنا بإبدال الفقيهين المدرسين هنالك السيد محمد بنانى، والسيد محمد الصنهاجى، ونأمرك أن تدفع لكل منهما خمسين ريالا من وفر الأحباس صلة، والسلام فى ٢٥ رجب عام ١٣١٨».

ومن اهتمامها بضبط أحباسها ما وقفت عليه فى عدة ظهائر تتعلق بضبط أملاك أحباسها والإسراع لتدارك إصلاح ما يفتقر للإصلاح من رباعها وضبط المتصرفين فيها ورفع حساباتها دونك لفظ أولها:

«خديمنا الأرضى ناظر الأحباس بالدار البيضاء حرسها الله، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فنأمرك أن تجعل تقييداً لجمع رباع الحبس الذى على يدك هنالك كل محل على حدته، وتقييد ما بإزائه اسم مكتريه وإن كان رعية فنبه عليه، وإن كان حماية فكذلك واذكر اسم حاميه، وإن كان أجنبيا فبين اسمه وجنسه، وقيد أمام اسم المكترى الكراء الذى يدفعه فى ضلع وما يساويه اليوم كراء فى ضلع آخر، ومن كان متقاعدا عن الأداء نبه عليه وبين سبب تقاعده، ثم قيد عقب ذلك المنفذ منها بدون كراء وبيد من هو، وهل يعتمره المنفذ له أو يكريه على يده، وهكذا إلى أن تاتى على جميعها على الوجه المذكور، ووجه التقييد بها واصلا لحضرتنا الشريفة والسلام فى ٢٨ جمادى الأولى عام ١٣١٥».

ونص الخامس:

بإمضاء النائب أبى عبد الله محمد بن العربى الطريس:

«الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله، محبنا الأرضى ناظر أحباس الدار البيضاء: أمنكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وبعد: فقد دعت الحاجة لمعرفة الأجانب وأهل الحمايات المتقاعدين على أملاك الأحباس هنا كم الممتنعين من إعطاء الواجب عليهم فيها، وعليه فبوصول هذا إليكم بينوا لنا كل من بيده ملك لجانب الحبس وهو متقاعد عليه ممتنع من أداء كرائه مع بيان قدر الكراء الذى يساويه كراؤه الآن، وعجلوا بذلك وعلى المحبة والسلام فى ١٠ رمضان المعظم عام ١٣٢٤ محمد بن العربى الطريس لطف الله به».

ونص السادس:

بعد الحمدلة وما يتبعها من السلام والطابع السلطانى العزيزى الكريم:

«خديمنا الأرضى ناظر الأحباس بالدار البيضاء حرسها الله، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فنأمرك أن تشرع فى إصلاح ما لابد منه من رباع الأحباس المتهدمة والمتخربة لما تقدم وقوعه هنالك وتتمشى على الضابط الممهد فى إصلاحها بعد تقديم الأهم فالأهم منها، ومراعاة المصلحة فى كل شيء، وقد أمرنا العامل بشد عضدك فيه والسلام فى ١٣ قعدة الحرام عام ١٣٢٥».

ونص السابع:

«خديمنا الأرضى ناظر أحباس الدار البيضاء، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فنأمرك أن توجه لشريف حضرتنا العالية بالله حساب مدة خدمتك بالأحباس المذكورة داخلا وخارجا مبنيا على آخر محاسبة صدر بها أمرنا الشريف إن كانت، وإلا فمن يوم تصرفك إلى تاريخه مع بيان القدر الموفر الذى تحت يدك، كما نأمرك بأن تكون توجه لشريف أعتابنا عند استهلال المحرم من كل سنة نسخة من الحساب داخلا وخارجا مفصلا بكناش خاص والسلام فى ١٧ صفر عام ١٣٢٣».

ومن اهتمامها بالتجارة والعدل فيها من غير مراعاة الجنسية ما وقفت عليه من ظهائر تعيين بقعة لنشر التجار الأجنبيين ما يشترونه من الجلود فيها، وظهير إنشاء بنك مغربى، وظهير إنشاء البوسطة، وظهير إنشاء المعاملة بالواردين ودونك نصوصها على التتابع، فلفظ الأول:

«خدامنا الأرضين، أمناء مرسى الدار البيضاء المحروسة، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فقد كان طلب تجار الأجناس بذلك

الثغـرالبيـضاوى المحوط تعـين بقعة لـغسل الجلود ونشرها هنالـك، وكنا أصدرنا شريف أمـرنا لكم وللعامل والناظر للمـفاوضـةفى تعيين مـحل يصلح لذلك من محلات المخـزن أو الأحباس، ويكون التجار يؤدون كـراءه، ثم جدد الآن باشادور الألمان طلب تجـاره ذلك، وعليه فنأمـركم أن تجتـمعوا مع خـدامنا العامـل وأمين المستفـاد وناظر الأحباس وتتفـاوضوا فى تعيين بـقعة لما ذكر مما لا ضرر فـيه على المخزن ولا على أهل البلد بـعد اتفاقكم مع التـجار عليهـا وعلى قدر الكراء الذى يؤديه التجار فيه، وتعلمونا بذلك وقد أمرنا الخدام المذكورين بمثله والسلام فى ٢٨ قعدة عام ١٣٢٥».

ولفظ الثانى:

«خديمنـا الأرضى ناظر الأحباس بالدار الـبيضـاء المحروسة، وفـقك الله، وسلام عليك ورحـمة الله، وبعـد: فقد أخـبر نائب الألمان بأن التـجار هنالك لما طولبـوا بعدم نشر الجـلود فى المحل الذى ينشرونهـا به حرصـا على تنظيف البلد احتاجـوا لمحل آخر ينشرونها به وطلبوا تعـيين محل بحومـة السور الجديد هنالك لذلك، وقد أجيب بكون بقعة السور الجديد حوطها المخزن لغرض مهم ولا يمكن استعمالها فيما طلبوه، وأن أمرنا الشريف صدر بتعيين محل يصلح لما طلبوه وعند اختياره يحوطه ناظر الحبس ويكون التجار الذين ينشرون فيه يؤدون كراءه للحبس، وعليه فنأمرك أن تجتمع مع خديمنا القائد بو بكر بن بو زيد وأمناء المرسى والمستفاد وتتفاوضوا فى تعيين محل مناسب لمـا طلبوه كالمحل الذى لجانب الحبس قبالة باب الرخى الفاصل عن محل الخزائن التى ستبنى للتاجر لام أو غيره، وإن يكن خارج البلد فهو أولى، ثم بعـد اختياركم للمحل اللائق تشرع فى تحـويطه ويمكن التجار منه ويطالبون بأداء الـكراء عنه للحبس، وقد كـتبنا للعامل والأمناء بمـثله، ولتعلم بالمآل فى ذلك، والسلام فى ١٨ رجب عام ١٣٢٤».

ولفظ الثالث:

«خديمنا الأرضى ناظر أحباس الدار البيضاء المحروسة، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فقد كان طلب تجار الأجناس بذالك الثغر البيضاوى المحوط تعيين بقعة لغسل الجلود ونشرها هنالك، وكنا أصدرنا شريف أمرنا لك وللعامل وأمناء المرسى بالمفاوضة فى تعيين محل يصلح لذلك من محلات المخزن أو الأحباس، ويكون التجار يؤدون كراءه، ثم جدد الآن باشادور الألمان طلب تجارهم ذلك، وعليه فنأمرك أن تجتمع مع خدامنا العامل وأمناء المرسى وأمين المستفاد، وتتفاوضوا فى تعيين بقعة لما ذكر مما لا ضرر فيه على المخزن ولا على أهل البلد بعد اتفاقكم مع التجار عليها وعلى قدر الكراء الذى يؤديه التجار فيها وتعلمنا بذلك، وقد أمرنا الخدام المذكورين بمثله والسلام فى ٢٨ قعدة عام ١٣٢٥».

ولفظ الرابع:

«محبنا الأعز الأرضى الأمين السيد إدريس الفيلالى، أمنك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وبعد: فلا يخفى أن من جملة ما تضمنه وفق المؤتمر الدولى تأسبس بنك بالمغرب يسمى بالبنك المخزنى مؤلفا رأس ماله من بانكات الدول الذين حضر أعضاؤهم لجمع المؤتمر المذكور، وحيث لم يكن بهذه الدولة الشريفة بنك حالى يتولى دفع ما نابه فى رأس مال البنك المخزنى من السهم المغربى، أنعم سيدنا أيده الله على بعض أعيان تجار رعيته السعيدة ليتولوا دفعه ويكون لهم السهم بالبنك المخزنى، ويستمدون نفعه على قاعدة أرباب السهام بالأبناك وليس من مقتضيات السياسة الوقتية والمصلحة الراجعة لجانب المخزن والرعية تسليم السهم المغربى لبقية الدول والإعراض عنه بالكلية، وقد رشح أيده الله للنيابة عن أرباب السهم المغربى بالبنك المذكور الأمين الحاج إدريس بن

جلون، وتوجه لما هو بصدده من ذلك العمل بطنجة ملتزما بواجب السهم المغربى ودفع ربعه حالا، وحيث كنت من جملة المقسط عليهم السهم المذكور فيأمرك مولانا أيده الله بمجرد وصول هذا إليك أن توجه للأمين المذكور واجبك فى ربع السهم وقدره خمسون ابرة سكة الفرنك يجب فرنك ١٢٥٠ وبنفس ما يعلمك بتوجيه الربع الثانى وجهه له من غير تأخير، وهكذا إلى أن تكمل له واجبك فى ذلك وقدره مائتا ابرة، وما توجهه له من ذلك يكون يجيبك عنه بالتوصل وحلوله محله ليكون جوابه حجة لديك كما تكون مصارفتك معه فيما ينوبك من الربح فى ذلك وعلى المحبة، والسلام فى ١٢ حجة الحرام عام ١٣٢٤ محمد التازى».

ولفظ الخامس:

«خديمنا الأرضى ناظر أحباس ثغر الدار البيضاء المحروس بالله، وفقك الله، وسلام عليك ورحة الله، وبعد: فإن سفير الفرنسيس بشريف أعتابنا أخير بأنهم توقفوا على محل متسع لترتيب بوسطاهم هناكم به وطلب جعل تأويل معهم فى محل المخزن المعروف بأروى الأمناء ثمة إما بالكراء أو غيره ليجعلوه محلا للبوسطة، وعليه فنأمرك أن تقف مع خدامنا أمناء المرسى وأمين المستفاد ثمة على عين المحل المذكور ،وتخطوا صورته على حالته الآن وتوجهوها لشريف حضرتنا وتبينوا قدر مساحته وقدر كرائه الآن وما يساويه من الكراء بعد أن يبنى على كيفية البوسطى وقدر ما يصير على بنائه ليظهر، وقد كتبنا لخديمينا المذكورين بمثله والسلام، فى شوال عام ١٣٢٥».

ولفظ السابع:

«الفقيه الأرضى السيد أحمد بن سودة سددك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فقد اقتضى نظرنا الشريف تأسيس ضابط لعقد المعاملات التى تكون بين تجار الأجناس وبين المشترين منهم بالواردين على وجه يرتفع به الضرر عن

الجانبن، وهو أن لا يبيعـوا لأحد شيئا بـ (الوردن) إلا بشهـادة عدول ثقات يعينهم القاضى لذلك بكل بلـد، بحيث لا يشهدون إلا بإذنـه مع إذن العامل لذلك على شرط أن يكون المشتـرى مليا وأن يضمنه أربعة من أهل خطتـه، ومن لم تكن بيده هذه الشهادة العـدلية بإذنه وإذن العامل وبهذين الشـرطين وادعى على أحد بشيء فلا تقبل دعواه ولا شيء له، نعم من أراد أن يبيع لأحد شيئا بدون هذين الشرطين بعد تقـريرهما له وطلب من القاضى والـعامل الإشهاد فـقط من غير ضـمان ولا ثبوت ملاء فيشهد عليـه أولئك العدول أنه رضى ذمة ذلك المشترى بعد أن علم أنه ليس بملى وليس له ضـامن وأنه منه إليه ولا يدعى بدعـوى فيه إن تـعذر له شيء عنده بخسارة أو عدم أو نحو ذلك، وكذلك يكون هذا الضابط بعينه فى المخالطات التى تكون بغيـر الواردين من سائر المعاملات، وعليـه فنأمرك أن تحضر مع الـباشا حين يسـتدعيك لتأسـيس هذا الضابط المذكور عند ظهور أحـد من تجار الأجناس هناك بقصد إرادة المعـاملة مع الناس بالواردين أو بغيرهما، وتحـضروا تجار مكناس حرسها الله من مسلمين ويهود وعراف الحرف وتقرروا لهم أمره، وتعين أربعة من ثقات العدول وصدورهم وتبـين أسماءهم لوصيفنا الباشا المذكـور، وتقصر عليهم الإشهاد بما ذكر بعد أن تشترط عليهم أن يـستأذنوك فى كل شهادة، وكذلك الباشا لتكون على الشرط المذكـور والضابط المحصور وتحذر من عـداهم من الإقدام على الإشهاد لشيء من ذلك ومـن خالف منهم تلزمه العقوبـة الشديدة، وخذ فى ذاك بالجزم ورد البال والتيقظ وعدم التساهل، لأن العدول فى عهدتك وقد كتبنا للباشا بهذا وأكـدنا عليه فى الوقوف عنده والاحـتياط فيـه والمضى معك على مقتـضاه، والسلام فى ٢٣ صفر عام ١٣١٣».

ومن اهتمامهـا بضبط ماليتها مـا تقدم من ضبط أمنائها والمراقبيـن عليها ما وقفت عليـه فى ظهيرى تعـيين أجور الأمـينين والعدلين وظهيـر توجيه حـسابات مسـتفادات المرسى كل أسبـوع ،ودونك لفظ الأول بعد الحمـدلة والصلاة والطابع السلطانى:

«خديمينا الأرضين أمينى الموضوع بمرسى الدار البيضاء المحروسة بالله وفقكما الله، سلام عليكما ورحمة الله، وبعد: فنأمركما أن تكونا تقتصران فى أجرتكما على مائتى ريال تثنية مشاهرة لكل منكما وفى أجرة العاملين معكما على مائة ريال مفردة مشاهرة لكل واحد منهما وذلك من شهر تاريخه، والسلام فى ٧ صفر عام ١٣٢٦».

ونص الثانى:

بعد الحمد له والصلاة والطابع المنيف:

«خدامنا الأرضين أمناء مرسى الدار البيضاء، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فلأجل مصلحة تخفيف صوائر المرسى من حيث هى: اقتضى نظرنا الشريف أن يكون قدر راتبكم الشهرى وراتب العدول معكم مائتى ريال بالتثنية وعشرين ريالا للأمين الأفاقى معكم، ونصفها وهو مائة ريال وعشرة ريال للعدل الأفاقى معكم، ومائة وخمسون ريالا للأمين البلدى منكم، ونصفها وهو خمسة وسبعون ريالا للعدل البلدى معكم، وعليه فنأمركم بأن يكون عملكم فى تصيير الرواتب المذكورة على مقتضى ما ذكر ولتثبتوا نسخة من كتابنا هذا بمحله من كناش ضابط خدمة المرسى ليتمشى عليه الأمناء بعدكم، والسلام فى ١٧ صفر الخير عام ١٣٢٦».

ولفظ الثالث:

بعد الحمدلة والسلاة والطابع السلطانى:

«خدامنا الأرضين أمناء موضوع مرسى الدار البيضاء المحروسة بالله وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله،وبعد: وصل كتابكم بمحصل الأسبوع المغيا بسابع شهره وصار بالبال زكاه الله ونماه والسلام فى ٢٣ جمادى الثانية عام ١٣٢٦».

فهـذه جملة يعتـبر بها غـيرها استطردناها تنبـيها على أن أمـراءنا كان لهم الشـغف بضبط مـا ولوا عليه لو أسـعدهم الدهر بولاة أهـل كفاءة واقـتدار مـثل صاحب الترجمة.

البيعة الحفيظية:

ولم يزل أمر الـدولة ينحل، ونظامهـا يختل، إلى أن قام بـعض رؤساء من أعيان القبائل الحوزية يدبر فى رتق ذلك الفـتق عسى أن ترجع المياه لمجاريها، فأداه اجتهاده إلـى أن ذلك لا يتم إلا بجمع الكلمة على مبايعـة الخليفة السلطانى الذى كان بين أظهرهم بالحضـرة المراكشية فى ذلك الحين وهو المولى عبد الحـفيظ لحزمه ونجدته ونـباهته وتيـقظه وعلمـه، فأعلنوا بنصـره وخلع أخيـه المولى عبد الـعزيز بمراكش صبيحـة يوم الجمعة سادس رجب عام خمسـة وعشرين وثلاثمائة وألف، وفى ذلك قال الأديب السيد عبد الله التادلى الرباطى مؤرخا:

قـد بدا عـبد الحـفـيظ المرتضى ملكـا مـا مـثـله قـبـل ملك

سـأل الإقـبـال مـا تاريخـه قلت يا إقـبـال (بشـر بالملك)

١٢٠٢، ١٢٣

١٣٢٥

وأسباب الخـلع والبيعة مـبنية فى صك بيعتـهم التى وقعت بعد أخـذ فتوى العلماء فى المخلوع وكـفاءته وتلت بيعـة مراكش بيعـة الجديدة وآسفى، إلا أنهـما أعيدتا بعد لطاعة المخلوع.

ولما قدم المخلوع للرباط بنية اسـترجاع طاعة مراكش إليـه أعلن بخلعه أيضا بفاس يوم الجـمعة ثانى وعـشرى قعدة الحـرام عام خمـسة وعشرين المذكـور بعد استفتاء العلماء فى شأنه وإفتائهم بوجوب عزله ليقضى الله أمرا كان مفعولا، ومن

السلطان السابق مولانا عبد الحفيظ

الغد بويع بها للمولى عبد الحفيظ بعد هرج ومرج تركت لغيرى تفصيله، وكان ذلك على شروط مندمجة فى عقد البيعة وهى من إنشاء أبى العباس أحمد بن عبد الواحد بن المواز صدر الكتاب وواسطة عقدهم ودونك لفظها:

الحمد لله الذى جعل كلمة الحق هى العليا، وأرشد المؤمنين من عباده لاتباع مقتضياتها أمرا ونهيا، وفضل الأمة المحمدية على سائر الملل والأجناس كما فضل آل بيته الكريم على الناس، وشرف هذا الوجود بمن يرقيه الله من خيارهم منصب الخلافة، فيتبع فى الشريعة والعدل والسياسة سنة جده، ويقتفى فى ذلك الكرام أسلافه، تصديقها لقوله ﷺ ولاية أهل بيتى، أمان لأمتى.

نحمده سبحانه أن تفضل على المسلمين بالهداية لقبلة الرشاد، والتمسك بحبل التوفيق والإسعاد، والعدول عن مواضع الزيغ والتفريط والعناد، ونشكره أن هدى خاصة الأمة وعامتها لتقليد من يوفى بالعهود الشرعية، ويقوم بحفظ الدين ومصالح الرعية.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى يؤتى الحكمة من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء.

ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الشفيع فى أمته يوم يتميز القاسطون من المقسطين، والحافظون للأمانة من المفرطين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين اجتهدوا فى كشف غياهب الضلال، وكانوا يميلون مع الحق حيث مال، ولا يحابون من يتساهل فى أحكام الشريعة بحال.

أما بعد: فإنه لما أراد الله تعالى أن يزيح ليل الجهالة عن عباده، وأن يجدد الدين بمن يطلعه شمسا فى أرضه وبلاده، ليعود عز الإسلام لشبابه، ويبقى استناد الإمارة العلية إلى سنته وكتابه، وتعلقها من الشرع بأسبابه، تدارك سبحانه

الوجود، وأعز العالم الموجود، واستطارت الأنوار المضيئة للأغوار والنجود، بمبايعة من يُعيد الله به شمس الخلافة إلى برج شرفها، ويرد به نقطة العدل والحلم إلى مركزها، ويحيى به أثر الخلفاء الراشدين، ومكارم الأسلاف الكرام المهتدين، وهو من حاز من الأوصاف الكاملة غايتها، وبلغ من المزايا الجسيمة نهايتها، فاكتسى العلم لباسا، والشجاعة أتراسا ،واتخذ العلم أساسا، والحلم شعارا، والكرم دثارا، والدين قواما، والسياسة الشرعية نظاما، مولانا أمير المؤمنين ابن مولانا أمير المؤمنين الذى جعله الله خير آية ناسخة، وأثبت له فى الكمالات قدما راسخة، نخبة الخلافة العلوية، وجوهرة عقد المملكة الاسلامية، المتفاءل باسمه، فى حفظ الإسلام ورسمه، أبو المعالى مولانا عبد الحفيظ بن مولانا الامام المقدس بالله سيدنا الحسن ابن ساداتنا الملوك الكرام، المقدسين فى دار السلام، لما ألقى الله له فى قلوب الخلائق من الحب الجميل، والاعتقاد الذى هو بنصرة الدين كفيل فحبذا من إمام تهتز لذكره أعطاف المنابر، وتتقلد من شريف دعوته بأبهى من نفيس الجواهر، وتستضئ البلاد بإكليل شرفه الزاهر، وتسكن العابد تحت ظله المؤيد الوافر، أبقى الله أيامه، بقاء يستصحب النصر دوامه وخلد له ولأعقابه هذا الأمر الكريم إلى يوم القيامة، فانتدب من وقفت بهم مطية التوفيق، على حضرة الإخلاص والتصديق، وأخذت بهم أزمة السعادة إلى حيث الفوز برضا الله ورسوله حقيق، من جميع أهل فاس الإدريسية، لا زالت مصونة محمية، وسائر أشرافهم ورماتهم وعلمائهم وقضاتهم وكبرائهم ونقبائهم ومرابطيهم وصلحائهم وأعيانهم وخاصتهم وعامتهم وكذلك أهل فاس الجديد، لشمول التوفيق لهم والتسديد، على تقليد الجمع بيعة مولانا أمير المؤمنين المذكور، المختص بالسعد الباهر واللواء المنصور بيعة تؤسس على تقوى من الله ورضوان، ويشهد عقدها الكريم ملائكة الرحمان.

فبايعوه كلهم على الأمن والأمانة، والعفاف والديانة والعدل الذى يشيد

للمجدار كانه، مبايعة شائعة على عقدها الكريم بحكم الوفاق، وعموم الاتفاق، والمواثيق الشديدة الوثاق، وبجميع الأيمان، الصادقة الإيمان، أعطوا بها صفقة أيديهم، ورفع العقيرة بها مناديهم.

وندبوا إليها سائر القبائل التى بنواحيهم، عارفين أن يد الله فوق أيديهم وأمضاها الكل المجموعى والجميعى على السمع والطاعة، والانتظام فى سلك الجماعة إمضاء يدينون به فى الجهر والسر، والعسر واليسر، والتزموها رغبة منهم وطوعا، واستوعبوا شروطها أصلا وفرعا، وجنسا ونوعا، خالصة صادقة وعدة من الله بالخير لهم سابقة، وسعادة بالحسنى لاحقة، أبرءوا عقدها، وأحكموا عهدها، وعرضوا عليها أفرادا وأزواجا، وزمرا وأفواجا، وناداهم داعى السعادة إعلانا، لقوله تعالى «فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا».

وكيف لا وهو المتصف بالكفاية الشرعية التى بينت فى كتب الفقه بأن يكون مهتديا إلى مصالح الأمور وضبطا، ذا نجدة فى تجهيز الجيوش وسد الثغور، وذا رأى مصيب فى النصر للمسلمين، لا تروعه هوادة النفس عن التنكيل لمستوجبى الحدود. انتهى.

فقد جعله الله زمام الأمور ونظام الحقوق والقطب الذى عليه مدار الدنيا وهو حمى الله فى بلاده، وظله الممدود على عباده، به يمتنع حريمهم وينصر مظلومهم وينقمع ظالمهم ويَأْمَنُ خائفهم قال تعالى:

الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف. الآية، وقال أبو هريرة رضى الله عنه: «لما نزلت آية أطيعو الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم قد أمرنا بطاعة الأئمة وطاعتهم من طاعة الله»، وفى الحديث عن مولانا على كرم الله وجهه: «إمام عادل خير من مطر وابل» وفى الحديث السلطان ظل الله فى الأرض ورمحه، وفى الحديث من أجل سلطان الله أجله الله

وفى الحديث المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وفى الحديث: «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» وسئل سهل أى الناس خير؟ فقال: السلطان، لأن لله فى كل يوم نظرتين نظرة إلى سلامة أموال الناس، ونظرة إلى سلامة أبكارهم فيطلع فى صحيفته فيغفر له ذنوبه

وفى السراج ليس فوق السلطان العادل منزلة إلا نَبِىٌّ مرسل أو ملك مقرب.

وقالت الحكماء: أسوس الناس برعيته من قاد أبدانها بقلوبها وقلوبها بخواطرها وخواطرها بأسبابها ولا غرو أن مولانا أمير المؤمنين، الذى انتظمت بيعته فى أعناق المسلمين، أجل من صدقت فيه ظنونهم ونياتهم، وتوجهت إليه آمالهم وأمنياتهم، ومدت له الرعية أزمتها، وقدمت إليه الوفود أعنتها، راجين من شريف همته، وكريم عنايته، أن يلبسهم رداء نعمته. وينزلهم ظل كرامته، ويعمهم بسيرة المعدلة، ويشملهم بالحلم والفضل والرحمة المكملة، ويسعى جهده فى رفع ما أضر بهم من الشروط الحادثة فى الخزيرات، حيث لم توافق الأمة عليها ولا سلمتها ولا رضيت بأمانة من كان يباشرها ولا علم لها بتسليم شىء منها وأن بعمل وسعه فى استرجاع الجهات المأخوذة من الحدود المغربية وأن يباشر إخراج الجنس المحتل من المدينتين اللتين احتل بهما ويزين صحيفته الطاهرة بحسنة استخلاصهما، وأن يستخير الله فى تطهير رعيته من دنس الحمايات والتنزيه من اتباع إشارة الأجانب فى أمور الأمة، لمحاشاة همته الشريفة عن كل ما يخل بالحرمة.

وإن دعت الضرورة إلى اتحاد أو تعاضد فليكن مع إخواننا المسلمين كآل عثمان وأمثالهم من بقية الممالك الإسلامية المستقلة، وإذا عرض ما يوجب مفاوضة مع الأجانب فى أمور سلمية أو تجارية فلا يبرم أمرا منها، إلا بعد الصدع به للأمة، كما كان يفعله سيدنا المقدس الحافظ للذمة، حتى يقع الرضا منا بما لا يقدح فى دينها ولا عقائدها ولا فى استقلال سلطانها.

وأن يوجه أيده الله وجهته الشريفة لاتخـاذ وسائل الاستعداد، للمدافعة عن البلاد والعباد، لأنهـا أهم ما تصرف فيه الدخائر والجـبايات، وأوجب ما يقدم فى البدايات والنهايات، وأن يقر بفضله العيون والنفوس، برفع ضرر المكوس، ويحقق رجاء خـدامه وكـافة رعاياه بالذب عن حـرماتهم ودمـائهم وأموالهم وأعـراضهم وصيانة دينهم وحياطة حقوقهم، وتجديد معالم الإسلام وشعائره بزيادة نشر العلم، وتقويم الوظائف والمساجـد، وإجراء الأحباس على عملها القـديم، وانتخاب أهل الصلاح والمروءة والورع للمناصب الدينية.

وكف العمال عن الدخـول فى الخطط الشرعية، وترك مـا أحدث من الجمع المستلزم لاستبـداد الرؤساء بتنفيذ مراداتهم فى القضايا والأغـراض لما تحقق والحمد لله من كمال أوصاف مولانا الإمام، واعتماد المسلمين على كفايته فى الأمر الخاص والعام.

فهـو أيده الله العضب الكافى، ورأيه العلاج الشـافى، ومما يقتضيـه حسن سيرته وكمال وفائه جميل الصنع بشريف القرابة وتقريب الصالحين، واعتبار مقادير الأشراف وأهل الـعلم والدين وإقرار ذوى الحـرمة على مـا عهد لهم مـن المبرات والاحترام، وظهـائر الملوك الكرام، وإبعاد الطالحين، وإخساء المفـترين والواشين، ومعـاملة المؤمنين، بما تعودوه منه من أسـلافه المقدسـين، من إيثار العـفو والحلم والإناة. وتجديد مـآثر الخير فى حـالة العز والثبـات وحسن الظن بسـيدنا أيده الله حمل أهل مملكته الشريفـة المتيمنين بكريم بيعته المنيفة علـى أن صدعوا لجلالته بما أثرت فيه مضرته، عالمين أنهم لا يكشف مـا بهم إلا عناية مولانا المنصور وهمته، ومستـسلمين مع ذلك إلى الله بالقلوب الخاشعـة، ومبتهلين بالأدعيـة النافعة، أن يعرفهم الله خير هذا العقد الكريم بدءا وختاما ويمنحهم بركته التى تصحبهم حالا ودواما، لا رب غيره ولا خير إلا خيره، أشهـدوا على أنفسهم بما فيه عنهم عموما

والواضعـون أشكالهم عقـبه خصـوصا وهم عارفـون قدره وأكـمله وفى فاتح ذى الحجة الحرام عام خمسة وعشرون وثلاثمائة وألف.

ولما خرج المولى عبد العزيز المخلوع إلى إرجاع مراكش لطاعته انكسر ورجع إلى الدار البـيضاء، فـبايعت طنجـة أخاه المذكور يـوم الأحد ٢٤رجب ١٣٢٦ ثم العرائش والعـدوتان سلا، وَالرباط _ وكانت بيـعتهمـا فى يوم الثلاثاء ٢٦ رجب المذكور _ ثم الجديدة وآزمور يوم ٢٨ منه ثم الصويرة يوم الأربعاء ١٢ شعبان عامه وهكذا.

وكانت هذه البـيعات مـبعث ارتياح واسـتبشار من الناس بـسلطانهم الجديد العالم فطفقوا يتـفاءلون باسمه ويرجون أن يكون له من اسمه نسبـة فتحفظ البلاد من أرزاء التفكك والانحلال، ويعود لها ما انتـقص من أطرافها، وقال الشعراء فى ذلك مظهرين شعور الأمة فكان من جملة ما قـيل قول الأديب الكبير السيد أحمد ابن قاسم جسوس:

بشـــرى الخـلائـق لا تزال تزيد هذا زمـــان كـل آنه عـــيـــد
ذهب العناء جـمـيعـه وتتـابعت زمـر الـهناء بسـيطهـا ومـديد
والبـشـر باد والـسـرور مـوفـر والأنس يبـدى مـا يشـا ويعـيـد

وهى قصيدة من غرر منشآته.

وقد حققت الأيام بعض ما كانوا يرجون على يديه، فقبض على أبى حمارة كما تقدم تفصيل ذلك قريبا، ولجسوس المذكور قطعة فى ذلك يقول منها:

لله من نـبـأ غـــدت أفـراحـــه تتـــرى لـدينا بالـنعـــيم الـطيب
نبـأ الشـقـى المارق الفـدم الذى كم شب مـن نار بقطـر المغـــرب

نبـأ الخبـيث أبى حمـارة والذى هو فى المـنابت لم يـكن بالطـيب

أشقـى الورى فى عصـره وقداره وغـــروره بتـــمـــرد وتـوثب

ولكن الفتق كان فوق قدرة الراتق فـرغما عن هذا كله لم يزل الأمر ينحل، والرعية تتجرأ وتتمرد، إلى أن كان مما لست أذكره.

هذا بعض مما حدث بموت المترجم أحمد بن موسى.

ولو تتـبعـنا الأحداث التى وقـعت بموته وتفـاصـيلها لاحـتـجنا لمجلدات، وبالجمـلة فترجـمة هذا الرجل طويلة الـذيل، بعيدة الـنيل، ما أجدرها بـأن تفرد بالتأليف ولبعض الشامـيين نزلاء المغرب فيه تصنيف سماه «الثغـر البسام» فى مآثر الوزير «أحمـد بن موسى الهـمام» فى مجـلد وسط أتى على تفاصـيل من أحوله وسياسته ومزاياه وترجم لعدة من علماء المغرب بفاس والرباط.

٧٤ - أحمد أبو العـباس ابن الحاج عبد القادر بـن علال العرائشى المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: له معرفة بالفقه والنحو والفرائض، ومهارة تامة فى الحساب والتوقيت والتعديل، ومـعرفة الطوالع وأحكام النجوم والأوفـاق والرمل، تولى خطة الكتابة مع شيخه العلامة الحاج المختـار بن عبد الله، ثم الأمانة على أمراس خزن الحبوب والزيوت المولوية التى تجبى من أعشار الإيالة المغربية ثم الكتابة مع محتسب مكناس الحاج محمد بن العربى أجانا، ثم انسلخ عن ذلك كله وأقبل على تدريس الحساب والتوقيت والتعديل، ودرس القلصادى، ومنية ابن غازى، والمقنع وروضة الأزهار، وعمل الربع المجيب، والرسالة الستينيـة فى الضرب، والقسمة، وتسهيل المطالب، ومنهـاج ابن البنا، وابن العاشـر، والجروميـة، والألفيـة وغيـر ذلك فنفع الله به أقواما.

---

٧٤ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٢٤

مشيخته: اخذ عن العلامة الحاج المختار مختصر خليل والألفية، وعلى غيره ممن هو فى طبقته من أعـلام وقته، وأحذ التعديل والحساب والتـوقيت وغير ذلك عن موقت مكناس السيـد الجيلالى[1] الرَّحالى، وعن ميقـاتى فاس السيد إدريس الحبابى، وبه كان كامل إنتفاعه.

الآخذون عنه: أحذ عنه الأستاذ المعدل أبو محمد عبد القادر بن المعطى دعى الصبيع بالتصغير، والوجيه الميقاتى الطالب العلمى بن رحال والعدل الفقيه ابو على الحسن المنونى، والطالب مصطفى بن موسى وخلق.

وفاته: توفى رحمه الله فى ذى الحجة عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف ودفن بالزاوية الناصرية من الحضرة المكناسية.

٧٥ - أحمد بن الطالب بن سودة المَرِّى.

قاضـيهـا أبو العبـاس، وسودة بفـتح السين وسكـون الواو كما فـى شرح القاموس، وضم السين هو الجارى على الألسنة.

حاله: كان أعـجوبة الدهر، وفريد العصر، فـقيها مشـاركا بحرا لايدرك له ساحل، جبلا راسخا فى العلم والإتقان والتحـرير والتحبير، عزيز المماثل، فارس مقدمة الفنون، محيط بعنوان تراجمها وأبواب وأسرار سرها المصون، عارفا بمعانيها وبديع محاسنها مع بيـان ما انطوت عليه من فصيح الكلام وبليغـة، من غير تنافر ولا مخالفـة قياس فى تأديته وتـبليغه، حسن الإلقـاء والتعبير، لا تـكدر قاموس إملاءاته دلاء الباحثين، جهبذ حلاحل، بعيد الشأو فى تحرير عويص المسائل.

تولى نيابة قضاء مكناسـة الزيتون بطلب من أخيه قاضيهـا أبى عيسى المهدى حسبما وقفت على جواب الوزير إذ ذاك للقاضى المذكور بإسعاف رغبته ونصه بعد الحمدلة:

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «الجيلانى» وصوابه من إتحاف المطالع فى الموسوعة ٨/ ٢٧٨٩.

٧٥ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع ٨/ ٢٨٣٣ فى موسوعة أعلام المغرب.

«محبنا الأرضى، العـلامة الأحظى، السيد المهـدى بن سودة، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا نصره الله، وبعد: فقد أنهينا لمولانا أيده الله ما ذكرت لنا فى شأن ما أردت من إستنابة أخيك الفقيه السيد أحمد فيما يكون من الدعاوى الصغار، فأذن لك فى ذلك أثمر الله غرسه والسلام، فى رابع رجب الفرد عام خمسة وسبعين ومائتين وألف محمد الصفار وفقه الله».

ثم تولى خطة القضاء بآزمـور مؤقتا عام خسة وثمـانين ومائتين وألف على عهـد السلطان سيدى مـحمد، ودونك نص ظهـير توليتـه بعد الحَمْـدَلة والصلاة والطابع السلطانى المحمدى:

«أحبـاؤنا أهل آزمور كـافة أعـانكم الله وسلام عليكـم ورحمة الله تـعالى وبركاته، وبعد: فإننا قلدنا الفـقيه السيد أحمد بن سودة خطة القـضاء بذلك الثغر السعيـد على سبيل قضـاء الحاجة مدة مـحدودة، وأياما معدودة، وأمـرناة بفصل الخصوم، ومطالعة الرسوم، والحكم بمشـهور مذهب الإمام مالك، أو بما به العمل سالكا فـى ذلك أوضح المسالك، فعلـيه بتقـوى الله العظيم ومراقـبتـه، فى سره وعلانيـة، وعليكم بالسمع والطاعـة، وتنفيذ جـهده قدر الاسـتطاعة، والله ولى التوفيق، والـهادى إلى سواء الطريق، والسلام فى مـتمم رجب الفرد عام خـمسة وثمانين ومائتين وألف».

ثم طلب الإعفاء بواسطة الحاجب السلطاني إذ ذاك موسى بن أحمد فأسعف السلطان رغـبتـه، وقفـت على جواب الحـاجب المذكور له عـن طلبه ولفظه بعـد الحمدلة والصلاة:

«محبنا الفقيه العلامة القـاضى أبا العباس سيدى أحمد بن الطالب بن سودة سلام عليكم ورحـمة الله عن خير مولانا نـصره الله، وبعد: فقد وصلـنا كتابك مجددا العهد بنا وسائلا عن أحوالنا، فأنا سائل عنك كذلك ونطلب الله أن يسلك

بنا وبكم أحسن المسالك، وعلمنا أنك تتشفع لنا بمولانا نصره الله فى نقذك مما كلفت به لأنك أتيت على الأمر المحدود وطالبا أن تكون من العلماء الناشرين للعلم بالقرويين إذ هو الأسلم لدينك والأزكى لدنياك، ومستغيثا أن تحشر فى زمرة ورثة الأنبياء لا زمرة القضاة، فقد أنهينا ذلك لمولانا نصرة الله ويسر الله فى قضاء الغرض، وكتب مولانا أيده الله لنجله وخليفته الأسعد مولانا الحسن حفظه الله بأن ينظر من مراكش فقيها يصلح للغرض المذكور، وقد توجه له كتاب سيدنا أعزه الله بذلك وعلى محبتكم وطالب صالح دعائكم، والسلام فى رابع قعدة عام ١٢٨٥، موسى بن احمد لطف الله به».

ثم عين فى جملة من عين من الأعلام للتوجه لطنجة بقصد فصل قضايا الأجانب مع الأهالى.

ثم فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين وألف ولى قضاء ثغر طنجة فى ثانى ربيع الثانى حسبما يظهر توليته ودونك لفظه:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ثم الطابع السلطانى الشريف بداخله الحسن بن محمد وليه ومولاه:

يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وجعل فيما يرضيه سبحانه لفه ونشره، أننا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، ولينا خطة القضاء بثغر طنجة المحروس بعناية الله الفقيه الأجل الأرضى السيد أحمد بن سودة لما علمناه فيه من الجد والتحرى والوقوف فى حقوق العباد، واتباع طريق الرشاد، وأسندنا له النظر فى فصل الخصوم، وتصفح الرسوم والحكم بمشهور مذهب الإمام مالك، رضى الله عنه أو ما به العمل، فنعهد إليه أن يراقب الله تعالى فى ذلك، وأن يسلك فيه أحسن لمسالك، وأن يقوم بأمره فى حق المشروف والشريف، والقوى والضعيف،

فنسأل الله أن يسدده ويوفقه لما فيه رضاه أمين، والسلام فى ثانى ربيع الثانى عام ١٢٩٢».

ثم فى ثالث قعدة الحرام عام ثلاثة وتسعين - بتقديم المثناة على السين - ومائتين وألف أسند إليه النظر فى جميع القبائل المضافة لطنجة وفوض له فى قضاة باديتها بالتولية والعزل، ودونك نص الظهير الصادر له بذلك:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه، ثم الطابع الشريف بداخله الحسن بن محمد بن عبد الرحمن، الله وليه وبدائرته:

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد فى آجامها تجم

من يعتصم بك يا خير الورى شرفا الله حافظه من كل منتقم

يتعرف من كتابنا هذا أسمى الله قدره، وأعز أمره، وجعل فيما يرضيه سبحانه لفه ونشره، أننا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته.

ولينا الفقيه السيد أحمد بن الطالب ابن سودة خطة القضاء بطنجة حرسها الله وبجميع القبائل المضافة إليها المحسوبة من عمالتها، وأذنا له فى تصفح الرسوم، والفصل بنى الخصوم، والحكم من مذهب الإمام مالك بالمشهور أو ما به العمل عند الجمهور.

وفى تفقد أحوال قضاة بادية العمالة المذكورة، وعزل من لم يصلح منهم، وتولية من يصلح فعليه بتقوى الله ومراقبته، والتحرى جهد استطاعته، وليتذكر ما ورد فى حق أهل العدل من الوعد بالثواب والجنة، وفى حق أهل الجور من الوعيد بالعقاب والمحنة، وقوله عليه الصلاة والسلام قاضيان فى النار وقاض فى الجنة، ويعلم أن الله تعالى يراه، وأن جميع أحكامه تعرض عليه فى أخراه ،ونطلب الله أن يسدده ويوفقه لما يحبه ويرضاه.

والسلام فى ٣ ثالث قعدة الحرام عام ١٢٩٣ .

ثم ولى ضاء مكناسة الزيتون والخطابة بجامع قصبتها السلطانية عام أربعة وتسعين ومائتين وألف، وفق ما بظهير توليته ونصه بعد الحَمْدَلة[١] والصلاة والطابع السلطانى الحسنى:

يعلم من كتابنا هذا الراقى فى أوج اليمن والسعادة قدره، النافذ بعزة الله فى البسيطة نهيه وأمره، أننا بقوة الله وحوله، ومنته وطوله، ولينا الفقيه الأرضى السيد أحمد بن الطالب ابن سودة خطة القضاء بمكناسة الزيتون وزهون، وأذنا له فى تصفح الرسوم، وفصل الخصوم، والحكم بينهم من مذهب الإمام مالك بالمشهور، أو بما جرى به العمل عند الجمهور فعليه بتقوى الله ومراقبته، والتحرى جهد استطاعته، وليتذكر وعدا منجزا ووعيدا، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود له أن بينها وبينه أمدا بعيدا، ويعلم أن الله تعالى سائله عما حكم به وقضاه، وأنفذه وأمضاه، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا، والأمر يومئذ لله، ونطلب الله تعالى أن يوفقه لما يحبه ويرضاه.

والسلام فى عاشر رمضان عام أربعة وتسعين ومائتين وألف.

وأسند له تولية النظر فى محاسبة نظار جبل زرهون ومكناس وقفت على إقرار السلطان المولى عبد العزيز له على ذلك، ودونك لفظه بعد الحَمْدَلة والصلاة والطابع السلطانى:

أقررنا بحول الله وقوته ماسكه الفقيه الأرضى القاضى السيد أحمد ابن سودة على ما تضمنه كتاب سيدنا المقدس الذى بيده من الإذن له فى محاسبة كافة نظار مساجد مداشر زرهون على نسق محاسبته مساجد مكناس ومسطرتها عندهم إقرارا تاما، وفى خامس عشرى صفر الخير عام اثنى عشرة وثلاثمائة وألف.

---

(١) حمدل: قال: الحمد لله.

كما كان تولى قبل ذلك الخطابة بضريح الإمام الأشهر، مولانا إدريس الأزهر، وبقيت بيده إلى أن لبى داعى مولاه ثم صارت لولده من بعده إلى الحين الحالى.

ورحل المترجم إلى الحج عام سبعة وستين ومائتين وألف على عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام فى رفقة أنجاله المذكورين فى ترجمة أخيه القاضى أبى عيسى المهدى رحمه الله فحج وزار، ولقى فطاحل مشايخ تلك الديار، ودخل مصر والإسكندرية وتونس وأفاد واستفاد.

مشيخته: أخذ بفاس عن أخويه الحاج المهدى، والحاج عمر، وعن الشيخ الطالب ابن الحاج، والقاضى ابن كيران، والشيخ بدر الدين الحَمُّومى والفقيه الكردودى، والفقيه ابن عبد الرحمن، وسيدى عبد السلام بو غالب وغيرهم.

وبمكة عن الحافظ العارف أبى عبد الله محمد بن على السنوسى الجغبوبى الطرابلسى.

وبالإسكندرية عن الشيخ مصطفى ابن محمد الكبابطى الجزائرى المتوفى بالإسكندرية سنة ثمان وستين ومائتين وألف.

وبتونس عن الشيخ محمد بن أحمد النيفر وأجازه الثلاثة الأخيرون عامة وغيرهم.

الآخذون عنه: أخذ عنه جل بل كل شيوخ العلم بمحروسة فاس ومكناس وغيرهما من بلاد المغرب كشيخنا أبى عيسى المهدى الوزانى العمرانى مفتى الديار الفاسية، وشيخنا العلامة أبى العباس أحمد بن المأمون الشريف البلغيثى قاضى مكناسة الحالى، وشيخنا الناقد الخبير أبى العباس أحمد بن الجيلالى[1] الفيلالى الأمغارى ومن فى طبقاتهم، وشيخنا العلامة أبى عبد الله محمد بن عبد السلام

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «الجيلانى».

الشريف الطـاهرى المكناسى قاضى مكناسـة سابقا انتـفع به كثـيرا، وكان يخـصه بدروس بداره كمـا أخبرنى لذاك قدس الله ثراه شـفاهيا، وشيـخنا الفقيه الـعلامة السيـد الحاج المختـار بن عبد الله، وحـبنا المعقولى الناظم النـاثر الغالى بن المكى السنتيسـى، وشيخنا ابى عبد الله مـحمد بن الحسـين العرائشى، ووالدنا روح الله روحه، وخلق.

تآليفه: منها حاشية على صحـيح البخارى حكى لى غير واحد من شيوخى أنها فى أعلى طبقـة من النفاسة والتحرير، وتحرير المقال، وشـرح على الشمائل، وحاشيـة على المنطق لم تكمل، وشرح على الهـمزية إلى قوله ليتـه خصنى برؤية وجه، وختمته لصحيح البخارى وغير ذلك.

ومن بديع ما وقفت عليه من استنباطاته ما نقلته من خطه على هامش رحلة العـيـاشى لما تكلم على تاريخ أخـذ السلطان سليم مـصـر: قـد رام بعض الناس استخـراج دولة سيدنا ومولانا وإمامنا المنعم علينا بكل طارف وتليـد مولانا الحسن أبقى الله فخره وعـلاه، من حديث: «لا تزال طائفة من أمتى»... إلخ فاسـتخرج من ذلك ما تمجه الأسماع، ففكرت فى ذلك فألفيت على طائفة من أمتى هو عدد دولة الحسن ابنى وبنيـه بعد فانتظم الحديث هكذا: لا تزال دولة الحـسن ابنى وبنيه بعد ظـاهرين على الحق... إلخ، ولما أطلعتـه أعزه الله ونصـره على ذلك أثابنى عليه بعطية سنية لها بال، كثر الله خيره وأدام عزه ونصره ومتعنى والمسلمين بطول حياته آمين، وذلك فى شوال عام ١٣٠٥ .

ومن مفاداته أيضا الدالة على عنايته بالتقييد ما لفظه ومن خطة نقلت:

الحمد لله الذى اسـتقر عليه عـمل سيدنا ومولانا أميـر المؤمنين، مدة تنيف على العشر سنين، فى سـرده لصحيح الإمام البخارى فى الثـلاثة الأشهر أنه يقرأه فى ستة وثلاثين نصابا، وبيـان أول كل نصاب هكذا، ١ بدء الوحى ٢ الوضوء ٣

التيمم ٤ المواقيت ٥ الصف الأول ٦ أبواب العيدين ٧ فضل الصلاة بمسجد مكة ٨ الزكاة ٩ سقاية الحاج ١٠ فضائل المدينة١١ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا ١٢ كتاب الشرك ١٣ الهبة للولد ١٤ وابتلوا اليتامى ١٥ الجهاد بإذن الأبوين ١٦ بدء الخلق ١٧ ولقد آتينا لقمان الحكمة ١٨ مناقب عثمان ١٩ هجرة النبى ﷺ ٢٠ غزوة الحديبية ٢١ حديث كعب بن مالك ٢٢ سورة الأنعام ٢٣ سورة لقمان ٢٤ سورة والشمس وضحاها ٢٥ قوا أنفسكم و أهليكم نارا ٢٦ وهزى اليك بجذع النخلة ٢٧ الرقى بالقرآن ٢٨ الأدب ٢٩ أحب الأسماء إلى الله ٣٠ الوضوء عند الدعاء ٣١ الأيمان والنذور ٣٢ فمن لم يستطع منكم طولا ٣٣ تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح ٣٤ كتاب التمنى ٣٥ عالم الغيب والشهادة ٣٦ والله خلقكم وما تعلمون.

ولادته: وجدت بخطة أنه ولد ليلة الثلاثاء تاسع عشرى رجب عام واحد وأربعين ومائتين وألف:

وفاته: فى بفاس عن خطته اثر شروق شمس صبيحة يوم الجمعة فى الساعة السابعة عاشر رجب عام واحد وعشرون وثلاثمائة وألف، ودفن بعد العصر من يومه بزاوية الشرادى قبالة درب الدرج[1] من فاس.

٧٦ - أحمد بن إدريس الخطابى أبو العباس المرابط الزرهونى.

من زاوية مولانا إدريس.

حاله: فقيه ماجد، تولى نيابة القضاء بزاوية زرهون عن أبى عباس بن سودة المترجم قبله يليه واستمر على نيابته إلى أن توفى عنها.

مشيخته: أخذ عن جمع من شيوخ فاس، وسمع البخارى على العلامة سيدى الفضل الحسنى الشبيهى بزرهون.

(١) فى المطبوع: الدروج، والمثبت من ترجمته فى الموسوعة.

وفاته توفى ببلدة ليلة يوم الأربعاء الخامس او السادس من جمادى الثانية عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف.

٧٧ - أحمد بن الفاطمى بن محمد بن محمد بن النقيب مولاى عبد القادر الشريف الإدريسى الشبيهى.

من زاوية زرهون.

حاله: نشأ فى عفاف وصيانة، ومهر فى علم الحساب، وله معرفة بالهيئة والتعديل والتنجيم والجدول والأسماء حسبما ذلك بخط ولده المولى محمد، تولى رياسة فن الحساب فى وقته، وأكب فى آخر عمره على العبادة والتلاوة والأذكار، والتهجد فى الأسحار، والاعتكاف وملازمة الزاوية الدرقاوية والمسجد الجامع ولم يزل على ذلك إلى أن لبى داعى مولاه.

مشيخته: أخذ عن الشيخ عبد الله ابن الخياط العطار شهر بـ«اسى الخياط» وعن الإمام النظار شيخ الجماعة بفاس سيدى محمد بن عبد الرحمن الفيلالى الحجرتى، وأبى العباس أحمد بن محمد المرنيسى، وسيدى أحمد بنانى، وسيدى عبد السلام بو غالب، وسيدى محمد بن حمدون بن الحاج السلمى المرداسى ومن فى طبقتهم من شيوخ فاس وقاداته، وكان يحضر دروس أخيه العلامة مولاى الفضيل، وأخذ الطريقة الدرقاوية عن سيدى مالك بن خدة دفين الزاوية.

الآخذون عنه: أخذ عنه علم الحساب ولده سيدى محمد، وجماعة من طلبة الزاوية الإدريسية

ولادته: كانت ولادته قبل ولادة أخيه سيدى الفضيل بثلاثة أعوام، وذلك أواسط العشرة الخامسة من المائة الثالثة بعد الألف.

وفاته: توفى رحمه الله بفاس القرويين سادس عشرى قعدة الحرام عام أربعة

وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة بنونة بسيدى على بو غالب، رضى الله عنه وأرضاه

٧٨ - أحمد بن محمد بن عزوز أبو العباس.

حاله: كان فقيها وجيها عدلا مبرزا موثقا فرضيا حيسوبيا ماهرا، له معرفة حسنة بالنوازل، ويحفظ التحفة ولامية الزقاق حفظا متقنا، من أجل الناس وأتقاهم، يقصده وجهاء بلده وغيرهم فى مهمات إشهاداتهم.

مشيخته: أخذ عن السيد الحاج المهدى بن سودة، وأخيه الحاج احمد، والحاج مبارك، وابن الجيلالى[1] السقاط، والمفضل ابن عزوز، والسيد المختار الأجراوى ومن فى طبقتهم من جلة الشيوخ.

وفاته: توفى فى ربيع الثانى عام ثلاثة وعشرون وثلاثمائة وألف ودفن بالزاوية الجيلالية من بلدة مكناسة الزيتون.

٧٩ - أحمد بن شيخ الجماعة فى وقته بمكناس السيد مبارك بن عبد الله السلجلماسى.

حاله: كان فقيها عالما نحريرا أستاذا، رحل إلى درعة واستوطنها واستفاد فيها وأفاد.

مشيخته: أخذ عن والده وغيره ممن فى طبقته من الشيوخ، يروى عن والده دلائل الخيرات، وهو يرويه عن أبى حفص عمر بن المكى الشرقاوى عن شمهروش الجنى، عن مؤلفه ابن سليمان وبالسند إلى شمهروش عن النبى ﷺ يروى: اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما بقدر عظمة ذاتك فى كل وقت وحين، وأن مرة واحدة منها تعدل بستمائة فدية من النار. انتهى. أجاز له والده عامة.

---

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «الجيلانى» وصوابه من ترجمته فى إتحاف المطالع فى الموسوعة ٨/ ٢٧٦١.

الآخذون عنه: منهم صديقنا المؤرخ الناقد السيد عبد الحفيظ بن الطاهر الفاسى أنه أجازه عامة.

وفاته توفى بدرعة عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف.

٨٠ - أحمد بن الحاج رحال البخارى.

حاله: لين العريكة رقيق الطبع حسن الخلق والخلق مزحه جد مشتغل بما يعنيه عدل رضى وجيه نزيه، حيى نبيه فقيه، مجود تال ذاكر خاشع ناسك، محب فى آل بيت الرسول، لا يفارق نبهاء أعيانهم حتى كان يعتقد من لا يعرفه أنه شريف النسبة، تولى خطة العدالة عام سبعين ومائتين والف وكان يقرئ الصبيان، وينوب عن أمين أمناء الحضرة المولوية المكناسية السيد بوعزة بن العربى الفشار فى خطة أبى المواريث وغيرها، نسخ بخط يده كتابا عديدة، وكان له إلمام بالحساب والتوقيت، أخبرنى ولده العدل الرضى السيد العلمى أنه أخبره أنهم من ذرية ولى الله سيدى عبد القادر المدعو بوالكرينات - بالكاف المعقوده دفين دار ام السلطان وأحاله فى رفع نسبهم إليه على عمه شقيق المترجم الأستاذ السيد عياد ،ومع الأسف فإنه لم يلق بالا للسؤال عن ذلك، وفات استدراك تحقيق ذلك بموت الوالد وشقيقه.

مشيخته: أخذ عن شيخ جماعة القراء فى وقته بالحضرة المكناسية الأستاذ السيد اليزيد والعدل البركه السيد ابن يشو البخارى وغيرهم.

الآخذون عنه: منهم ابن عمنا العلامه الأصيل مولاى إدريس ابن السلطان مولانا سليمان المترجم فيما يأتى كان يكتب له كل يوم نصف حزب من القرآن فى لوحه ويكرر معه كذلك خمسه أحزاب مياومة بضريح سيدى محمد الغمارى المترجم فى المحمدين.

وفاته: توفى أواخر شوال الأبرك سنة تسه وعشرين وثلاثمائة وألف ودفن بوسعة ضريح سيدى عمرو الحصينى رضى الله عنه.

٨١ - أحمد بن محمد بن المأمون بن هشام بن محمدبن عبد الله بن فخر الملوك وجد سلاطين المغرب المولى إسماعيل.

حاله: كان وجيه نبيها حييا أريحيا تاليا لكتاب الله ذا تؤدة وصوت حسن مائلا إلى الأدب ماهرا فى الحساب ومعرفة أحكام الزناتى والرمل والجدول ومخالطة فن التنجيم.

مشيخته: أخذ عن شيوخنا الجلة منهم السيد محمد القصرى، والسيد محمد ابن الهادى الفيلالى، وسيدى حسن بن اليزيد وشيخنا العرائشى، وعن السيد فضول العرائشى موقت مسجد الضريح العلمى وغيرهم.

وفاته: توفى رحمه الله عام ثلاثين وثلاثمائة وألف ودفن بالضريح الإسماعيلى.

٨٢ - أحمد بن الجيلالى[1] الطَّهَارى.

من أهل الزاوية الإدريسية.

حاله: كان فقيها عدلا تولى نيابة القضاء ببلده مرتين ثم أعفى ومات فجأة وذلك أنه صبيحة يوم وفاته خرج للتفسح مع عياله فى بستان له بضواحى الزاوية وظل به مع أهله فى أنس ونشاط وبعد أن تناول الغذاء معهم تقدمهم فى الرجوع لمنزله فأدركته منيته فى الطريق فمات من حينه قبل وصوله لمنزله.

وفاته: توفى عشية يوم الخميس سادس عشرى رجب عام ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة وألف.

---

٨٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٨/ ٢٨٨٨.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «الجيلانى» وصوابه من ترجمته فى إتحاف المطالع.

٨٣ - أحمد بن القائد محمد الشاذلى البخارى.

حاله: كان فقيها حيسوبيا ماهرا متضلعا فى جميع أنواعه وله المام تام بمهمات فن الهندسة وجهه السلطان سيدى محمد لقراءة الفنون المذكوره بحاضرة فاس.

مشيخته: أخذ عن الولى أحمد الصويرى المتوفى بمراكش عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف وعمن فى طبقته من المتضلعين المشار لهم فى الفن.

الآخذون عنه: منهم السيد محمد بن المدنى المكلف فى دور الدولة العزيزية بخزائن العدة والسيد محمد الرجراجى وغيرهما.

وفاته: توفى عام سبعة وثلاثين وثلاثمائة وألف بالحضرة المكناسية.

٨٤ - أحمد بن العالم - اسما - ابن عبد الله الشريف القادرى.

الرباطى النشأة والدار والوفاة.

حاله: كان علامة نقادا أديبا نزيها وقورا حييا متواضعا ذا سكينة وتؤدة بساما فى وجوه الطلبة، صدر لخطة الشهادة أواخر المائة الثالثة عشرة، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى، وكان من ذوى الوجاهة التامة مبجلا عند سائر قضاة بلده وحكامها وكافة أهاليها واستخدم خدمات سلطانية فى بعض البلدان كطنجة والعرائش والحديدية ومراكش ومكناسة الزيتون وكانت خدمته بمكناسة أواخر الدولة العزيزية ورحل لحج بيت الله الحرام، وزيارة روضة الحبيب الأعظم عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، أواخر هذه المائة.

مشيخته: أخذ عن شيخ الجماعة برباط الفتح أبى إسحاق السيد إبراهيم التادلى المتوفى بعد غروب يوم الخميس لسبع عشرة خلت من ذى الحجة عام أحد عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بمحل درسه من دار سكناه رحمه الله تعالى ورضى عنه لازمه فى كثير من دروسه الفقهية والحديثية والعربية، وأخذ عن الفقيه المفتى

السيد الجيلالى[1] ابن إبراهيم الرباطى المتوفى فى أواسط جمـاى الأولى عام ستة وثلاثين وثلاثمائة وألف، وعن الفـقيه الصوفى العلامة الـشهير السيد الحـاج عمر عاشور المتوفى فى ذى الحجة عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف، وعن العلامة الأجل القاضى السيد على دنية الرباطى المتوفى عام ستة وعشرين وثلاثمائة و ألف.

تآليفـه: منها شرح على المـرشد المعين من مطولات الشـروح أكثر فـيه من النقول.

وفاته: توفى رحـمه الله أواخر عـام سبعة وثـلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بزاويتهم القادرية من رباط الفـتح، أفادنى بجميع ما ذكـر عنه بلديه العلامة النظار أبو حامد المكى البطاورى مكاتبه.

٨٥ - أحمد بن الصديق المعروف بالتواتى.

نسبه لتوات البلدة الشهيرة الشريف الحسنى العلوى.

حاله: شـاب نشأ فى عبـادة الله عالى الهـمة ذو نفس أبية، وأخـلاق نبوية مصطفية، فقيه نبيه، علامـة مشارك وجيه نزيه، ذو مروءة وديانة، وعفة وصيانة، رحل إلى الحج عـام تسعـة وعشـرين وثلاثمائة وألف، وهاجـر لمدينة جده علـيه الصـلاة وأزكى التسـليم، وطاب له بها المـثوى، ودرس بمسـجـدها النبوى وأفـاد واسـتفـاد، لقيـته أيام رحلتى لتلـك الديار المشرفـة وكان لى خـير رفـيق، وأجل صديق، مـدة مقـامى بالمدينة المنورة على مشـرفها أفـضل صلاة وأزكى سـلام ما فارقنى ولا فارقته مدة من ثلاثة أشهر كملا.

مشـيختـه: أخذ بمكناسـة عن علمائهـا الجلة كشيـخنا العرائشى، وشـيخنا السوسى، وسيدى محمد الشبيهى وغيرهم.

---

(١) تحرف فى المطبـوع إلى: «الجيلانى» وصوابه من ترجـمته فى إتحاف المطالع فى المـوسوعة ٨/ ١/ ٢٩٠.

وبفاس عـن شيخنا العـلامة الناسك الـسيد الفـاطمى الشرادى حـفظه الله وغيره.

وبالمدينة المنورة عن عـالمها ومسندها شـيخنا السـيد أحمـد البرزنجى، وعن شيخنا البركة القـدوة سيدى محمد بن جعفر الكتـانى أبقى الله وجوده، والعلامة المحدث المفـسر شـيخنا الشـيخ توفيق الأيوبى الأنصـارى الشامى، وعن صـديقنا العلامة المفضال الشيخ عمر حمدان المحيرثى التونسى، وخلنا الشيخ الزاهد الناسك المعقولى عبد الباقى الهندى وغيرهم من فطاحل أهل العلم الجلة.

الآخذون عنه: منهم الفقيه النجيب حسن الأخلاق محبنا فى ذات الله حمزة التكريتى وجماعة.

وفاته: تـوفى بالأرض المقدسـة دمشق الشام بعـد خروج المجـاورين بالمدينة وغيرهم من أهاليها فى الحادثة الشهيرة التى تتفطر لها الأكباد.

٨٦ - أحمد بن العربى بن الحنفى بن الطالب بن العربى بن الطالب الشريف الحسنى العلوى الأمْرانى يدعى صميم.

حاله: مجـذوب مصطلم ساقط التكليف، ورد من بلدة تافـيلات وهو بأتمه وكان يتعاطى حرفة الدباغة فى أول أمره مـشتغلا بما يعنيه تاركا لما لا يعنيه إلى أن حل به ما حل فسار لا يكلم أحدا ولا يأوى إلى أحد، يسكن دكانا خربا متهدما، حدثنى غير واحد أنه كان يأتى لمن يبيع الخـبز ويأخذ منه ما شاء من غير أن يؤدى له ثمنا ولا يجد ذلك البائع نـقصا فى مدخوله، دام معـه على ذلك أعواما، وأنه جاءه يوما بعض أوباش الأخـلاط وسار يهزأ به ويسخر منه وهـو يطلب البعد منه فلما لم يرعـو رفع يده يهدده وأومأ لبطنه كـأنه يريد أن يطعنه من غير أن يمـسه، فصاح ذلك المستهزئ وخر مغشيا فحمل لمحله فمات من حينه.

---

٨٦ - من مصادر ترجمته: موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٩٣٠.

وفاتـه: توفى عشـية يوم الخمـيس عاشـر ربيع الثانـى عام واحد وأربعـين وثلاثمائة وألف، ودفن من الغد بالضريح الإسمـاعيلى بعد أن صلى عليه بالجامع الأعظم بعد خطبة الجـمعة، ولم يتخلف أحد من أهل الفـضل والدين عن تشييع جنازته رحمه الله رحمة واسعة.

تم الجزء الأول